

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الاسلامية

مسار العقيدة

التحولات العقدية المحمودة في صفوف الإمامية

في القرن الأخير

١٣٢٠ هـ - ١٤٢٠ هـ

عرض ونقد

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد الطالب

خالد بن محمد بن صالح البديوي

الرقم الجامعي: ٤٢٢٠٢٠٥٠٧

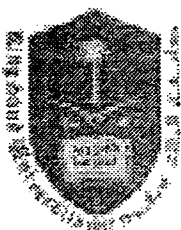
إشراف الدكتور

خالد بن عبد الله القاسم

الجزء الأول

١٤٢٤ هـ - ١٤٢٥ هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
مسار العقيدة



التحولات العقدية المحمودة في صفوف الإمامية

في القرن الأخير
١٣٢٠هـ - ١٤٢٠هـ
عرض ونقد

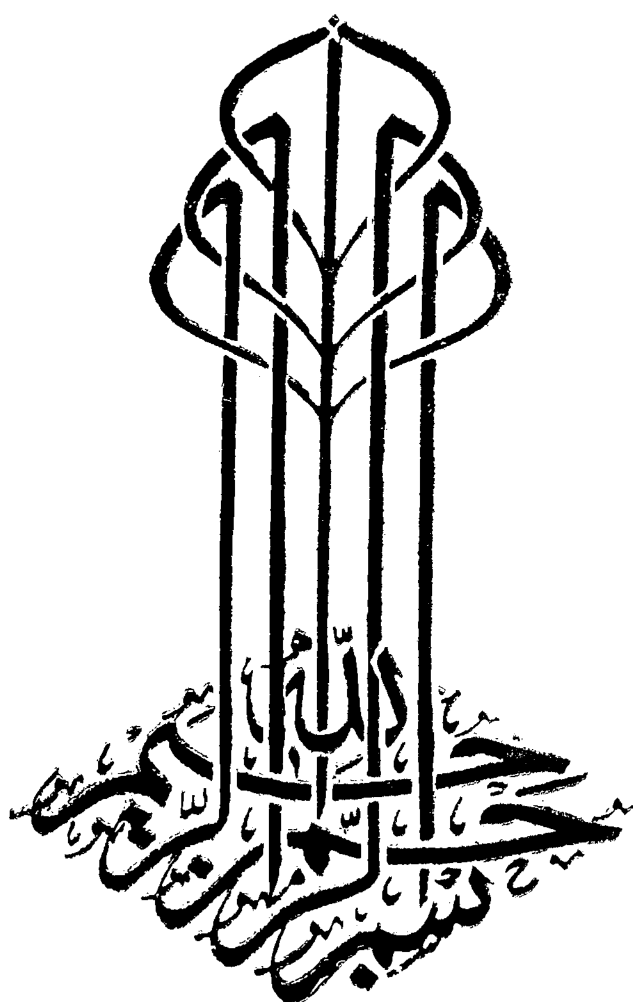
بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير



إعداد الطالب
خالد بن محمد بن صالح البديوي
الرقم الجامعي: ٤٢٢٠٢٠٥٠٧

إشراف الدكتور
خالد بن عبدالله القاسم

١٤٢٤هـ-١٤٢٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

شعبة (العقيدة)

(إجـــــــــــــــــازة)

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في (العقيدة)

بعنوان : (التحولات العقدية المحمودة في صفوف الإمامية في العصر الأخير)

إعداد الطالب / خالد بن محمد بن صالح البديوي

نوقشت هذه الرسالة في ٧ / ٦ / ١٤٢٥هـ

وتم إجازتها

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١- د/ خالد بن عبد الله القاسم	مشرفاً ومقرراً	[توقيع]
٢- د/ محمد بن عبد الله الوهيبي	عضواً	[توقيع]
٣- د/ محمد بن عبد الله السحيم	عضواً	[توقيع]

للعام الجامعي ١٤٢٤هـ /١٤٢٥هـ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً:

أما بعد:

فإن من خصائص الحق الذي تتابع به الوحي من أوّل الأنبياء آدم عليه السلام إلى آخرهم وأفضلهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ الثباتَ والوضوحَ التامّين، بحيث يهتدي إلى كليات الحق كل من تجرد من هواه وصدق في طلبه، قال تعالى: ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ [الشمس٧-٨]. وقال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[إبراهيم ٢٤-٢٥].

ولذا لا يخلو زمن من وجود أفراد أو جماعات تعود إلى ما غاب عنها من الحق، وتحمل شعار التجديد والإصلاح، وتسعى إلى بيان الهدى للناس، بحسب ما بان لها من الحقيقة.

وإن من الظواهر التي تلوح للمتأمل في تاريخ العقائد عموماً أن حقائق الاعتقاد الصحيح تعيش حالات مدّ وجزر، بحيث تجد الحقيقة هي الغالبة في زمن من الأزمان، ثم تجد الانحراف يبدأ في المد حتى يبدوا كأنه الظاهر، لكنه

سرعان ما يعتريه الجزر، كما قـال تعـالى: ((وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝))[إبراهيم ٢٦].

وإن من الأسباب الطبيعية التي هيئها الله تعالى لحفـظ دينـه في الأرض، أن يسخر له من يدافع عنه، وينقيه من الانحرافات والخرافات التي قد تعرض له.

وقد يكون بعض من يقوم بهذا الدور بعض المخـالفين للحـق أو لـبعض مسائله في يوم من الأيام، ولكن اصطفاء الله وفضله يدرك ذلك العبـد بـسبب حبّه للحقيقة وحسن مقصده فيجعله الله تعالى من جنوده المناصرين لما بـان لـه من الحق.

ولما كان الفرقة الإمامية هي من أبرز الفرق الإسلامية المعاصرة التي شـهدت تطورات وتحولات في القرن الأخير؛ اختـرت أن ألقـي الـضوء علـى أبـرز الشخصيات التي كان لها تحولٌ محمودٌ، والتي كان لها إسهام واضـح في الـدعوة إلى التصحيح في المذهب الإمامي، **بحسب ما بان لكـل واحـد مـن تلـك الشخصيات**.

وقد اخترت أن يكون البحث محدداً في فترة زمنية متأخرة وهي مـن عـام ١٣٢٠هـ إلى عام ١٤٢٠هـ، وسبب ذلك أمور:

أولا: صعوبة تتبع كل تحولات الإمامية الماضية والحاضرة.

ثانياً: تقارب السمات العامة لهذه الفترة، وكثير من هذه السمات جديـدة على الساحة الشيعية، وأخرى جديد على الساحة الإسلامية جميعها، وهذا ممـا يفيد في دراسة هذه التحولات دراسة تحليلية من جهة أثـر هـذه الـسمات في التحولات.

ثالثاً: وجود تحولات كافية، جديرة بالدراسة.

وستشمل هذه التحولات التي سيأتي الحديث عنها التحولات المحمودة إلى خارج المذهب الإمامي، أو التحولات التي وقفت على ترك بعض مفردات المذهب الأساسية التي يكون تركها مؤثراً في التصنيف.

كما أنني سأجري دراسة تحليلية نقدية على هذه التحولات تشمل أهم أسباب التحولات المحمودة، وأبرز دلالة هذه التحولات، و مواقف علماء أهل السنة تجاه أصحاب التحولات المحمودة.

أهمية الموضوع:

إن مما يبين أهمية البحث:

١- أن الوقوف على هذه التحولات لاسيما إذا كانت تحولات عن بعض الانحرافات تجعلنا أكثر دقة وأقرب للعدل في الحكم على أصحابها، وهذا من العدل الذي أمرنا الله به في قوله: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾))[المائدة: ٨].فدراسة آراء هذه الشخصيات-لاسيما أولئك المراجع الذين لهم أتباع، أو المثقفين المؤثرين في بعض شرائحهم الاجتماعية- من الواجبات الشرعية التي يمليها علينا العدل في الحكم على الناس، إذ من الخطأ الحكم على بعض أقسام الطوائف بما قاله غيرهم.

٢- أن نقد المتحولين كثيراً ما يتميز بالقوة والإفحام لشدّة معرفتهم بتفاصيل مذهبهم ،وكما قيل : صاحب الدار أدرى به.

٣- ما لمسته من تقصير من قِبَلِ كثير من أهل السنة والجماعة في دعم ومساندة هؤلاء المتحولين مع شدّة ما لاقوه في طريق تحولاتهم المحمودة.

٤- أن هذه التراجعات تعدّ نموذجاً للطريق الصحيح في جمع كلمة المسلمين واتحاد صفوفهم من خلال رجوع كل صاحب انحراف إلى الحق الذي دلّ عليه الكتاب والسنة، ومن خلال فتح باب النقد الموضوعي لكل الطوائف الإسلامية.

أهداف البحث:

أهدف من خلال بحثي إلى ما يلي:

١- جمع أبرز المتحولين الإماميين خلال القرن الأخير -سواء كانت تحولاتهم داخلية أو خارجية-.

٢- استخراج الأسباب التي دفعت هؤلاء للتحول.

٣- تلخيص أفكار كل متحول وجمع آرائه التصحيحية المتعلقة بالمذهب.

٤- تقديم دراسة عن السمات المشتركة في أسباب التحول لدى هؤلاء المصلحين وأساليب نقدهم، وبيان الطريقة الصحيحة في التعامل مع هذه التحولات، وكيفية الاستفادة منها.

٥- المساهمة في دعم حركة التحولات المحمودة.

٦- التعرف أكثر على الواقع العقدي الحالي للفرقة الإمامية من خلال عرض وتقويم أصحاب التحولات.

ولست أهدف من خلال هذا البحث إلى الانتصار لمذهب أهـل السنة والجماعة بمجرد ذكر هذه التحولات، فإن هذا يُعدّ خطأً منهجياً في الاستدلال، إذ الحالة المستمرة تثبت وجود تحولات في كل اتجاه، ولو صح هذا المسلك لصح للكفار أن يستدلوا على المسلمين بالمرتدين منهم، بل المقصود الاطلاع على آراء وأفكار هؤلاء الشخصيات، والاستفادة من تجربتهم، وقد قال علي رضي الله عنه: "الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق"(١)، فالمنهج الصحيح أن يكون جل الاهتمام بالأفكار والآراء المطروحة، ثم الأفكار المدروسة تقودنا إلى موضوعية أكثر في النظرة والحكم النهائي من كل شخصية.

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج الوصفي في ذكر آراء كل شخصية من الشخصيات التي سيشملها البحث وذكر تراجمهم وتحولاتهم وأسبابها وآرائهم وأدلتهم، بحيث أصف بعض أبرز معالم منهجه العقدي العلمي، بما يعطي القارئ خلاصة تعين على معرفة آرائه التجديدية، وأصف طريقة تعامل تلك التيارات السنية مع هؤلاء المتحولين، بما يوضح المنهج العام لكل تيار، وموقف الإمامية المعاصرين منه.

كما أنني سأتبع المنهج التحليلي في دراسة أسباب التحولات المحمودة، وأسباب اختلاف مواقف تيارات أهل السنة والجماعة منهم.

ومن جهة أخرى فإنني سأتبع المنهج النقدي الموافق لميزان الكتاب والسنة في ذكر أبرز الملاحظات التي ظهرت لي على هذه الشخصيات، ونقد أساليبها في طرح الآراء الإصلاحية المتعلقة بالمذهب الإمامي.

---

(١) انظر: منهج الجدل والمناظرة ٢/٦٩٢-٦٩٤

وقد حرصت على ذكر أسماء أعلام الإمامية المعاصرين في هذا البحث مع ذكر ألقابهم الدالة على رتبهم في المذهب الإمامي كلفظ آية الله العظمى الدال على كون العَلَم مرجعاً مقَلَداً، ولفظ "السيد" الدال على الانتساب لآل البيت وهي مترلة دينية معتبرة في التبة لدى الإمامية وغيرهم، ونحوها من الألفاظ التي حرصت على ذكرها من أجل أن يعرف القارئ الكريم مترلة كل واحد في المذهب ومكانة أقواله، مع أني لا أوفق على إطلاق الألفاظ التي لا تليق بالبشر كتسمية أي أحد بآية الله العظمى، أو حجة الله ونحوها من الألقاب، خلافاً للشيخ والعلامة ونحوها من الألفاظ التي تقبل في الوصف.

ونظراً إلى أن البحث يتضمن إثبات تحولات عقدية؛ فإن البحث بالضرورة يحتوى على نقل نصوص في كل شخصية، وأظن بأن هذا هو المسلك العلمي في مثل هذا الموضوع، إذ النص ههنا يكون بمثابة الدليل على ادعاء التحوّل، إلا أنني حاولت المراوحة بين نقل النصوص وتلخيص بعض الأفكار من أجل أن لا يملّ القراء الكريم لهذا البحث.

ونظراً لكثرة أسماء الأعلام الواردة في البحث فقد حرصت على ترجمة المهم منها، كما أنني سأخرّج النصوص والآثار الواردة في البحث بحسب الاستطاعة(١).

وفيما يتعلق بالشخصيات التي سيأتي البحث في تحولاتها فقد ترجمت لكل واحد بما تيسر لي جمعه، ولذا جاءت متفاوتة بحيث تيسر لي معرفة مراحل تحول البعض، والبعض الآخر لم يتيسر لي، وقد يكون لعرض سمات الفترة التي يعيش

---

(١) سوى بعض الآثار التي ينقلها المتحولون من بعض الكتب التي لم تتوفر لدي فأكتفي بالإحالة إلى الناقل فقط .

فيها أثر فأهتم بإلقاء الضوء على ذلك، وقد لا يبدو لي ذلك مع بعضهم فلا أجعل ذلك ضمن الحديث عنه.

ولا أدعي بأنني قد استوفيت كل التحولات المحمودة، بل دائرة الكتابة في هذا الموضوع أوسع من هذا البحث بكثير، ولكنني حاولت أن أجد أبرزها قدر الإمكان في هذه الفترة المحدودة.

الصعوبات

وقد اجتهدت في ذلك مع صعوبات كثير وكبيرة واجهتني، من أبرزها:

١. أنني –وبحسب اطلاعي– لم أجد أحداً من قبلي كتب في هذا الموضوع المهم، بحيث أستفيد منه وأكون متتماً له.
٢. حاجة الموضوع للاستقراء الواقعي، وهو ما يعني المطالعة للكتابات الجديدة، ومتابعة كثير من الدوريات(١)، والمنتديات الرسمية على الشبكة العنكبوتية، وإجراء حوارات ولقاءات ميدانية.
٣. حاجة الموضوع إلى ترجمة بعض المراجع من اللغة الفارسية.
٤. حاجة الموضوع إلى عدّة سفرات خارج المملكة، وأعترف بأنني لم أتمكن إلا من بعضها.

وقد أحببت أن أذكر هذه الصعوبات من أجل أن يجد لي القارئ الكريم بعض العذر فيما يراه من تقصير أو خلل، لاسيما في بعض الرصد الذي لم أستطع الوصول إليه في أسباب التحول، أو موقف الإمامية من بعض الشخصيات المتحولة.

---

(١) وكثير منها غير مفسوح في المملكة العربية السعودية.

وقد جرى تقسيم هذا البحث إلى تمهيد وأبواب وفصول ومباحث ومطالب، وقد كان تقسيم البحث على النحو التالي:

المقدمة

وفيها التعريف بالموضوع وحدوده، وأهميته وأهدافه، ومنهج البحث، والصعوبات التي واجهتني.

تمهيد

ويشتمل على:

المبحث الأول: الإمامية :والتعريف والأقسام.

المطلب الأول: تعريف الإمامية.

المطلب الثاني: أبرز عقائد الإمامية الخاصة.

المطلب الثالث: الأقسام المعاصرة للطائفة الإمامية.

المبحث الثاني: التحولات؛ المعنى والأنواع.

المطلب الأول: تعريف التحولات لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: أنواع التحولات العقدية.

المبحث الرابع: ظاهرة التطور في المذهب الإمامي.

الباب الأول: التحولات المحمودة إلى خارج المذهب.

الفصل الثاني: دراسة لأساليب نقد المتحولين .

الفصل الثالث: التحولات العامة في صفوف الإمامية.

الفصل الرابع: موقف أهل السنة والجماعة من حركة التحول..

المبحث الأول: شهادة العلماء على المتحولين.

المبحث الثاني: المتحول بين التقية والحقيقة.

المبحث الثالث: طُرق تعامل أهل السنة مع المتحولين.

المبحث الرابع: تحقيق الموقف المتعين تجاه المتحولين.

الفصل الخامس: فوائد حركة التحول.

المبحث الأول: دلالات حركة المتحولين.

المبحث الثاني: كيفية الاستفادة من التحولات.

الخاتمة

وفيها عرض لأبرز نتائج البحث.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار .

فهرس الفرق والاتجاهات الفكرية.

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات.

فهرس المراجع.

وأخيراً

أشكر الله تعالى أن يسر لي -بمنه وكرمه- هذا الموضوع، كما أشكر وزارة التربية والتعليم على أن أتاحت لي فرصت التفرغ من أجل دراسة مرحلة "الماجستير"، وأشكر جامعة الملك سعود التي فتحت لي أبوابها للدراسة، كما أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور محمد الوهيبي -رئيس قسم الثقافة الإسلامية- الذي فتح لي أفق هذا الموضوع، ثم أشكر المشرف على هذا الموضوع الدكتور خالد عبد الله القاسم حيث استفدت من ملاحظاته كثيراً، كما أشكر كل من الدكتورين الفاضلين محمد الوهيبي والدكتور محمد السحيم على قبولهما مناقشة البحث وقراءته وإبداء ملاحظتهما عليه، كما أشكر الشيخ صالح الدرويش فقد استفدت منه ومن مكتبته كثيراً، كما أشكر قبل هؤلاء والدي حفظه الله على أن هيئا لي جميع أسباب الدراسة، وأسأل الله تعالى أن يرحمنا جميعا وأن يستخدمنا في طاعته وخدمة دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

المبحث الأول:
الإمامية التعريف والأقسام

المطلب الأول: تعريف الإمامية:

يختلف العلماء والباحثين –لا سيما المتقدمين منهم– في وضع تعريف للإمامية، ومن أجل تعريف دقيق للفرقة "الإمامية"، يجب أن نفرق بين رأيين في التعريف، هما:

التعريف العام للإمامية

وهو المعنى الذي يدخل تحته مجموعة من الفرق التي يجمعها قاسم مشترك، يضم الطائفة الاثني عشرية وغيرها من الفرق الشيعية، كالزيدية([1]) والإسماعيلية([2]) وغيرها.

ولعل أكثر المتقدمين من مؤلفي كتب الفرق والمقالات من غير الشيعة يميلون إلى هذا الاتجاه([3]).

---

(١) هم المنسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى، وقد تبعوا زيداً في قوله بأفضلية علي على سائر الصحابة، وجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، كما أن لهم ميل كبير إلى آراء المعتزلة في باب الأسماء والصفات، وقد انقسمت الزيدية إلى فرق متعددة كان أشدّها تطرفاً فرقة الجارودية حيث مالت إلى طريقة الإمامية في الطعن في الصحابة. انظر: مقالات الاسلاميين ١/١٣٦-١٥٠، والملل والنحل للشهرستاني ١/١٧٩-١٨٨، وللتفصيل طالع رسالة الزيدية للقاضي الأكوع حفظه الله تعالى.

(٢) هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق رحمهما الله تعالى، ولما مات إسماعيل في حياة والده زعموا بأنّه لم يمت وأن الصادق قد أخفاه، ومذهبهم باطني فلسفي، وأشهر فرقهم: القرامطة، والمباركية، والمستعلية، الدروز، والنزارية، والبهرة والأغخانية. انظر: أصول الإسماعيلية للسلومي (مجلدين–رسالة دكتورة مطبوعة–)، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي ٢٣-٢٤، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للعواجي ١/٢٨٢-٢٨٣،

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة ١/١٢٥

ومن هؤلاء الشهرستاني(٥٤٨هـ) حيث عرّف الإمامية بقوله: "هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين"(١). وهذا تعريف عام يدخل فيه الإسماعيلية والفطحية(٢) وغيرها من الفرق التي تقول بالنص على الأئمة وإن اختلفت في تعيينهم.

كما عرّف أبو الحسن الأشعري(٣٣٠هـ) رحمه الله الإماميةَ بقوله: "وهم يُدْعَون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب"(٣).

وقد أقرّ الشيخ المفيد(٤) -من الشيعة - بأن لقب الإمامية، كان يطلق ابتداءً على أعم من الاثني عشرية حيث قال: "الإمامية هم القائلون بوجوب الإمامة والعصمة ووجوب النص، وإنما حصل لهم هذا الاسم في الأصل لجمعها في المقالة هذه الأصول، فكل من جمعها فهو إمامي وإن ضم إليها حقاً في المذهب كان أو باطلاً، ثم إن من شمله هذا الاسم واستحقه لمعناه؛ قد افترقت كلمتهم في أعيان الأئمة وفي فروع ترجع إلى هذه الأصول وغير ذلك.."(٥).

لكن المفيد بيّن أن هذا اللقب-أي الإمامية- انتقل عن أصله، وصار مستحقا لطائفة واحدة ممن يدخلون في اللقب العام كما سيأتي.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٨٩

(٢) هم المنتسبون إلى عبد الله بن جعفر الصادق والقائلون بإمامته بعد الصادق، يلقب بالأفطح لأنه أفطح الرجلين، ذكر المؤرخ الإمامي النوبختي بأن جل مشايخ الشيعة وفقهائها مالوا إلى الأفطح بعد أبيه، ولكن الأفطح لم يعش بعد أبيه إلا سبعين يوماً، فرجعوا عنه. انظر: فرق الشيعة للنوبختي ٧٧-٧٨، مقالات الإسلاميين١/١٠٢، الملل والنحل للشهرستاني١/١٩٥-١٩٦.

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٨٩

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري، يلقب بالمفيد ويعرف بابن المعلم، انتهت إليه رياسة الشيعة في زمنه، بلغت تصانيفه مائتي مصنف، قال الذهبي: أكثر من الطعن على السلف، وكانت له صولة وجولة في دولة عضد الدولة، وتوفي سنة ٤١٣هـ. انظر: ميزان الاعتدال٣/ ١٣١. والذريعة إلى تصانيف الشيعة١/ ٣٠٢ و٥٠٩.الأعلام ٧/ ٢١

(٥) العيون والمحاسن٢/٩١ نقلا عن أصول مذهب الشيعة ١/١٢٤

كما أننا نجد محسن الأمين-من محققي الشيعة المتأخرين- يميل إلى هذا الاتجاه فيجعل الكيسانية والزيدية والإسماعيلية في طائفة الإمامية(١).

المعنى الخاص للإمامية:

والمقصود بالمعنى الخاص هو إطلاق لقب الإمامية على الشيعة الاثني عشرية فقط، وإلى هذا ذهب بعض المتقدمين وأكثر المتأخرين.

فالمفيد بعد أن ذكر في كتاب (العيون والمحاسن) أن لفظ الإمامية كان في أول الأمر يشمل كل من قال بوجوب الإمامة والنص والعصمة-كما سبق-، وضّح في كتابه أوائل المقالات أن هذا اللقب ضاقت دائرته بعد ذلك، وصار علماً على الاثني عشرية فقط، فقال:" لأنه وإن كان (أي لقب الإمامية) في الأصل عَلَماً على من دان من الأقوال بما ذكرناه دون التخصيص لمن قال في الأعيان بما وصفناه، **فإنه قد انتقل عن أصله**، لاستحقاق فِرَق من معتقديه ألقاباً، بأحاديث لهم بأقاويل أحدثوها، فغلب عليهم في الاستعمال، دون الوصف بالإمامية، وصار هذا الاسم في عرف المتكلمين وغيرهم من الفقهاء والعامة علـــما على من ذكرناه"(٢).

كما أن السمعاني(٣) ذكر أن تخصيص لقب الإمامية بالاثني عشرية هو المشهور في عصره(٤)، ومثله ابن خلدون(٥) حيث قال: "وأما الأثنا عشرية فربما خصّوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم"(١)، وكما بين عبد العزيز الدهلوي(٢) في كتاب مختصر

---

(١) انظر: أعيان الشيعة ٢١/١

(٢) أوائل المقالات٤٤

(٣) هو أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، مؤرخ رحالــة، ومــن مصنفاته الأنساب وتاريخ مرو ، وهو حفيد ابو المظفر السمعاني المفــسّر المــشهور ، تــوفي ســنة ٥٦٢هـــ. انظر: وفيات الأعيان ٢٩/٣، والأعلام ٥٥/٤

(٤) الأنساب للسمعاني ٣٤٤/١

(٥) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، عالم مــؤرخ ، بــارع في علــوم الاجتماع وطبائع الشعوب، أصله من أشبيلية، ولد في تونس ورحــل إلى فــارس وغرناطــة ثم إلى الأندلس، وقد ابتلي هناك بكثرة الوشايات والدسائس، فرحل إلى تونس ثم إلى مــصر، وقــد ولي

التحفة أن الاثني عشرية هي المتبادرة عند إطلاق لفظ الإمامية(٣)، ومثلـــه الكوثري في تعليقه على كـــتاب التنبه والرد(٤).

وفي هذا البحث سنسير على الاصطلاح الخاص في إطلاق مصطلح "الإمامية"، لأنه هو العرف الجاري في هذا العصر بين عموم المسلمين، وعليه سيكون ذكر عقائد الإمامية وأقسامها، والله أعلم(٥).

قضاء المالكية في مصر ولكنه عزل بسبب التزامه بلبس بلده، وعدم التزامه بلبس القـــضاة. تـــوفي في القاهرة سنة ٨٠٨هـــ، ومن أشهر كتبه: تاريخ ابن خلدون المسمى: العبر وديوان المبتـــدأ والخـــبر، وكتاب مقدمة ابن خلدون وغيرها. انظر: الأعلام ٣/ ٣٣٠

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ٢٠

(٢) هو عبد العزيز بن ولي الله أحمد بن عبد الرحيم العمري الفاروقي الدهلوي، يلقب بسراج الهند، ولد سنة ١١٥٩هـــ من أبرز العلماء العلماء الذين جمعوا بين علم الفقه الحنفي وعلم الحديث في الهند، له تصانيف كثير منها: التحفة الاثنا عشرية، وبستان المحدثين، وفتح العزيز-تفسير القرآن- والعجالة النافعة في أصول الحديث توفي سنة ١٢٣٩هـــ. انظر مقدمة لقمان السلفي لترجمة كتـــاب بستان المحدثين ٨-١٠.

(٣) مختصر التحفة الاثني عشرية ٢٠

(٤) التنبيه والرد (بتعليق الكوثري) ١٨

(٥) انظر موسوعة الأديان(دار النفائس)١٠٢.

المطلب الثاني:
أبرز عقائد الإمامية الخاصة[1]:

اعتاد المؤلفون في عقائد الإمامية أن يسردوا مجموعة عقائد، والحال أن بعضها مما يُقرُّ به المعاصرون منهم ، وبعضها مما يجتهد بعضهم أو جلّهم في نفيها عن المذهب، ولكي نكون أكثر دقة؛ اخترت أن يكون الحديث عن أبرز العقائد الإمامية الخاصة في إطار قسمين: عقائد يعترف الإمامية بها، وعقائد يحاول بعض الإمامية أن يدفعها عنهم، وعليه يجري البحث في أسباب النفي وخلفياته.

القسم الأول:العقائد الإمامية الخاصة (التي يصرحون بها)

أولا: عقيدة الإمامة.

وهي تتضمن ما يلي:

١. أن منصب الإمامة منصب إلهي كالنبوة، أي أن الله هو الذي يعين الأئمة، فلا يحل تسلم زمام السلطة في وقت وجود الإمام.
٢. أن الله قد عيّن الأئمة من بعده وهم اثنا عشر إماماً فقط، أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآخرهم المهدي محمد بن الحسن العسكري.
٣. أن الله يؤيد الإمام بالمعجزات كما يؤيد رسله وأنبياءه.

---

(١) للفرقة الأمامية عقائد تشكل اعتقادا متكاملا فيما يتعلق بالرب سبحانه والملائكة والقدر والرسل والأنبياء وسائر أبواب الاعتقاد ، وقد اخترت أن يكون الحديث في التمهيد على العقائد التي تميّز العقيدة الإمامية فقط، بحيث يكون من أتى بها فهو إمامي، من غير أن نتطرق للعقائد التي يشترك معهم فيها غيرهم.

وقد عبرّ أحد أشهر محققي المذهب من المتأخرين وهو محمد حسين آل كاشف الغطا-في أحد ابرز الكتب المعتبرة لدى المتأخرين([1]) بقوله: "ولكن الشيعة زادوا ركناً خامساً إلى جانب أركان الإسلام الأربعة الموجبة للعمل وهي الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأما شهادة الوحدانية ونبوة محمد فمجرد قول، وهو الاعتقاد بالإمامة: يعني أن يعتقد أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزات التي هي كنص من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماما للناس من بعده"(٢).

والأئمة هم بحسب ما يعتقد الشيعة على النحو التالي(٣):

اسم الإمام	كنيته	لقبه	الميلاد/ الوفاة
علي بن أبي طالب	أبو الحسن	المرتضى	٢٣ق هـــ- ٤٠هـــ
الحسن بن علي	أبو محمد	الزكي	٢-٥٠هـــ
الحسين بن علي	أبو عبدالله	الشهيد	٣-٦١هـــ
علي بن الحسين	أبو محمد	زين العابدين	٣٨-٩٥هـــ
محمد بن علي	أبو جعفر	الباقر	٥٧-١١٤هـــ
جعفر بن محمد	ابو عبدالله	الصادق	٨٣-١٤٨هـــ
موسى بن جعفر	أبو إبراهيم	الكاظم	١٢٨-١٨٣هـــ
علي بن موسى	أبو الحسن	الرضا	١٤٨-٢٠٣هـــ
محمد بن علي	أبو جعفر	الجواد	١٩٥-٢٢٠هـــ

(١) وهو كتاب أصل الشيعة وأصولها، وقد طبع الكتاب أكثر من ثلاثين طبعة، ويكاد لا يخلو منه أي موقع رسمي للشيعة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) أصل الشيعة وأصولها ٥٨

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية للقفاري ١٢٩

علي بن محمد	أبو الحسن	الهادي	٢١٢-٢٥٤هـ
الحسن بن علي	أبو محمد	العسكري	٢٣٢-٢٦٠هـ
محمد بن الحسن	أبو القاسم	المهدي	يزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥أو٢٥٦هـ ويقولون بحياته إلى اليوم

ثانيا: عصمة الأئمة.

يرى الإمامية بأن الأئمة المعينين وفاطمة رضي الله عنها معصومون، محتجين بأن العقل لا يجّوز أن يكون مرجع الأحكام معرضا للخطأ والإثم،وإلا لما وثق بأقوالهم وأفعاله(١).

وقد تطورت عقيدة العصمة من نفي المعصية ، إلى نفي الجهل والنقص أوئل القرن الرابع، ثم وصلت إلى نفي السهو بعد ذلك، وقد عبّر المجلسي عن ذلك بقوله: "إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأً ونسياناً من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل".

وقد اعترف المجلسي بصعوبة هذا الرأي بقوله : "المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز"(٢) ، ومن الغريب أنّ المجلسي يذكر الإجماع ثم يحكي هذا

---

(١) انظر الشيعة والتشيع للمرجع المعاصر محمد الحسيني الشيرازي ٦٥-٦٦

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٥٠-٣٥١

الإشكال، وأغرب منه أن بعض أبرز المتقدمين قبله كان يعدّ نفي السهو من سمات الغلاة(١)

وقد قام بعض المعاصرين ببعض المراجعات التي لم تنتهي إلى نفي العصمة تماماً. بل إلى تقديم مفهوم إقل غلواً، ومع ذلك لقي هؤلاء إنكاراً شديداً من التيار التقليدي(٢).

ثالثا: مهدوية محمد بن الحسن والغيبة.

يعتقد الشيعة الإمامية بأن المهدي المنتظر قد ولد في القرن الثالث، وهو محمد ابن الحسن العسكري، وأنه الإمام الثاني عشر والأخير في تسلسل الأئمة المعينين في اعتقادهم.

كما يرون بأنه بعد ولادته قد غاب عن الأنظار، وأن غيبته مرت في مرحلتين: **الأولى: هي الغيبة الصغرى**، الممتدة من وفاة والده العسكري إلى سنة٣٢٩.وفي هذه الفترة كان المهدي يتصل ببعض النواب وهم : عثمان بن سعيد العمري(٣)، وابنه محمد (٤)، والحسين بن روح النوبختي(٥)، وعلي بن محمد السيمري(٦).

---

(١) قال الملقب برئيس الشيعة ابن بابويه القمي : "إن الغلاة والمفوضة -لعنهم الله- ينكرون سهو النبي صلى الله عليه وسلم.. وكان شيخنا محمد بن الحسن بن الوليد يقول: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد في إثبات سهو النبي والرد على منكريه". (كتاب من لا يحضره الفقيه ١/٢٣٤)

(٢) انظر:مراجعات في عصمة الانبياء عبد السلام زين العابدين، وفي هذا البحث:٥٤١

(٣) هو عثمان بن سعيد العمري، يكنى بأبي عمرو السمان، ويقال له الزيات والأسدي- لم أجد له تاريخ وفاة- (منتهى المقال٤/٥٦١)

(٤) هو محمد بن عثمان بن سعيد العمري يكنى أبا جعفر، توفي سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥. انظر منتهى المقال٦/١٠٨)و(رجال الشيخ ٢٤١)و (الخلاصة ١٠١)

(٥) الحسين بن روح النوبختي، يكنى بأبي القاسم، توفي سنة ٣٢٦هـ (منتهى المقال٧/٤٨٣)

(٦) علي بن محمد السيمري ٣٢٩هـ(منتهى المقال٥/٥٧)، (تعليقة الوحيد البهبهاني٢٣٨)

الثانية:الغيبة الكبرى، وهي الفترة التي يعتقد الفرقة الإمامية بأن المهدي قد أعلن عن دخوله فيها في عام ٣٢٩هـ، وأنه لن يخرج منها حتى يأذن الله له في آخر الزمان، كما تعتقد الإمامية جواز رؤية المهدي في هذه الفترة بشرطين : أن لا يعرفه الملتقي به إلا بعد اللقاء. والشرط الثاني: أن هذا اللقاء لا فائدة له فقهية، فمن نقل عن المهدي حكما فهو كاذب(١).

يقول المجلسي: ولقد لقي المهدي عليه السلام بعد ذلك خلق كثير من الشيعة وغيرهم وظهر لهم على يده من الدلايل ما ثبت عندهم أنه هو عليه السلام وإذا كان عليه السلام الآن غير ظاهر لجميع شيعته فلا يمتنع أن يكون جماعة منهم يلقونه وينتفعون بمقاله وفعاله ويكتمونه كما جرى الأمر في جماعة من الأنبياء والأوصياء والملوك والأولياء حيث غابوا عن كثير من الأمة لمصالح دينية أوجبت ذلك.(٢)

هذه هي أهم العقائد الإمامية الخاصة بالطائفة التي يعترف جُلُّ مؤلفيهم وعنمائهم المعاصرين، وقد بقي عقائد أخرى، لكنها مما يشتركون فيه مع غيرهم، في أبواب الألوهية والربوبية والقدر وغيره، فليس من المناسب الإسهاب في ذكرها في مثل هذا التمهيد لأنها ليست من ضمن سماتهم الخاصة(٣).

لكن الذي يجب أن يعرف ويؤكد عليه أن هذه الأصول الثلاثة هي أسس العقيدة الإمامية.

---

(١) انظر: المتآمرون على المسلمين الشيعة ١١٢-١١٣

(٢) بحار الأنوار ٥١/١٠٨

(٣) راجع كتاب أصول مذهب الشيعة للقفاري فقد ناقش ما يتعلق بالمذهب الإمامي بتفصيل، وكتاب الشيعة والقرآن لمحمد مال الله، والشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير، وكتاب القرآن وعلماء أصول الشيعة للياسري-وسيأتي تلخيص شيء من كتابه-.

القسم الثاني: العقائد الإمامية الخاصة (التي ينكرها كثير من المعاصرين).

وعلى خلاف العقائد التي نرى الإمامية يجاهرون بها، فإن ثمة عقائد ينكرها كثير من المعاصرين، أو يفسروها بما هو خلاف المعروف في كتب المتقدمين، وبعض كتب المتأخرين، ولعل العدل والإنصاف يجعلنا نتمهل في الحكم عليهم في هذه المسائل التي ينكروها بأنها من التقية، لا سيما وأن أمارات الصدق والنزاهة العلمية تظهر من بعضهم، وإن كنّا نجزم بأن بعضهم يمارس التقية لأمارات واضحة كما سيأتي.

ومن هذه العقائد الخاصة التي يبدي كثير منهم معارضتها:

أولا: القول بتحريف القرآن.

الحديث عن نسبة تحريف القرآن إلى المذهب الإمامي موجود بكثرة في كلام المؤلفين المتقدمين والمتأخرين([1])، فقد ذكر العلامة المجلسي:أن الخبر المروي عن الصادق رحمه الله الذي فيه:"إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشر ألف آية"([2]) قال:لا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره **وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى**، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسا، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر؟"([3]) [أي كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا أخبار

---

(١) انظر في هذه المسألة: "كتاب الشيعة وتحريف القرآن" لمحمد مال الله، و"كتاب الشيعة والقرآن" لإحسان إلهي ظهير، و"كتاب أصول مذهب الشيعة"للدكتور ناصر للقفاري ١/ص٢٤٥-٣٦٦، ٣/١١٩٦-١٢٧٤، و"كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة" للياسري-مخطوط-.

(٢) الكافي ج٢/٢٨

(٣) كتاب مرآة العقول ١٢/ص٥٢٥

التحريف؟]. ولذا صرّح النوري الطبرسي بأنّ: "العلامة محمد باقر الخسي صرح بأنه يؤمن بتحريف القرآن"(١).

كما أقر بهذا الاعتقاد الخطير كل من أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي(٢)، وأبي القاسم الكوفي (٣٢٥هـ)(٣)، وغيرهم.

والسؤال المهم هنا: ما هو موقف متأخري الإمامية من هذه التهمة؟

للإجابة على هذا السؤال الخطير ننقل أربعة مواقف ظاهرة لبعض المعاصرين:

الموقف الأول: من يصرّح باعتقاده بأن القرآن محرّف.

وعلى رأس هؤلاء المتأخرين محمد تقي علي محمد النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ) الذي ألف كتاباً سمّاه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب(٤).

كما أن علي تقي النقوي اللكنهوي (١٣٢٣هـ) يعد من المصرحين باعتقاده بالتحريف(٥).

ويُعدّ عدنان بن علوي الموسوي البحراني(١٣٤٨هـ) من أبرز المتأخرين الذين لم يكتموا إيمانهم بأن القرآن الموجود ناقص ومحرّف لفظاً؛ فقال: "والحاصل فالأخبار من طريق أهل البيت(ع) أيضاً كثيرة بل متواترة على أن القرآن الذي بأيدينا ليس هو القرآن الذي أنزل بتمامه على محمد (ص) بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرّف ومغيّر وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منه اسم علي(ع) في كثير من المواضع، ومنها

---

(١) فصل الخطاب، (المقدمة الثالثة/ في ذكر أقوال علمائنا في تحريف القرآن) ص٢٦ــ٣١ .

(٢) انظر: تفسير القمي ١/١٠

(٣) انظر: كتابه الاستغاثة ٢٥

(٤) حاول لطف الله الصافي أن يدفع التهمة الموجهة للطبرسي فأخذ يبين أن الطبرسي قصد في كتابه محاربة هذه التهمة، ولكن مجرد قراءة العنوان تثبت ذلك، فضلاً عن قراءة ما في الكتاب. انظر: كتاب مع الخطيب في خطوطه العريضة٧١.

(٥) وقد ألف كتاباً سمّاه: تحريف القرآن.-بالأردية- انظر: الذريعة ٣/٣٩٤

لفظة آل محمد(ع)، ومنها أسماء المنافقين، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله(ص) كما في تفسير علي بن إبراهيم"[ثم أخذ البحراني يمثل بأمثلة تؤكد قوله](١).

الملاحظ هو أن هذه الفئة تحكي تواتر الأخبار على هذا الاعتقاد الخطير، وهو ما يجعلنا نعدهم الفئة التي تمثل التفسير القولي والصريح للروايات الموضوعة على الأئمة، والتي تقرر هذه العقيدة الفاسدة.

الموقف الثاني: من يصرح بأن القرآن غير محرّف، ويعتقد مع ذلك أموراً تتضمن القول بالتحريف.

كالذين ينفون التحريف من جهة، ولكنهم من جهة أخرى يجتهدون في توثيق دعاء صنمي قريش(٢) —وهو يتضمن نصّا صريحا بوقوع التحريف على يد أبي بكر وعمر، وهذا يعني أنهم يؤمنون بأن القرآن الذي جمعه أبو بكر محرّف، وقد صدر هذا الدعاء بتوثيق مجموعة من أكبر المجتهدين المتأخرين(٣) ومنهم آية الله العظمى الخوئي(٤)

---

(١) مشارق الشموس الدرية لعدنان البحراني ١٢٧

(٢) وفي هذا الدعاء المليء باللعنات على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يروونه عن علي ويقولون في أوله : "اللهم العن صنمي قريش جبتيهما وطاغوتيها وأفكيها وابنتيهما" وفيه أيضاً :"اللهم العنهما بكل آية حرّفوها". انظر: المصباح ص ٥٥٢-٥٥٣ الطبعة الثانية من منشورات مؤسسة الأعلمي الشيعية للمطبوعات بيروت لبنان) والملأ محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار (٨٥/٢٦٠-٢٦١) إحقاق الحق١/٣٣٧ للقاضي نور الله الحسيني المرعشي التستري .

(٣) انظر وثيقة رقم ٥ في كتاب مسألة التقريب بين أهل السة والشيعة ٢/٣٣٠

(٤)هو آية الله العظمى أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي، ولد في بلدة "خوي" من أذربيجان سنة١٣١٧،هاجر منها مع والده إلى النجف سنة١٣٢٨هـ وتعلم فيها ، وقد آلت إليه المرجعية في النجف بعد وفاة محسن الحكيم سنة١٣٩٠هـ. توفي عام ١٤١٣هـ. الترجمة ملخصة من كتاب سيرة الإمام الخوئي لأحمد الواسطي، و انظر: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية ١٥٣ـ١٥٤.

وآية الله العظمى محسن الحكيم(١)، وآية الله العظمى الخميني(٢)، وآية الله العظمى شريعتمداري(٣).

الموقف الثالث: من يصرح بنفي التحريف عن المذهب أصلاً، ويدعي أنها تهمة باطلة.

وهذا الصنف كثير في كتّاب الإمامية المعاصرين. ومن أبرزهم عبد الحسين الأميني النجفي ولطف الله الصافي وعبد الحسين شرف الدين(٤)، وغيرهم.

ومن هؤلاء من يسعى إلى رمي تهمة التحريف على أهل السنة، ولعل هذا نوع من المراوغة المخالف التي تبين كذبه(٥).

---

(١)هو آية الله العظمى محسن بن مهدي بن صالح بن أحمد بن حمود بن إبراهيم بن علي الطباطبائي الحكيم، ولد سنة١٣٠٦هـ، ينتسب إلى رجل يقال بأنه من آل البيت كان طبيبا على عهد الصفويين ولهذا يلقب بـ"الحكيم"، انقسمت المرجعية في أول عهده فكان هو المرجع الاعلى في العراق والبروجردي في إيران، فلما توفي البروجردي آلت إليه المرجعية العامة. له كتاب نهج الفقاهة، وكتاب مستمسك العروة الوثقى، توفي سنة ١٣٩٠هـ.انظر أعيان الشيعة ٩/٥٦- ٥٧، الأعلام ٥/٢٩٠. أو موقع (المعصومون):http://www.١٤masom.com/aalem-balad/١٨/١٨.htm

(٢) هو آية الله العظمى روح الله بن مصطفى الموسوي الخميني، ولد سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، تعلم في الحوزة العلمية حتى صار مدرساً للفلسفة فيها عام ١٣٤٧هـ، ولانخراط الخميني في العمل السياسي فقد نفي إلى تركيا و العراق ثم من العراق إلى فرنسا، ومن هناك قاد الخميني الثورة حتى سقط نظام الشاه عام١٩٧٩م. وقد توفي الخميني عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. (الترجمة ملخصة من كتاب الإمام الخميني لعادل رؤوف)

(٣) انظر توثيق بعض علماء الشيعة المعاصرين لدعاء صنمي قريش (ملحق رقم ٥ في كتاب مسألة التقريب للقفاري٢/٣٢٧)

(٤)انظر: أصول عقيدة الشيعة للقفاري٣/١١٩٨

(٥) ومن هؤلاء علي الميلاني في كتاب التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف.

الموقف الرابع: من صرح بمخالفته لهذا القول، وصرّح بمخالفته للقائلين به من المذهب.

ويدخل ضمن هؤلاء من له موقف علمي فيه مصداقية تجاه هذا القول المنحرف، حيث يلاحظ بأنهم نظروا بموضوعية إلى وجود أقوال صريحة تدعي تواتر ذلك فقاموا بتخطئة القائلين بالتحريف، ولم يمنعهم من ذلك العصبية للمذهب.

ومن الشخصيات التي يمكن أن تندرج ضمن هذه الشريحة، المرجع الراحل محمد الخالصي رحمه الله[1]، والمرجع المعاصر محمد حسين فضل الله وفقه الله، وكذا عبد الله الممقاني حيث صرّح بأن الطبرسي تجرأ جرأة عظيمة على الإصرار على القول بأن القرآن الموجود محرّف وناقص[2]، كما أن الطبطبائي ذهب في تعليقه على الأنوار النعمانية إلى أن القائلين بذلك من المذهب لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وسقيمها ورمى بالتهمة على الأخباريين[3].

وبالجملة فقد ذكر العلامة إسماعيل آل إسحاق الشهير بـــ"علامة خوئيني" رحمه الله-وهو ممن سيأتي ذكره في التحول إلى خارج المذهب- أن النوري الطبرسي وعباس القمي واجها أحكاماً بالتكفير من قبل بعض علماء الإمامية بسبب تأييدهم لنقول بالتحريف[4]، وهو ما يكشف عن موقف شريحة يمكن أن تندرج ضمن هذا الموقف.

وأما طبقة المثقفين وعوامّ الشيعة فليس من المستغرب أن نجد أغلبهم ينكر القول بالتحريف ويعدّه كفراً صريحاً، لأنهم لا يعلمون الأقوال، كما أن شهادة بعض الذين لقيتهم من المتحولين إلى مذهب أهل السنة تثبت كون كثيراً منهم -ولا أقول كلهم- لم يكن يعلم أن أحداً من أعلام المذهب يقول بذلك أصلا.

---

(١) انظر فيما يلي ص ٤١٨

(٢) انظر: البرهان على عدم تحريف القرآن لميرزا مهدي البروجردي ١٣٢ (نقلا عن مسألة التقريب للقفاري ٢/١٨)

(٣) انظر تعليقه على الأنوار النعمانية ٢/٣٥٩ (نقلا عن أصول مذهب الشيعة٣/١٢٠٤)

(٤) انظر مقدمة موسوعة عالم القرآن/ القسم الاول/ ص١٠١ تحت العدد (٥).(مصدر الفارسي) وسيأتي بعض هذه النصوص مترجما في فصل الخوئيني

وبطبيعة الحال فإن أصدق أهل المواقف السابقة هم الذين لم يسعوا في طمس الحقائق، ولم ينكر أن يكون هذا القول موجود في المذهب. بل رد على القائلين به، وهذا أكبر دلالة على صدقه وعدم عصبيته، خلافا لمن يحاول نفي التهمة عن كل أعلام المذهب ويدعي أن الإمامية لم تقرر هذا القول في شيء من كتبها أصلا.

ثانيا: التقية بمعناها الإمامي.

في تعريف التقية نجد ابن فارس يقول: (الواو والقاف والياء: كلمة تدل واحدة على دفع شيء بغيره)(١)، ويقول ابن الأثير: التقية إظهار خلاف ما في الباطن(٢).

و يعرف علماء الشيعة التقية بتعريفات من أهمها:

أولا: تعريف الشيخ المفيد: حيث يقول : "التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا"(٣)

ثانيا: تعريف محمد رضا المظفر حيث يقول : "التقية مكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم وستر اعتقادهم وأعمالهم المختصة عنهم"(٤).

والملاحظ هنا من التعريفين السابقين أن المفيد يقيد التقية بحال خوف الضرر من المخالفين، سواء أكان ضررا دينيا أو دنيويا، وأما المظفر فيطلق ذلك في التعريف من غير قيد إلا كون الطرف الآخر من (المخالفين)، وأهل السنة هم من أول المخالفين عندهم بطبيعة الحال.

وقد كثر في المتأخرين من يلجأ إلى الدفاع عن مبدأ التقية(٥) لدى الإمامية، متعللين بإجماع المسلمين على مبدأ إظهار الكفر في حال الخوف على النفس كما في قوله تعالى

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٠٦٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١/١٩٣

(٣) شرح عقائد الصدوق ٢٤١، وانظر التشيع لهاشم الموسوي ٢٢٢

(٤) عقائد الإمامية ١٠٨

(٥) انظر نقض الوشيعة لمحسن الامين ٢٢٣-٢٤١. أصل الشيعة وأصولها ١٥٠-١٥٣. الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للقزويني ٣٤٦. دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم الحسيني ٣٢٦.

((إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ)) [النحل: ١٠٦]، وقوله ((إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ))[آل عمران: ٢٨].

ولكن يبقى أمام تصديقنا لما يذكره هذا الفريق عقبتان:

الأولى: أن تفسير التقية المشروعة – في المذهب الإمامي –كما تذكر بعض كتبهم أوسع من ذلك، ولعل هذا الجدول يبين الفرق بين التقية المشروعة عند الإمامية والتقية المشروعة عند أهل السنة.

التقية عند أهل السنة	التقية عند الإمامية
حكمها : رخصة ، وتركها أفضل. يقول ابن بطال:"أجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم عند الله ممن اختار الرخصة" (فتح الباري١٢/٣٢٢	**حكمها :ركن من أركان الدين.** يقول ابن بابويه:"اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة" (الاعتقادات١١٤). عن الصادق: "التقية تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له"(الكافي ٢/٢١٧).
ليست نهجا عاما	**واجبة باستمرار** ▪ يقول ابن بابويه: "التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة" (الاعتقادات ١١٤-١١٥) ▪ يقول الحر العاملي: باب وجوب عشرة العامة بالتقية. (وسائل الشيعة١١/٤١٢) ▪ يقول الخوئي: وأما التقية بالمعنى الأخص أعني التقية من العامة فهي في الأصل واجبة وذلك للأخبار الكثيرة الدالة على وجوبها بل دعوى تواترها الإجمالي". التنقيح٤/٢٥٤

الثانية: أننا نجد بعض أعلام الإمامية المعاصرين من يقرر العمل بالتقية فيما هو أوسع من حالة الخوف والضرورة، مثل تقرير آية الله العظمى محمد صادق روحاني بأن التقية تنقسم إلى أربعة أقسام: التقية الخوفية، والتقية الإكراهية، **والتقية الكتمانية**،

والتقية **المداراتية**(1)، وبنحوه قال الخميني في رسائله(2)، **كما أن** بعض الفتاوى الصريحة المعاصرة تدل على استخدامهم التقية في غير مواضع الخوف، مثل إفتائهم بجواز الصلاة خلف السني تقية (3).

ثالثا: الرجعة.

وهي في مذهب الإمامية: "رجعة كثيرٍ من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت"(4).

ويذكر المفيد أن الرجعة تشمل "من علت درجته في الإيمان، وبلغ الغاية في الفساد، كلهم يرجعون بعد موتهم"(5)وهذا يشمل الأئمة ومن انتزع منهم الإمامة كالصحابة ومن جاء بعدهم من الولاة.

---

(1) رسالة في التقية–ضمن كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر١٤٨–١٤٩(نقلا عن أصول الشيعة ٣/١٣٥٩)

(2) انظر الرسائل للخميني (٢/١٧٤).

(3) سئل المرجع أبو القاسم الخوئي عن الصلاة مع جماعة المسلمين.فأجاب: "تصح إذا كانت تقية" كتاب مسائل وردود ١/ ٢٦

كما سئل المرجع محمد رضا الموسوي الكلبيكاني عن الصلاة في مساجد المسلمين.فأجاب: "يجوز كل ذلك في حال التقية إذا كان الالتزام بترك الصلاة معهم أو في مساجدهم معرضا للفتنة والتباغض". (إرشاد السائل ص ٣٨

وسئل أيضاً في كتابه مجمع المسائل ص١ /١٩٤: هل يجوز الاقتداء بإمام جماعة سني أم لا؟ فأجاب: (يجوز ذلك في حال التقية وثوابه عظيم). ولكن الكلبيكاني أضاف في كتاب إرشاد السائل ص ٣٩ (مكتبة الفقيه – الكويت) "**ومع عدم الضرورة تعاد الصلاة مع الإمكان والله العالم**".

(4) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي (نقلا عن أصول مذهب الشيعة للقفاري٢/١١٠٥)

(5) أوائل المقالات ٩٥

والغرض الذي يذكرونه من الرجعة هو انتقام الأئمة من أعدائهم(١).

وأما عن موقف المعاصرين، فإننا نجدهم منقسمين حيال الرجعة، فمنهم من يثبتها- وهو رأي التيار التقليدي العام(٢).

ومنهم من يرد رجعة كل الإئمة مثل هاشم معروف الحسيني بل يرى رجعة المهدي فقط(٣)، ومنهم من يجعلها من المسائل الخلافية في المذهب مثل محسن الأمين(٤) وعبد الله نعمة(٥) ومنهم من يراوغ فينفي تارة، ويثبت تارة مثل محمد رضا المظفر-حيث نفى وأثبت في صفحة واحدة في أحد كتبه-(٦).

ومن الصعب أن نقول بأن كل من نفى منهم فإنه يقولها عن تقية، إذ أن بعضهم له تراجعات جزئية واضحة، كما أن بعض من خالفها ردها بطريقة علمية، فالأحسن أن يقال :من نفى أن تكون الرجعة قولا في المذهب أصلا فهو إما جاهل أو يعمل بالتقية، ومن جعلها مسألة خلاف غير لا زمة ثم اختار ردّها فصنيعه فيه مصداقية وموضوعية يبعد معها ممارسته التقية **في هذه المسألة**، والله أعلم(٧).

---

(١) انظر الإيقاظ من الهجعة ٥٨ (نقلا عن أصول مذهب أهل السنة٢/١١٠٧)

(٢) ومن المتأخرين الممثلين لهذا التيار (ابراهيم الزنجاني) حيث يقول: "إن ثبوت الرجعة مما اجتمعت عليه الشيعة الحقة والفرقة المحقة، بل هي من ضروريات مذهبهم" ويقول: "فمنكرها خارج عن رتبة المؤمنين، فإنها من ضرورات مذهب الإئمة الطاهرين" وقال: "**وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين**".

(٣) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسيني٢٣٧

(٤) أعيان الشيعة للأمين١/١٧٤

(٥)روح التشيع لعبد الله نعمة ٤٤٣

(٦) يقول المظفر في كتاب عقائد الإماميةص١١٣ : إن الرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها" ولكنه يقول في نفس الصفحة : "إن الرجعة من الأمور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة".

(٧) يقول الدكتور ناصر القفاري : ولو أخذنا كل شيء على ظاهره نقول : "إن هناك فئة قد تحررت من ربقة التقليد، وخرجت عن أساطيرهم رغم دعوى التواتر والاستفاضة". ثم يعقب الدكتور باعتقاده بأن هذه الفئة المصلحة لن تؤثر ما دامت التقية من أصول هذه العقيدة، وهي

رابعا: البداء على الله–بالمعنى اللغوي–.

ومن الأصول التي يعترف بها الشيعة الإمامية عقيدة البداء، ولكن موضع الخلاف بين الإمامية ومخالفيهم هو في المعنى الحقيقي للبداء الذي تعنيه الشيعة. وهذا ما جعلنا نجعل الحديث عن البداء في قسم ما يظهرون نفيه، حيث يتبنى كثير من محققي الشيعة تعريفاً خاصاً يخالف مدلول اللفظة لغة–وهو ما ينسبه إليهم المخالفون لهم–.

وتدل كلمة "البداء" في اللغة على أمرين: الأول: الظهور بعد الخفاء . والثاني: نشأة الرأي الجديد(١)، وكلا الرأيين باطل لأنه مما يتزه الله عنه لاستلزامه سبق الجهل وحدوث العلم وهما من المحال على الله جل شأنه(٢).

وإذا نظرنا إلى الروايات الإمامية في موضوع البداء وكثرتها وطبقنا عليها المعنى اللغوي المعروف لهذ اللفظ سنجد بأنها ينسب إلى الله تعالى معنىً قبيحاً جدّاً، وهذا ما يبرر رفض هذا المبدأ الخطير من قبل جماعة المسلمين، ولكن الجهد الإمامي المقابل بدأ ينصب على تحرير معنى آخر يخالف المعنى اللغوي بطريقة تنجي من العطب، فابن بابويه القمي (من أهل القرن الرابع) أخذ يؤول معنى البداء بالبدء، ويفسر ذلك بأن لله أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره، ولعله قد شعر ببعده عن مدلول الكلمة فأخذ يفسر البداء بالنسخ، ثم رجع بعد ذلك إلى تقرير معنى البداء بأنه من قبيل قول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي ظهر بعد أن كان خافياً، فهو بعد الاضطراب الواضح عاد إلى القول المنكر الشنيــع(٣).

وجهة نظر قد يخالفه فيها من يرى أثر هؤلاء في صفوف الشيعة. انظر أصول مذهب الشيعة٣/١٣٤٩–١٣٥٠

(١) انظر لسان العرب١٤/٦٦،الصحاح٦/٢٧٨

(٢) انظر أصول الشيعة ٢/١١٣٥

(٣) التوحيد ٣٣٥

ثم جاء النصير الطوسي في القرن السابع فجأ إلى إنكار نسبة عقيدة البداء للإمامية أصلاً وجعلها من أخبار الآحاد التي لا يعملون بها(١).

ولكن المجلسي في القرن الحادي عشر جاء بعده ليقرر خطأ الطوسي، وعزا ذلك إلى عدم إحاطة الطوسي بالأخبار(٢)، لكن المازندراني تعقب المجلسي بقوله: "ليس إنكار البداء خاصاً بالمحقق الطوسي قدس سرّه". ثم أخذ يسرد بعض أسماء من نفى عن الأئمة عقيدة البداء، فقال: "منهم السيد المرتضى رحمه الله في الذريعة وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في العدة والتبيان وحبر الأمة وأعلم علمائها بعد المعصومين عليهم السلام الشيخ العلامة الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي فإنه قال في نهاية الأصول في البحث الرابع من الفصل الأول : "الثامن: النسخ جائز على الله تعالى لأن حكمه تابع لمصالح..والبداء لا يجوز عليه تعالى.. لأنه دل على الجهل أو على فعل القبيح وهما محالان في حقه" ثم نقل عن هذا الرأي صاحب تفسير مجمع البيان وأبي الفتوح الرازي كذلك(٣)

والمعاصرون منهم يفسرون (البداء) بأنه من قبيل ما يخفيه الله ثم يبديه، وليس بمعنى أن الله يخفى عليه شيء ثم يبدو له ما يخالفه(٤)، ويفسرون البداء بمعنى الإظهار، ومن هؤلاء المرجع المتأخر أبو القاسم الخوئي حيث قال: "فالبداء بالمعنى الذي تقول به الشيعة الإمامية هو من الإبداء (الإظهار) حقيقة، وإطلاق لفظ البداء عليه مبني على التنزيل والإطلاق بعلاقة المشاكلة"(٥)، ويقول جعفر السبحاني: "من الواضح المعلوم أن الشيعة

---

(١) تلخيص المحصل للطوسي ٢٥٠، شرح أصول الكافي لمحمد المازندراني ٢٣٢/٤

(٢) بحار الانوار١٢٣/٤، وانظر أصول مذهب الشيعة ١١٤٢/٢.

(٣)شرح أصول الكافي لمحمد المازندراني ٢٣٢/٤-٢٣٣

(٤) انظر الدين والاسلام ١٧٣ لمحمد حسين آل كاشف الغطا.وأصل الشيعة لآل كاشف الغطا٣١٤. والشيعة والتشيع للشيرازي٦٩. ونقض الوشيعة لمحسن الأمين العاملي٤٩٦-٤٩٨. والعقائد الإمامية للمظفر٤٨-٥٠.

(٥) البيان في تفسير القرآن٤١٠

الإمامية لا تقصد بهذه الكلمة بدا لله معناها اللغوي إذ أن هذا المعنى-كما اعترض السائل-يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه"([1]).

وعليه فما هو البداء عند الشيعة الإمامية؟ وبماذا يتعلق من الحوادث؟

بيّن أبو القاسم الخوئي أن البداء يقع فيما يصح فيه المحو والإثبات مما هو في صحف الملائكة التي يُكتب فيها مقادير سنة ليلة القدر([2]). وهذا القضاء يصطلح عليه عند بعض الشيعة بـ "القضاء الموقوف" أو بـ"لوح المحو الإثبات"، وما لا يدخله البداء يسميه بعضهم "القضاء الحتمي" وهو ما في اللوح المحفوظ.

ولتجلية الموقف فإن الخوئي وبعض المعاصرين، لا يردّون أحاديث البداء، ولا حتى أشهر الروايات التي يتمسك بها أهل السنة في الرد عليهم، مثل روايتهم عن الصادق: "ما بدا لله شيء مثل ما بدا في إسماعيل" أو رواية "ما عُبد الله بمثل ما عبد بالبداء" أو رواية"ما عُظِّم الله بمثل ما عظم بالبداء"([3])، بل يفلسفون كل هذه الروايات بأنها تفتح باب الأمل وتذهب اليأس عن المؤمن حين يعتقد بإمكانية تغيير بعض القدر (مما في صحف الملائكة)، شأنها شأن الأحاديث التي تذكر أسبابا لزيادة العمر أو الرزق([4]).

قد ينظرون البعض إلى هذا التنظير الجديد لـ"لبداء" بأنه من قبيل التقية، ولو قيل بأن هذا من قبيل التحول الثقافي المحمود في المذهب خروجاً من أزمة شناعة القول بأصل معنى البداء لكان أقرب إلى التحليل الصحيح، ويجدر القول بأن هذا التحول ليس متأخرا بل هو قديم.

والملاحظ في هذه المسألة أمرين:

الأول: إصرار الشيعة الإمامية على إفراده بالذكر في أصول الدين ووضعه في أبواب الإلهيات ، من دون بقية الصفات كالقدرة مثلا، مع أنه بالمعنى المذكور لا يخالف فيه

---

(١) انظر: القضاء والقدر للسبحاني ١٤٧-١٤٨

(٢) انظر كلام الخوانساري في مشارق الشموس ٢/٤٤٥

(٣) انظر التوحيد للصدوق/باب البداء ٢٧٢ ط١٣٨٦هـ

(٤) انظر: البيان في تفسير القرآن٤٠٩-٤١٠. القضاء والقدر للسبحاني ١٤٤-١٤٥.

أحد من المسلمين في الجملة، فكأن إفراده بالذكر يشعر بأن أصل موضوع البداء مما اختلفوا فيه مع بقية المسلمين، ولعل هذا ما يرجح القول بوقوع التحول المحمود في هذه المسالة مع البقاء على كونه أصل من أصولهم شكلاً.

الثاني: أن الظرف الذي ظهر فيه القول بالبداء يدل على المعنى الذي ينفيه الإمامية المعاصرون، إذ أن القول بالبداء ظهر بسبب موت إسماعيل بن جعفر رضي الله عنه، وقد شاع أنه الإمام المنصوص عليه، فكان موته أزمة أمام نظرية النص، وقد أظهر بعض متكلمو النظرية بأن الله قد بدا له في إسماعيل خروجاً من هذه الأزمة(١).

وأخيرا فإنه لا يجادل أحد في أن لله تعالى أن يمحو ما يشاء ويثبت، سواء سمينا هذا نسخا أو بداء، لكن يجب أن يستثنى من ذلك "الأخبار"، لأن رفع الخبر يلزم منه إما الجهل أو الكذب، وتوضيح ذلك: أن نقول بأنه من المحال أن يخبر الله بخبر كأن يصف الجنة أو يسمي اسم رسولٍ أو حتى ينصّب إماماً، ثم يرجع ويبدي غير ذلك، لأنه يلزم منه إما الكذب أو الجهل وحدوث العلم بالأفضل ، ولهذا استثنى جمهور الفقهاء والمتكلمين "الأخبار" مما يجوز فيه النسخ(٢).

وحتى نحصر الحوار بين الإمامية وبين مخالفيهم في هذه المسألة ينبغي أن يرّكز الحوار حول قضايا محددة، هي:

هل القول المتقدم الذي جاء في كثير من الروايات هو عين قول المتأخرين أو لا؟

فمخالفوهم يقولون لا، والإمامية يقولون نعم، ولعل استفراغ الجهد في محاولة إثبات ذلك عليهم-مع العلم بأنهم لا يقولون بالمعنى الباطل حاليّاً- مما لا طائل وراءه ما

---

(١) انظر بعض الروايات في كتاب أصول مذهب الشيعة ١١٤٦/٢

(٢) انظر روضة الناظر لابن قدامة١/٢٩٠، إحكام الفصول للباجي ٣٩٩، **كما اختار آخرون جواز نسخ الأخبار في المستقبل دون الماضي** أنظر (البحر المحيط ٤/٩٩) و(المعتمد١/٢٥١) و(العدة٣/٨٣٥) و(الإحكام للآمدي ٣/١٤٤)، **بينما اختار الرازي جواز نسخ الأخبار مطلقا.**انظر: (المحصول للرازي٣/٤٨٦-٤٨٨).

دمنا نتفق على أن الله لا يجوز عليه أن يبدو له أمر لم يكن يعلمه، وأظن بأن التّمحل في إثبات كون المتقدمين يخالفون قول المتأخرين لا يفيدنا اليوم إلاّ مجرد الطعن وليس دعوة الغير وبيان الحق في هذه المسالة، وإذا كان كذلك ؛فإن هذه الطريقة مما تورث العصبية وتعزز نزعة "اتباع الهوى".

كما أن الإمامية لو أقروا بأن بعض الروايات مع ملابسات ظهور القول بالبداء تدل على معنى منحرف وأنهم لا يقولون به ونسبوا ذلك إلى الغلاة لكان ذلك محمدة ثانية لهم، بعد أن كان الرجوع عن المعنى الباطل محمدة أولى. وبهذا يُكف الصراع في هذه المسألة، ليبقى الخلاف في المسائل الواضحة الأخرى، لا سيما وأنه قد رُوي عن الإمام الصادق رحمه الله : "مَن زعم أنّ الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم"، وقال أيضاً: "من زعم أن الله بدا له في شيء و لم يعلمه أمس فأبرأ منه"(١) والله أعلم.

والمسألة الثانية: هل يدخل البداء في باب الأخبار، أو بعبارة أخرى: هل يسمى إخبار الله تعالى بأمر ثم الإخبار بخلافه "بداء" وهل هذا جائز في عقيدة الإمامية أم لا؟.

إذا قلنا نعم فإننا سنقر بأن الله تعالى إما أن يكون لم يكن يعلم ثم علم، أو أنه أخبر بخلاف الواقع أي كذب وهذا مما ينزه الله تعالى عنه كما سبق قريباً، والله أعلم.

(١) انظر: إكمال الدين٦٩-٧٠

المطلب الثالث:
الأقسام المعاصرة للطائفة الإمامية

الشيعة الإمامية الاثنا عشرية هي أحد فرق الشيعة الكثيرة(١)، وهي أيضا تنقسم إلى اتجاهات وتيارات معاصرة متعددة، ومن أجل تقسيم أكثر دقة يمكن تقسيم الشيعة الإمامية باعتبارات متعددة.

أولا: أقسام الإمامية باعتبار الغلو والاعتدال:

يمكن أن نقسم الشيعة الإمامية من جهة الغلو(٢) إلى :

١ . الإمامية الغلاة:

وهم الذين يصفون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة آل البيت رحمهم الله ببعض خصائص الله وصفاته الخاصة.

والغلاة في الإمامية المعاصرين يختلفون في شدّة غلوّهم، **ويمكن اعتبار الشيخية(٣)من أشد الإمامية المعاصرة غلوّا لأنها تتبنى أفكارا فلسفية حلولية**

---

(١) ذكر المسعودي-وهو مؤلف شيعي متقدم- أن فرق الشيعية بلغت ثلاثا وسبعين فرقة (مروج الذهب٣/٢٢١)، كما أن النوبختي ذكر بأنها أكثر من ستين فرقة (انظر:فرق الشيعة للنوبختي).

(٢) الغلو : مجاوزة الحد المشروع في أمر من الأمور.انظر كتاب الغلو في الدين للغرياني ١١، ظهر الغلو في التشيع في زمن مبكر، حيث أله بعضهم علياً رضي الله عنه في زمنه، فأراد رضي الله عنه اجتثاث هذا الغلو فقام بإحراق هؤلاء، ولكن الغلو روج في زمن أئمة آل البيت بعد ذلك مع شدّة وضوح موقف الإئمة رحمهم الله من ذلك، فقد ورد عنهم لعن الغلاة والمفوضة، والامر بصرف العبادة لله وحده. راجع :كتاب عقيدة أهل البيت لعبد الله الخضير٢٤-٣٠.

(٣)**الشيخية**: أتباع الشيخ أحمد الأحسائي (١١٦٦هـ-١٢١٤هـ) والذي أسس مذهبه القائم على أسس اثني عشرية ولكنه اتجه اتجاهاً باطنياً فلسفياً، فقال بأن الأنبياء والأئمة مظاهر تجلي الله، فالأنبياء والأئمة

صارخة. ولشدة غلوهم فقد حاربهم كثير من أعلام الشيعة في وقت مبكر، والشيخية تيار له وجوده المعاصر في أوساط الشيعة في كرمان وتبريز والكويت والأحساء وغيرها(١) وإن لم يكن هو التيار الغالب، إلا أنه تيار له تأثير إعلامي كبير، ويمتلك قدرة مالية كبيرة.

كما أن الغلو يظهر بدرجة أقل من الشيخية في الاتجاه العام الإمامي في تبني كثير من المراجع المعاصرين لبعض الأفكار الغالية، مثل نسبة التصرف في الكون للأئمة (الولاية التكوينية)، ونسبة علم الغيب للأئمة، وتوجيه العبادة لغير الله كالسجود والطواف ونحوها.

٢. الإمامية غير الغلاة.

وهؤلاء هم الذين لا يتبنون أفكار الغلاة في أبواب الربوبية والعبادة، بل يتبنون التشيع والقول بالنص على الأئمة الاثني عشر وعصمتهم، مع إنكار كون الأئمة يدعون إلى شيء من الولاية التكوينية أو الأمر بدعاء غير الله تعالى أو غيرها من

مختلفون في الصورة ولكنهم متحدون في الحقيقة، لأن الله هو المتجلي في الجميع-تعالى الله عن قولهم-، كما يعتقدون بأن الله تجلى في الشيخ أحمد الأحسائي، ولذا يقولون بأن الأحسائي مؤمن كامل، ويفسرون الرجعة بأنها تجلي الله مرّة أخرى في الأحسائي ومن يأتي بعده، كما ينكرون المعاد الجسماني، ويؤمنون بتناسخ الأرواح، ولهم أقوال تدل على أنهم ينسبون كل الخلق للأئمة بزعم تتريه الله عن الحركة. وقد اختلف في أحمد الأحسائي فقيل هو من إحدى قرى الأحساء، تسمى (المطيرفي)، وذهب آخرون -بناء على تقارير بعض المستشرقين-إلى أن أصله قس من (ترانسفال) أرسل من أندونيسيا إلى الشرق حسب خطة مرسومة لإفساد عقائد المسلمين، والمتفق عليه بين كتّاب الشيعة أنه أتى كربلاء والنجف وعمره أربعون، وتعلم على السيد بحر العلوم، والشيخ كاشف الغطاء وأخذ منهما الإجازة، وقد كان لديه أموال كثيرة تدعو للريبة في أمره.

وقد اختلف الشيعة في الموقف من الشيخية، فكفرها وضللها بعضهم كالميرزا محمد الشهرستاني في كتابه(ترياق فاروق) ومحمد مهدي القزويني في كتابه(ظهور الحقيقة على فرقة الشيخية)، والميرزا محمد تقي البرغماني القزويني الذي قتله أحد أتباع البابية وهو يصلي، والحاج ملا جعفر الاسترابادي، ومحمد الخالصي وآخرون. بينما ذهب آخرون إلى التوقف في شأن الأحسائي كعلي البلادي، ومنهم من حاول التوسط فيهم ومنهم: محمد حسين آل كاشف الغطاء. كما أن منهم من قام بالدفاع عن الأحسائي وأفكاره كمحمد حسين الطالقاني.انظر: أصول مذهب الشيعة ١٣٦/١-١٣٧. الموسوعة الميسرة ١٨٠٣/٢.روضات الجنات٩٤/١.علماء الشيعة والصراع مع البدع ١٧٧-١٩٢.الشيخية للطالقاني ٣٣٣-٣٣٤

(١) انظر:المدارس الشيخية وتعدد زعاماتها في كتاب الشيخية للطالقاني ١٧٧-٢٢١

الانحرافات، بل يتبنى مراجع هذا التيار ومثقفوه الدفاع عن توحيد الأئمة، وباختصار يدعون إلى الإمامية بدون شركيات -مع تفاوت فيما بينهم في الآراء-.

وهذه الفئة وإن كانت تتبنى القول بالعصمة وهو نوع من الغلو في ميزان أهل السنة لأنه إفراط في التقديس ولكنه بلا شك لا يقارن بالغلو في أبواب الربوبية والعبودية قطعاً، إذ الغلو في التتريه عن المعاصي غلو يرفع العبد فوق مترلته، ولكنه لا يوصل إلى المرتبة الإلهية لوحده، لأن العصمة مما يُوصف به بعض الخلق وهم الملائكة، ولكن الغلو في الإلهية كأن يعبد غير الله أو ينسب شيء من الأفعال المختصة بالله إلى غيره كالرزق والإحياء وغيرها مما لا يوصف به أحد غير الله تعالى. فتخلص أنه أعظم غلوا لأنه يوصل إلى الشركَ.

ولعل هذا البحث يكشف عن بعض رموز هذا التيار(١)، فالمرجع آية الله محمد الخالصي وتياره، والمرجع آية الله محمد حسين فضل الله ومقلديه، كما أن بعض رموز تيار المثقفين الإيرانيين من أمثال الدكتور علي شريعتي وغيره من دعاة الإصلاح في الصف الشيعي هم من المحسوبين على هذا التيار المؤثر في الساحة الإيرانية بشكل كبير.

وللأسف الشديد فإن هذا التيار يواجه حربا من التيار التقليدي بين الشيعة، وجفوةً وتشكيكاً من قِبَل كثيرٍ من أهل السنة، وهما معضلتان كبيرتان، تؤخّر أثره في تقريب صفوف الأمة ناحية الاعتدال، ونبذ الغلو والخرافة.

---

(١) هذا البحث يكشف عن بعض رموز هذا التيار وليس كلهم، وأرجوا أن يكون هذا بداية لاستقراء أكثر واقعية لكثير من المخالفين.

ثانيا: أقسامهم باعتبار القول بجواز الاجتهاد أو عدمه لدى الإمامية.

الأصل في هذه المسألة جواز الاجتهاد أنها من أبواب الفروع، لكنها باعتبارات المذهب الإمامي مما يرتبط بعقيدة الإمامة، حيث تبحث المسألة من جهة صلاحيات الفقيه في فترة غياب الإمام، وهو ما جعل الخلاف يشتد بدرجة كبيرة من وقت مبكر.

وينقسم الشيعة الإمامية بالنظر إلى جواز الاجتهاد إلى فريقين:

١. الأخبارية:

سُمُّوا بالأخبارية لاعتمادهم على الأخبار الواردة في أصولهم الأربعة(١)، ومَنْعهم الاجتهادَ ورفضهم الاستدلالَ بالقرآن والعقل والإجماع، كما أنهم لا يرون صحة تعلم أصول الفقه، لأنه في نظرهم منافسة المعصوم في أحد أخص صلاحياته وهو تقرير الأحكام(٢).

ويعتبر مؤلفو كتب الحديث الأصلية المعتمدة في المذهب كلهم من الأخباريين، كالحر العاملي صاحب وسائل الشيعة، والكاشاني صاحب الوافي، والنوري الطبرسي صاحب المستدرك، وابن بابويه القمي صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه)، كما أن من محمد حسين آل كاشف الغطا صاحب أصل الشيعة وأصولها من متأخري الأخباريين(٣)، كما أن آل العصفور في البحرين من أبرز البيوت التي ترعى المذهب الأخباري حالياً.

---

(١) الأصول الأربعة هي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهي التي يقول عنها محمد صادق الصدر : "إن الشيعة.. مجمعة على اعتبار الكتب الأربعة، وقائلة بصحة كل ما فيها من روايات.." انظر أصول مذهب الشيعة ٢٢/١نقلا عن كتاب الشيعة للصدر١٢٧.

(٢) ملخص من أصول مذهب الشيعة ١٤١/١-١٤٧

(٣) انظر أصول مذهب الشيعة١٤١/١-١٤٢

٢. الأصوليين:

يقولون بفتح باب الاجتهاد، ويستدلون على الأحكام بالقرآن والسنة والعقل والإجماع، كما أنهم يقسمون الأحاديث الواردة في الأصول الأربعة إلى صحيح وحسن وموثوق وضعيف خلافا للأخباريين، ولا يجيزون تقليد الميت خلافا للأخباريين(١).

ويعدّ الأصوليون التيارَ الأكثر في صفوف الشيعة الإثني عشرية، ومن أبرز أعلامها المعاصرين البروجردي ، ومحسن الحكيم، وأبو الحسن الأصفهاني، والخميني، وأبوالقاسم الخوئي، ومحمد باقر الصدر، والسيستاني، والخامنئي، ومحمد حسين فضل الله وغيرهم.

وقد بلغ الخلاف بين الأصوليين والأخباريين ذروته في أوائل القرن الحادي عشر الهجري حين كفر الاسترابادي(٢) (الأخباري) بعض مراجع الأصوليين(٣)، ثم تبعه بعد ذلك الفيض الكاشاني، لكن المتأخرين من علماء المذهب حاولوا التقليل من حجم هذا الخلاف حتى لا يفتح الباب للطعن في الشيعة وشيوخ الطرفين(٤).

هذه أهم التقسيمات المرتبطة بالاعتقاد الإمامي، كما أن هناك تقسيمات أخرى باعتبارات أخرى لا ترتبط بموضوع الاعتقاد كثيرا فلا حاجة إليها هنا(٥).

---

(١) انظر: المرجع السابق ١/١٤٢، ١٤٧

(٢) هو الميرزا محمد أمين الاسترابادي المتوفى سنة (١٠٢١) هـ. انظر ترجمته في مقدمة المحقق لكتاب (منهج المقال).

(٣) ذكر البحراني أن محمد أمين الاسترابادي هو أول من فتح باب الطعن في الأصوليين. والخلاف بين الأصوليين والأخباريين قديم، وقد حكى الشهرستاني ذلك بقوله: "وبين الإخبارية منهم والكلامية [أي الأصولية] سيف وتكفير. انظر لؤلؤة البحرين١١٧. والملل والنحل ١/٢٠٣.

(٤) انظر ما قال جعفر كاشف الغطا في الحدائق١/١٦٧، ومحسن الأمين في أعيان الشيعة ١٧/٤٥٣-٤٥٨، وعبد الله البحراني في كتاب منية الممارسين (نقلا عن أصول مذهب الشيعة١/١٤٦)

(٥) مثل أقسامهم باعتبار تبني العمل السياسي من عدمه، ثم أقسام الذين يرون الدخول في

حالة"، ولا يخفى على القارئ الكريم أن التحول الذي يتعلق به موضوع البحث هو التحول المعنوي، والله أعلم.

التعريف التحول اصطلاحا:

التحول الذي أعنيه في هذا البحث هو أحد صور التحولات المعنوية، وهو بإيجاز: "الانتقال من قول إلى آخر".

وقد يلحظ القارئ الكريم أن هذا التعريف يشمل الانتقال بين الأقوال في الفروع وبين الأقوال في الأصول، ولهذا جاء في عنوان البحث قيد "**العقدية**" ليخرج كل قول لا تعلق له بالاعتقاد، كالتحول من قول فقهي إلى آخر، ولهذا لم أتطرق في هذا البحث لموقف المتحولين من المسائل الفرعية مثل الشهادة الثالثة في الأذان والمتعة ونحوها.

كما أن هذا التعريف يشمل التحولات المحمودة كالانتقال من الكفر إلى الإسلام ومن البدعة إلى السنة ، ويشمل كذلك التحولات المذمومة كالردّة عن الإسلام وكالانتقال من الأقوال الموافقة للحق إلى البدعة -نسأل الله السلامة والعافية-، ولهذا جاء في عنوان البحث قيد "**المحمودة**"، حتى لا نحتاج إلى الحديث عن التحولات التي يصدق عليها ذم الكتاب والسنة الصحيحة وقواعد الشريعة المحمدية.

و لفظ (**القول**) في التعريف يدل بطريق الأولى على دخول من ترك قولين فأكثر؛ وصولا إلى أعلى مراتب التحول وهي الانتقال من ملّة أو طائفة إلى أخرى.

تعريف التحولات العقدية اصطلاحاً:

من خلال ما مضى يمكن أن نعرف التحولات العقدية بأنه: **"الانتقال من قول عقدي إلى آخر".والله أعلم**

المطلب الثاني:
أنواع التحولات العقدية

التحول في فلك العقائد ينقسم-من جهة المدح والذم- إلى قسمين أساسين، وكل قسم منهما ينقسم إلى شقين-من جهة حجمه-،

١.التحولات العقدية المحمودة:

أ. تحول كلي.

ب. تحول جزئي.

٢. التحولات العقدية المذمومة:

أ. تحول كلي.

ب. تحول جزئي.

وتفصيل ذلك كالاتي:-

أولا: التحولات العقدية المحمودة.

التحول المحمود الكلي:

وهو ما يشمل الانتقال الكلي من ملة أو طائفة منحرفة إلى المذهب الصحيح، **وضابط هذا : أن يترك العقائد الأساسية التي تخص ملة أو طائفة منحرفة، ويتحول إلى الأقوال الكلية التي تخص مسمى أهل الحق ، كاسم الإسلام أوالسنة مثلاً .**

فإن كان من النصارى مثلاً، ثم ترك اعتقاد النصارى وأخذ باعتقاد المسلمين صار مسلماً، وإن كان من أحد فرق الخوارج مثلاً فترك اعتقادهم بتكفير المسلمين واستحلال دمائهم المحرّمة فقد صار من أهل السنة.

كما أن من المهم أن نبين أن التارك لمذهب من المذاهب المنحرفة إلى المذهب الصحيح قد يبقى لديه من الانحرافات والشوائب ما لا يخرجه من مسمى المذهب الصحيح، فمثلاً قد يترك الرجل مذهب الخوارج، ويدخل في جملة أهل السنة والجماعة لأنه ترك الانحراف في أخص ما يعرف به الخوارج وهو الضلال في "باب الوعيد"، ولكن

يبقى لديه بعض الأخطاء العقدية في باب الصفات مثلاً، فيطلق عليه بأنه من أهل السنة بمعنى الطائفة المقابلة لطائفة الخوارج لا بمعنى السنة المحضة. ومن هذا الوجه اعتبر ابن تيمية بعض المخالفين في بعض أبواب الاعتقاد كالأشاعرة من أهل السنة في مقابل الشيعة والمعتزلة لتركهم أخص ما يميز هاتين الطائفتين من الأقوال، وأيضا لقيامهم بالدفاع عن الجانب المشترك من الحق بينهم وبين أهل السنة المحضة(١).

ومن هنا نعلم أن الانتساب إلى أي طائفة هو أمر نسبي، يعتبر فيه ما حققه المرء من الموافقة لتلك الطائفة، لكن ثمة أمور فاصلة هي الأسس لتلك الطائفة بحيث لا يسمى باسمها من لم يأت بها، ثم تأتي النسبية في مدى الالتزام ببقية خصائص وتصورات ذلك المذهب(٢)، والقاصرون في كل طريقة: هم من يعتبرون كل ما في المذهب من الكليات والجزئيات هو مما يزول بأي شيء منها الانتساب لذلك المذهب، وهذا من القصور الذي دفع الخوارج إلى معاملة صاحب الكبيرة معاملة تارك إحدى كليات الدين.

فالمنتسب إلى أهل السنة قد يخلط ذلك ببعض الانحرافات التي لا تخص مذهباً معيناً كالتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو التبرك غير المشروع مثلاً، ومع هذا لا يُلغى عن هذا الرجل اسم أهل السنة لبقائه على أسسهم الكليّة في الاعتقاد، وهكذا يقال في المتحولين من مذهب بدعي إذا انتقل إلى الأسس الكلية لمذهب أهل السنة أو غيرهم بأنّ إطلاق النسبة الجديدة عليه لا غبار عليها، وعلى هذا جرى تقسيم الشاطبي لمسائل الاعتقاد بأنها كليات وجزئيات، فقال : "وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فِرَقاً، بخلافها للفرقة الناجية في معنى كليٍّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، **إذ الجزء والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً**، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، لأن الكليات نص من الجزئيات غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب.."(٣).

---

(١) انظر نقض التأسيس ٢/٨٧.

(٢) انظر خصائص الفرق وسماتها في كتاب دراسات في الأهواء والفرق للعقل١٤٣-١٤٥

(٣) الاعتصام٢/٧١٢.

لكن المتحول إذا بقي على مخالفات كثيرة في الجزئيات كأن يكثر من بدع الشعائر والعبادات، فإنه سيكون في الصورة قريباً من المخالف في أصل كلي، والسبب -كما يوضحه الشاطبي- بأن الإكثار من الفروع المخترعة يعود على كثير من الشريعة بالمعارضة فيصبح كالمخالفة الكلية، بخلاف المقلّ من المخالفات الجزئية فأنه يعامل معاملة صاحب الزلة والفلتة، وإن كانت الزلة قد تعظم-من جهات أخرى- مثل وقوعها من العالم مثلا، "لكن إذا قرب موقع الزلة [أي كانت من الجزئيات] لم يحصل بسببها تفرق في الغالب ولا هدم للدين، بخلاف الكليات"(١).

لكن الزلة في الجزئيات تبقى في دائرة الخطأ الذي يغفره الله تعالى ما لم يجعلها صاحبها قولا يفارق بها جماعة المسلمين، ويوالي عليها ويعادي(٢) فإنها حين إذن تعظم.

التحول المحمود الجزئي:

وهو بأن ينتقل المرء المنتسب إلى أحد الطوائف المخالفة عن بعض أصول طائفته إلى ما يوافق الكتاب والسنة مع بقائه على المخالفة في أصول أخرى.

فمن المعلوم أن الكفر والشرك يتفاوتان، وأولى منه أن يقال بأن البدع والسيئات تتفاوت أيضا(٣)، ولهذا اعتبرنا التحول في بعض الأصول أمرا محمودا،"فقد يكون الرجل على طريقة من الشر عظيمة، فينتقل إلى ما هو أقل شرّاً منها وأقرب إلى الخير، فيكون حَمْدُ تلك الطريقة ومدحها لكونها طريقة الخير الممدوحة..وهكذا النحل التي فيها بدعة، قد يكون الرجل رافضيا فيصير زيدياً، فذلك خير له، وقد يكون جهمياً قدرياً فيصير جهمياً غير قدري، أو قدرياً غير جهمي، أو يكون من الجهمية الكبار، فيتجهم في بعض الصفات دون بعض، ونحو ذلك"(٤).

---

(١) انظر: كتاب الاعتصام٢/٧١٢-٧١٣. وكتاب دراسات في الأهواء والفرق ٤١-٤٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى٣/٣٤٨-٣٤٩.

(٣) انظر: كتاب الاستقامة١/٤٦٣-٥٦٦.

(٤) المرجع السابق ١/٤٦٤-٤٦٥

ضابط التحول الجزئي في هذا البحث

مع الإقرار بحمْدِ كل تحول إلى الحق ولو كان صغيراً في أحد فروع الاعتقاد، إلا أنني أعني بالتحول الجزئي في هذا البحث أن يكون التحول ما دون الكلي بأن يترك المرء أحد الأصول الاعتقادية، والمعتبر كون ذلك من الأصول في المذهب الآخر، لأن بعض الفرق تَعد من أصولها أشياء لا تُعد أصولاً في مذهب أهل السنة، فالشيعة الإمامية يعدون القول بالإمامة من أهم أصولهم بينما هو في مذهب أهل السنة ليس من الأصول، والرجعة أصل عند كثير منهم وهي مما لا يعترف به أهل السنة أصلا، ومع هذا يعد المتحول عن القول بالإمامة أو القول بالرجعة متحولاً تحولا جزئياً في اصطلاح هذا البحث، والله أعلم.

ثانيا: التحولات المذمومة:

التحول المذموم الكلي[1]:

وهو عكس التحول الكلي المحمود، بأن يتحول المرء عن أصول العقيدة الصحيحة وينتقل إلى أصول عقيدة أحد الفرق المنحرفة، بحيث لا يصدق عليه مسمى السنة المحضة.

ومن هذا القبيل تحول عمران بن حطان(٢) من مذهب الجماعة إلى الخوارج، وتحول أحمد بن يحيى(٣) من مذهب أهل السنة إلى الإعتزال، وسليمان بن محمد الجيشي[١] من مذهب الشافعي إلى المذهب الزيدي، وكثير من مؤسسي الأقوال الخارجة

---

(١) التحولات المذمومة ليس لهذا البحث أي تعلق بها ، ولكنني ذكرتها هنا تكملة للقسمة في بيان أنواع التحولات.

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي(١٨٤هـ) كان على مذهب أهل السنة، ثم أخذ بقول الخوارج، يقول ابن حجر: وكان سبب ذلك فيما بلغنا أن ابنة عمه رأت رأي الخوارج فتزوجها ليردها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها. (تهذيب التهذيب٨/١٢٧-١٢٨).

(٣) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى الشافعي المتكلم، كان من أعيان أصحاب الشافعي ثم صار من أصحاب ابن ابي دؤاد فأصبح معتزليا. انظر تاريخ بغداد٥/٢٠٠. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٥٥٥، الفهرست٢٦٧

عن جماعة المسلمين هم من هذا القبيل كواصل بن عطاء(٢) والجعد بن درهم(٣)ونحوهما، والله أعلم.

التحول الجزئي المذموم:

وهو عكس التحول الجزئي المحمود، بأن يكون المرء في جملة اعتقاده موافقا للكتاب والسنة، ولكنه يتحول في أحد الأصول إلى قول يوافق فيه بعض النحل الضالة.

ومن ذلك زلات بعض العلماء التي لم تخرجهم من مسمى أهل السنة، مثل من قيل فيه تشيع يسير، أو كمرجئة الفقهاء ونحوهم.

وأخيراً:

فإن التمييز بين التحولات الكلية أو الجزئية سواء المحمودة أو المذمومة أمر مهم للغاية لأمور أهمها: ألا ينسب أحدٌ ممن تحول تحولاً جزئياً إلى التحول الكلي، إذ أن من الناس من يرى علماً من الأعلام أصبح يقول بأحد أقوال المخالفين له، فينسبه إليهم ويجعله مثلهم تماماً، وهذا من الخطأ في الحكم.

كما أن الرجل قد يتحول تحولاً محموداً جزئياً فيزكى تزكية مطلقة، فيكون ما عنده من الشوائب فتنة لغيره ممن لا يعرفها، ولهذا يجب التمييز من أجل أن يعطى كل ذي حق حقه.

---

(١) هو سليمان بن محمد بن الزبير بن أحمد الجيشي ثم الشاوري، علم ومحقق في القراءات والنحو، وكان قاضيا للمخلاف في اليمن، كان شافعي المذهب ثم تمذهب بالمذهب الزيدي توفي ٦٨٥هـ وقيل غير ذلك. (هجر العلم ومعاقله للأكوع٤/١٩٧٩).

(٢) واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي، من موالي بني ضبة، كان ألثغا بالراء ولكنه كان خطيبا مفوها، يعد مع عمر بن عبيد رأس الاعتزال. مات سنة١٣١هـ. سير أعلام النبلاء٥/٤٦٤.وفيات الأعيان٦/٧.ميزان الاعتدال٤/٣٢٩.

(٣)الجعد بن درهم مؤدب من الموالي، وهو مروان الحمار الدي يقال له مروان الجعدي، قتل على الزندقة سنة١١٨هـ. سير أعلام النبلاء٥/٤٣٣.البداية والنهاية١٠/١٩ ميزان الاعتدال١/٣٩٩.

المبحث الثالث:
ظاهرة التطور في المذهب الإمامي

من الظواهر التي تلوح للمتتبع لتاريخ المذهب الإمامي؛ ظاهرة التطور المستمر، فالمذهب مر بمراحل عدة حتى تكامل في شكله الحالي، وهو مع ذلك لا يزال مرّشحاً لتقبل أفكار وتطورات أخرى تخرج بصيغة التأويل الجديدة لبعض نصوص المذهب القديمة.

وقبل أن نلقي نظرةً على تاريخ تطور المذهب الإمامي، يجب أن نعرف **أن التشيع في الكوفة كان يمثل الرأي العام الشيعي منذ مراحله الأولى**، وإن كان التشيع يمثل ثقلاً في مناطق أخرى كاليمن وخراسان والبحرين (شرق الجزيرة عموماً)، إلا أن الكوفة بقيت المركز الرئيسي فترة طويلة. وقد استغل بعض الكذابين الغلاة بُعْد الكوفة المكاني عن أئمة آل البيت فحاولوا نشر الغلو باسم آل البيت، إلا أن التشيع العام لم يقبل كثيراً من تلك الأفكار فترة من الزمن.

ولتحديد موقع الكوفة كمحل للرأي العام الشيعي أهمية كبيرة، حيث يعد تتبع الفكرة العامة في الفترات التاريخية الأولى للتشيع رصداً لتطور المذهب الشيعي الإمامي، وتمييزا بين الفكرة العامة والفكرة الشاذة في كل مرحلة.

ومما يدلل على أن الكوفة كانت هي ساحة التطورات العقدية الشيعية نداء الإمام الزاهد زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه الذي وجهه إلى أهل العراق قائلاً: "يا أهل العراق، أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فو الله ما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً"(١) وفي رواية "حتى بغضتمونا إلى

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٢/ ص١٩، تهذيب الكمال ٣٨٧/٢٠، سير أعلام البلاء ٤/ ٣٨٩-٣٩٠، تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧

الناس"(١)، وجاءه نفر من الكوفيين فقال لهم: "يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام فإني سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا أيها الناس لا ترفعوني فوق حقي فإن الله عز وجل قد اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً)(٢).

وهذه النداءات من الإمام علي بن الحسين رحمه الله تدل دلالةً واضحةً على بدايات التطورات التي اختصت بها الكوفة والعراق في نظرتها إلى آل البيت.

وفيما يلي سأحاول تتبع التطور في النظرية الإمامية-بالنظر إلى مضمونها الأساسي هو "النص والعصمة وتحديد عدد الأئمة باثني عشر"-(٣).

التشيع الأول:
من الولاء إلى التفضيل.

كان التيار العام للتشيع في صدره الأوّل يعني مناصرة علي رضي الله عنه، وقد تمثلت هذه النصرة في القتال معه زمن الفتنة، وفي الفترة الأموية لما تفشى لمز علي رضي الله عنه والطعن فيه تطور التشيع إلى الدفاع عن المنـــزلة(الدينية) لعلي رضي الله عنه فتوسع نطاق التشيع من كونه تأييداً سياسياً، إلى منحى آخر (علمي)، وقد ساعد على ذلك الموقف السيئ من بعض الأمويين من علي رضي الله عنه(٤)، مما دفع كثيراً من

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤، حلية الأولياء٣/ ١٣٦

(٢) الذرية الطاهرة النبوية لمحمد بن أحمد الدولابي ٧٩

(٣) هذه المراحل الآتية دراسة ظنية وهي قابلة للدراسة بشكل أعمق، ولكن هذا ما ظهـــر لي والعلم عند الله.

(٤) يعارض البعض هذه التهمة للأمويين عموماً، إما بدافع الجهل بوقائع التـــاريخ أو بـــدافع حسن الظن أو بدافع الخوف من أن يكون هذا مدخلاً لإلغاء مكتسبات الدولة الأموية، ومما يـــرجح مصداقية هذه التهمة ما يلي:

أ- قال ابن حجر رحمه الله:

"قال الإمام أحمد لم ينقل لأحد من الصحابة ما نُقل لعلي[يعني من الفضائل]، وقال غيره: وكان سبب ذلك بُغض بني أمية له، فكان كل من عنده علم من شيء من مناقبه من

الصحابة بيّنه، **وكلما أرادوا إخماده، وهددوا من حدّث بمناقبه** لا يزداد إلا انتشاراً، وقد وَلّد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها..". (الإصابة لابن حجر ٥٧/٧).

ب- قال الذهبي رحمه الله:

"كان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى **عبيد الله** بن عبد الله، **يسمع منه العلم، فبلغ عبيد الله أن** عمر ينتقص علياً، فأقبل عليه، فقال: متى بلغك أن الله سخط **على أهل بد بعد أن رضي** عنهم. قال: فعرف ما أراد، فقال: **معذرة إلى** الله وإليك، **لا أعود. فما سُمع عمر بعدها ذاكراً** علياً رضي الله عنه إلا بخير". (سير أعلام النبلاء ١١٧/٥).

ت- ذكر ابن الأثير تحت عنوان "ذكر ترك -أي عمر بن عبد العزيز- سب أمير المؤمنين علي:

"كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب إلى العمال في الآفاق بتركه- ثم ذكر قصته مع عبيد الله بن عبد الله ..ثم قال. (الكامل ٣/

ث- مدْح أهل العلم لعمر بن عبد العزيز بسبب تركه سب علي على المنبر.. فقد ذكر ابن الأثير وغيره أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى الخطباء أن يتركوا ذم علي رضي الله عنه ويستبدلوا ذلك بقوله تعالى: ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان..)) الآية، قال ابن الأثير:

فحل هذا الفعل عند الناس محلا حسنًا وأكثروا مدحه بسببه فمن ذلك قوله كثير عزة:

وليت فلم تشتم عليًا ولن تخف	بريًا و لم تتبعمقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما	تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذي قلت بالذي	فعلت فأضحى راضيًا كل مسلم
ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه	من الأود البادي ثقاف المقوم

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر: أفلحنا إذًا. (الكامل ٥/

ومن المهم أن نبين ههنا أمرين:

أولاً: أن الدولة الأموية ليست هي كل أهل السنة بحيث يكون الطعن فيها هو طعن في جملة أهل السنة بل هي دولة من دول الإسلام التي لها ما لها وعليها ما عليها.

ثانياً: يجب أن يُعلم أن كثيراً من الشيعة يلغي مكتسبات الدولة الأموية بسبب هذه الأخطاء

المحدثين من الصحابة والتابعين لمناصرة علي رضي الله عنه بالتحديث بفضائله. ثم تطور التشيع فلبس عباءة التفضيل؛ تفضيل علي على عثمان، ثم تطور إلى تفضيله على سائر الصحابة، ولم يختلط التيار **الشيعي العام** -والله أعلم- في هذه الفترة بشيء من الانحرافات المفرطة في الجملة، لاسيما وأن موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كان صارماً من أوّل بذور الإفراط في التشيع. وأعني بذلك ما ظهر في موقفين أحدهما كان غايةً في الغلو. وهو موقف المؤلهين له. والموقف الثاني -وإن كان أيسر شططا-، وهو تفضيله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا، فحَكَم أمير المؤمنين رضي الله عنه على الأولين بالتحريق، ، وحكم على فعل الآخرين بأنه من الافتراء الذي يوجب حدّ الفرية-ثمانين جلدة-(١)، وقد كان لهذا الموقف الصارم منه رضي الله عنه تجاه هذين الانحرافين أثر كبير في صيانة التيار الشيعي من الانجرار وراء الانحرافات الصارخة مدّةً من الزمن.

لكن التيار الشيعي العام بدأ يداخله الشطط شيئا فشيئا، وقد كان أول ذلك تبني الرأي العام الشيعي القول بأفضلية علي رضي الله عنه على جميع الصحابة، والسؤال هنا: إذا كان علي رضي الله عنه أنكر هذا القول، فمتى اتخذ الرأي العام الشيعي هذا المبدأ؟ لتحديد الفترة التي لم يجاوز فيها التشيع العامّ فكرة التفضيل يجب أن نستحضر ثلاثة نصوص:

فيتنكر لنشر الأمويين للإسلام وجهادهم الروم وغير ذلك، وهذا مخالف للعدل والإنصاف.

(١) روى عبد الله بن أحمد عن علقمة رحمه الله- وضرب بيده على منبر الكوفة- ثم قال: خطبنا علي على هذا المنبر فذكر ما شاء الله أن يذكر، ثم قال:" بلغني أن ناسا يفضلوني على أبي بكر وعمر ولوكنت تقدمت في ذلك لعاقبت ولكن أكره العقوبة قبل التقدم، من أتيت به من بعد مقامي قد قال شيئا من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري، ثم قال: إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر وعمر ، أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما".

رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم ١٣٩٤.واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٩٧/٧ رقم: ٢٦٢٧٨.وابن أبي عاصم في السنة برقم ٩٩٣ وحسنه الألباني.

الأول: قول أبي إسحاق السَبيعي رحمه الله[1]: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون[2].

وهذا كما يقول الخطيب نص تاريخي في تحديد تطور التشيع[3]، لكنه نص مفتوح، يبين أن هذا التطور وقع في حياة السَبيعي، وبشكل أدق في الفترة التي خرج فيها السبيعي من الكوفة وهو يدرك أقوال الناس ومذاهبهم، فإذا كان السَبيعي قد ولد في سنة ٣٤هـ فإن الفترة التي ظهر فيها تفضيل علي ستكون ما بين سنة ٤٠هـ و سنة وفاته ١٢٧هـ تقريبا.

الثاني: قول ليث بن أبي سليم[4] رحمه الله : " أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً"[5].

فإذا اتفقنا على أن الفترة التي يمكن أن يقال بأن ليث بن أبي سليم أدرك الناس ووعى عنهم لن تكون قبل أواخر الستين لأنه قد ولد في أولها- فإن هذا نص يقلص الفترة التي ذكرها السَبيعي، حيث يتبين أن تطور التفضيل على أبي بكر وعمر لم يحدث قبل أواخر الستين.

---

(١) هو أبو إسحاق عمرو بن عبد الله بن ذي يحمد أو ابن علي الهمذاني الكوفي، تابعي جليل، من علماء الكوفة ومحدثيها، قال عن نفسه: ولدت لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ورأيت علي يخطب. توفي سنة ١٢٧هـ. (سير أعلام النبلاء٥/٣٩٢-٣٩٩) (تهذيب التهذيب٨/٦٣) (تذكرة الحفاظ١/١١٤).

(٢) تهذيب التهذيب٨/٦٣.

(٣) انظر تعلقيه على المنتقى ٣٦٠.

(٤) هو ليث بن سليم بن زنيم، من صغار التابعين، من محدثي الكوفة، ولد بعد الستين -كما يقول الذهبي، وتوفي سنة١٣٨ هـ وقيل بعد الأربعين سنة واحد أو اثنتين أو ثلاث هـ. (سير أعلام النبلاء ٦/١٧٩-١٨٤) (تهذيب التهذيب٨/٤٦٥-٤٦٨) (ميزان الاعتدال٣/٤٢٠-٤٢٣)

(٥) سير أعلام النبلاء ٦/١٨٢.والمنتقى ٣٦٠-٣٦١.

ثالثا: موقف زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله من الطعن في الشيخين.

فقد روى أبو نعيم(١) في حلية الأولياء بسنده عن علي بن الحسين أنه قال: أتاني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، فلما فرغوا قلت لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون ((ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝)) [الحشر: ٨]، قالوا: لا، قال: فأنتم ((الذين تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ))[الحشر: ٩]، قالوا: لا، قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين، قال الله عز وجل: ((وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ))[الحشر: ١٠]، اخرجوا فعل الله بكم(٢).

وجاء رجل إلى علي بن الحسين رحمه الله فقال: أخبرني عن أبي بكر. فقال له: "عن الصدّيق تسأل؟" فقال: وتسمّيه الصديق؟ قال: "ثكلتك أمك، قد سمّاه صدّيقاً من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار فمن لم يسمه صديقاً

---

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦هـ، وتوفي ٤٣٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٤٥٣-٤٦٢. تذكرة الحفاظ٣/١٠٩٢-١٠٩٣. ميزان الاعتدال ١/١١١

(٢) حلية الأولياء٣/١٣٧، البداية والنهاية ٩/١٠٧. كشف الغمة للأردبيلي ٢ /٧٨

فلا صدّق الله قوله، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما، فما كان من أمر ففي عنقي"(١)

وإذا لا حظنا بأن هذين النصين يشتملان على ذكر الطعن فقط، فإنهما أيضاً يكشفان عن الحقائق التالية:

أ. إنكار الإمام الرابع لمبدأ الطعن في الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً.

ب. ظهور الطعن في زمن الإمام زين العابدين رحمه الله، وهي الفترة الممتدة من بعد وفاة والده الحسين رضي الله عنه عام ٦١هـ حتى وفاته سنة٩٥هـ.

ت. لابد أن فكرة الطعن تزامنت معها فكرة تفضيل علي على الجميع لأن هذا لازم لكونهم شيعة ويطعنون في الشيخين، وعليه فإن تفضيله على بقية الصحابة في هذه الفترة.

ث. أن من صور الطعن هو عدم رضى بعضهم بأن يوصف أبي بكر بأنه "صدّيق" ونحوها من صور الطعن التي تتضمن الحنق والغيظ.

فإذا تقرر بأن التفضيل لم يكن الرأي العام قبل أواخر الستين الأولى بدلالة قول ليث بن أبي سليم السابق، فإن تفضيل علي على الشيخين والطعن قد ظهر ما بين سنة ٧٠هـ وسنة ٩٥هـ ، مع ملاحظة أن الطعن في هذه المرحلة لم يتجاوز إلى البراءة، والله أعلم.

---

(١) سير أعلام النبلاء٤/٢٩٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤١/ ٣٨٩، تهذيب الكمال ٢٠/٣٩٤

التشيع الثاني:
من التفضيل إلى البراءة

وفي هذه الفترة شهد مفهوم التشيع تطوراً آخر وهو البراءة من الشيخين "أبي بكر وعمر" رضي الله عنهما، وهو ما يكشف عنه الموقف التالي:

موقف زيد بن علي(١) من الشيخين في مقابل أكثر شيعة الكوفة.

والحادثة التي تكشف عن تحديد لتطور مهم جداً، هي أن زيد بن علي رحمه الله لما أعلن خروجه على هشام بن عبد الملك عام ١٢٢هـ أرسل إليه بعض أهل الكوفة بالبيعة، فلما اجتمع بهم أمرهم بسيرة علي بن أبي طالب في الحرب، فقالوا: قد سمعنا مقالتك، فما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: رحمهما الله وغفر لهما، وما عسيت أن أقول فيهما، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحسن الصحبة، وهاجرا معه، وجاهدا في الله حق جهاده، وما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً. قالوا: فلم تطلب إذن بدم أهل بيتك، وردّ مظالمهم إلا أن وثبا على سلطانكم،

---

(١) هو ابو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب الهاشمي القرشي رضي الله عنه، يقال له "زيد الشهيد"، حدث عن أبيه ولقي واصل بن عطاء فتلقى عنه، ومع أن واصلاً كان يتبنى التوقف في وصف علي وجميع المتقاتلين في جيشه وجيش معاوية بالإيمان وقوله بتفسيق أحد الطائفتين بلا تحديد؛ إلا أن زيداً التقى بواصل وأخذ عنه الاعتزال والقول بالقدر، إلا إنه لم يقل بالمترلة بين المترلتين، جدير بنا أن نقول بأن أخوه محمد الباقر رحمه الله خالفه في ذلك من جهة كونه يأخذ العلم على من يجوّز الفسق على جدّه، ومن جهة قوله في القدر على خلاف مذهب أهل البيت، ومن جهة اشتراطه إشهار السيف لحصول الإمامة، وأما عن اعتقاده في الشيخين فيقول الشهرستاني: "كان مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقال: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين نار الفتنة..". وقد توفي زيد على إثر خروجه بجماعة من الكوفة سنة١٢٢هـ أصابه سهم في الليل، فدفنه أصحابه، ثم أخرجه خصومه من قبره وصلب أربع سنين .انظر: الملل والنحل١/١٧٩-١٨١، وسير أعلام النبلاء ٥/٣٨٩. مقاتل الطالبيين١٢٧، تهذيب التهذيب٣/٤٢٠

فترعاه من أيديكم، وحملا الناس على أكتافكم يقاتلونكم إلى يومكم هذا؟ فقال لهم: إن أشد ما أقول في ما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا به علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً. قد ولُّو فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك بنو أمية إذن؟ إن كان أبوبكر وعمر لم يظلماك، فلم تدعو إلى قتال بني أمية، وهم ليسوا بظالمين؟ لأن هؤلاء إنما اتبعوا في ذلك سنة أبي بكر وعمر. فقال لهم: إن أبا بكر وعمر ليسا كهؤلاء، وهؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، وإلى الظلمة من بني أمية أن تخلع وتنفى، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم خسرتم، ولست عليكم بوكيل. قالوا: إن برئت منهما وإلا رفضناك؟. فقال: الله أكبر، حدثني أبي أن رسول الله قال لعلي: "إنه سيكون قوم يدعون حبنا، لهم نبز يعرفون به، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون"، إذهبوا فأنتم الرافضة(١).

وهذا النص يكشف عدة حقائق حول هذه الفترة وهي بالتحديد من مطلع القرن الثاني حتى أوائل العشرين منه، ومنها:

أ. أن الرأي العام الشيعي في الكوفة تطور في هذه الفترة من مذهب تفضيل علي رضي الله عنه على جميع الصحابة إلى البراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ب. أن مبدأ أخذ الثأر للحسين رضي الله عنه من بني أمية تطور إلى أخذ الثأر من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، بسبب ما انتشر بين شيعة الكوفة من أن سبب مآسي آل البيت تولي أبي بكر وعمر ، وليس ظلم بعض خلفاء بني أمية وفجورهم، ولهذا قالوا: لزيد" فلم تطلب إذن بدم أهل بيتك، وردّ

(١) البداية والنهاية٩/٣٣٠، كما نقلها الأكوع في كتابه "الزيدية" عن "شرح رسالة الحور العين" ص١٨٤-١٨٥، و"المنية والأمل" ١٠١. كما نقل الأكوع الحديث بإسناده من طريق الإمام الهادي يحيى بن الحسين عن كتابه الأحكام (انظر:كتاب الزيدية للأكوع١٩-٢٠)

مظالمهم إلا أن وثبا [أبي بكر وعمر] على سلطانكم. فنــزعاه من أيديكم، وحملا الناس على أكتافكم يقاتلونكم إلى يومكم هذا؟".ففي تصور هؤلاء أن الذي حمل الناس على ظلم آل البيت هم الشيخان.

ت. الاختلاف بين زيد رحمه الله وهو حفيد الإمامين المبجلين (علي والحسين) رضي الله عنهم أجمعين وبين شيعة الكوفة في تعديل سياسة الشيخين. فزيد يرى بأنهما عدلا وحكما بالقسط، وشيعة الكوفة يرون بأنهما سلف الظلمة من بني أمية، وأنهم يمثلون نفس سياسة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ث. ينسب زيد وجهة نظره في تعديل الشيخين وتزكية سياستهم إلى آل البيت ويذكر بأنه لم يسمع من أهل بيته من يذكر عنهم غير هذا، بينما يتصور شيعة الكوفة بأن هذا يخالف الحقيقة.

والأسئلة الملحّة التي يجب أن نجيب عنها هاهنا:

هل كان زيد يجهل حال أهل الكوفة قبل أن يقدم عليهم؟ وما مبررات جهله بمثل هذا التطور المهم؟ وما الأجواء التي هيأت لنشأة فكرة الطعن ثم البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان، وجعْلِ سياسة الظلمة من بني أمية محسوبةً عليهما؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نؤكد على أن زيد لم يكن يعلم بأن هذا هو الرأي العام بدلالة أنّه فوجيء لما رفضه هذا العدد الكبير من المنتسبين إلى آل البيت بسبب توليه الشيخين؛ قائلاً: الله أكبر، ثم ذكر الحديث السابق، وهو ما يعني أنه لم يكن يعلم بفشوّ هذه المقولة بين شيعة الكوفة بدرجة كبيرة(١).

(١) يروى أن الذين أرسلوا لزيد يدعونه للبيعة من أهل الكوفة بلغوا اثنا عشرة وقيل خمسة عشر ألفا سوى أهل المدائن والبصرة وخرسان وغيرها، ثم إنهم نكثوا و لم يقاتل معه إلا خمسمائة فقط (مقاتل الطالبين١٣٢، ١٣٦)

وإذا كان بعض المؤرخين يذكرون **بأن زيداً قد بقي في الكوفة بضعة عشر شهراً**(١) يرسل دعاته إلى الأمصار يدعون إلى بيعته، فإننا لن نجد له مبرراً في عدم اطّلاعه على انتشار فكرة البراءة من الشيخين بين الشيعة إلا "السرية" التي أصبحت ديدن المفسدين للتشيع الخالص والكذابين على الأئمة في الكوفة بالذات، وهم الذين أكثرت كتب الروايات الإمامية النقل عن الإمامين المعاصرين لتلك الفترة (الباقر وابنه الصادق رحمهما الله) إشهارَ البراءة من الغلاة والكذابين الذين ينشرون عنهم الكذب(٢)، وهو ما يعني ترافق عدّة ظواهر في هذه الفترة: الكذب، والسرية، والطعن في الشيخين والبراءة منهما، وغيرها مما سيأتي.

الأجواء التي نشأ فيها الطعن والبراءة.

كانت فاجعة استشهاد الحسين رضي الله عنه وأرضاه بصورتها الأليمة وما لحقها من ظلم بني أمية لكثير من آل البيت سبباً لوقوع الأسى والحزن في نفوس كثيرٍ من المحبين منهم والمتشيعين لعلي وآله، وهو ما أحدث لدى طائفة منهم شعوراً بالحرمان والتوقان إلى الانتقام من المتسببين في مصير أحفاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن تبني الحكّام في تلك الفترة لمدح أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم والترضي عنهم في الخطب،وفي المقابل الإشارة بالذم لعلي رضي الله عنه ومن خرج معه، كل هذا أوجد جوّاً عاطفياً مشحوناً، هيأ لوضع مناسب عند الجهّال لقبول فكرة الطعن والبراءة من هؤلاء الحكام ومن يترضى عنهم هؤلاء الحكام.
ولعل هذا يذكّرنا بما أخبر الله به عن بعض النصارى حينما قابلوا سب بعض يهود المدينة لعيسى عليه السلام، بسب موسى والبراءة منه، فعن ابن عباس رضي الله عنه

---

(١) مقاتل الطالبيين(١٣٢)

(٢) ورد عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله أنه سمّى بعضهم فقال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبنان بن سمعان فإنهما كانا يكذبان علينا أهل البيت. انظر: جامع الرواة للأردبيلي ٢/٥٥، معجم رجال الحديث للخوئي ١٨/٢٧٥-٢٧٦

قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود. فتنازعوا عند رسول الله، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء. وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله تعالى: ((وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾))[البقرة: ١١٣](١).

فالأجواء المشحونة، والإعلام المستفز لا يزيد الجهّال في كلا الطائفتين (الغالبة والمغلوبة) إلا بعداً عن جادة اجتماع الكلمة، بل لا يدفع إلا إلى مزيد من صدور الأحكام الجائرة في حق من لا يستحق (البغي في مقابل البغي)، وهو مما يخالف أمر الله تعالى لنا بالعدل و القول الحسن، ولهذا لما تولى العادل الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله أمر بترك ما راج في الخطب من السباب، وأمر بأن تذيل الخطب بالشعار الحسن: ((إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾))[النحل: ٩٠](٢).

وقد أحسن أبو حامد الغزالي حين قال: "أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهّال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإذلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء فثارت في بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على

---

(١) تفسير الطبري ٥٤٢/١ وقم١٨١٣. وقد حسنه الدكتور عصام الحميدان في كتاب (الصحيح من أسباب النزول) ٢٨.

(٢)انظر تاريخ الخلفاء ٣٢٩، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤٧/٥

العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها.."(١) وقد علق الشاطبي رحمه الله على ذلك بقوله: "وهو الحق الذي تشهد له العوائد الجارية. فالواجب أن تسكّن الثائرة ما قدر على ذلك. والله أعلم"(٢).

النتيجة:

من خلال ما مضى نستطيع القول بأن تقديم علي على الشيخين رضي الله عنهم جميعا لم يظهر قبل أواسط الستين بدلالة قول ليث بن أبي سليم، وأنه ظهر التفضيل متزامناً مع الطعن قبل انقضاء القرن الأول بدلالة خبر العراقيين القادمين على زين العابدين. كما أن النصوص السابقة تكشف عن حقيقة مهمة وهي: أن ظاهرة الطعن كانت تروج بعيداً عن سادات آل البيت، وفي جو من الكتمان والسرية، حتى انكشفت بشكل واضح عام ١٢٢هـ عندما رفضوا زيد بن علي بن الحسين رحمه الله.

التشيع الثالث:
من الطعن والبراءة إلى النص والعصمة.

إذا كانت عقيدة التفضيل "تفضيل علي على عثمان ثم تفضيله على جميع الصحابة" قد ظهرت في صفوف الشيعة في الثلث الأخير من القرن الأول، حتى صارت عقيدة "**أكثرية**" شيعة الكوفة بعد العشرين والمائة، فإن ثمة تطوراً مهماً آخر قد ظهر وتدرجت حتى صارت عقيدة الأكثرية ألا وهي عقيدة النص والعصمة، وفيما يلي سأحاول قدر المستطاع رصد هذا التطور المهم.

---

(١) نقله الشاطبي في الاعتصام٢/٧٣٢ قال: قال الغزالي في بعض كتبه. -وقد بحثت عنه فلم أجده-.والله أعلم

(٢) الاعتصام للشاطبي٢/٧٣٢

أولا: مقدمة النص "نظرية الوصية".

لعل أول درجات "عقيدة النص" هو ظهور نظرية الوصية(١)، فقد سجّل علماء الفِرَق بأن عبد الله بن سبأ اليهودي قد أشهر القول بفرض إمامة علي رضي الله عنه، متخذاً من نموذج يوشع بن نون والقول بأنه كان وصياً لموسى –كما كان يعتقد ابن سبأ في يهوديته–، إلا أن إنكار علي بن أبي طالب ورفض أئمة آل البيت لهذه الفكرة جعل فكرة الوصية محصورة.

بيد أن التطورات الخطيرة في العهد الأموي وأبرزها فرض الملك الوراثي، ثم موقف الولاة من علي وشيعته هيئا لنمو هذه الفكرة(٢).

كما أن احتضان الكيسانية(٣) للقول بالوصية في القرن الأول وتطبيقه على الحسنين ثم أخاهم ابن الحنفية رضي الله عنهم وهكذا إلى من بعدهم، يعد تطورا للنظرية(٤).

لكن تناحر الكيسانيّين واختلافهم في تعيين الأوصياء، علاوة على الغلو المفرط

---

(١) كان ابن سبأ أول من أشهر القول بإمامة علي عن طريق نظرية الوصية وليس نظرية الإثني عشرية، والفرق بينهما أن الوصية تعني أن الرسول قد عين عليا وصيا له، وفي نظريته أن علي هو خاتم الأوصياء، وأما النظرية الإمامية فتقول بأن الرسول قد سمى عددا من الأئمة بعده إلى يوم القيامة. يقول المامقاني: "ذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى، فقال في إسلامه مثل ذلك في علي رضي الله عنه" . انظر: تنقيح المقال٢/١٨٢-١٨٤ ، وانظر مقالات الإسلاميين ١/٥٠. الفرق بين الفرق٢٣٣-٢٣٥. انظر المقالات والفرق للقمي ١١٩، وفرق الشيعة للنوبختي ٢٢

(٢) انظر تطور الفكر السياسي الشيعي للكاتب ٣٣.

(٣) هم أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاحب شرطة المختار الثقفي، استطاع أن يقنع المختار بأفكاره فقام المختار بالخروج طالباً دم الحسين ومتبنياً للفكر الكيساني، وقد أظهروا القول بتتابع الوصية بعد الحسن والحسين إلى أخاهم محمد بن الحنفية (٨١هـــ)، وهم فرق متعددة يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، وأحاطوا شخصية ابن الحنفية بألوان من الغلو .انظر: الملل والنحل للشهرستاني١/١٧٠. الفرق بين الفرق ٣٨. مقالات الإسلاميين١/٨٩

(٤) انظر تطور الفكر السياسي الشيعي للكاتب ٣٤.

الذي أظهره المختار الثقفي[1] لّما تغلب في العراق أدى إلى رفض كثير من عامة الشيعة له. وهو ما أدى إلى تقلص أتباعه في الموالي والعبيد. ومن ثم سقوط إمارته[2].

ثانيا: من الوصية إلى النص والعصمة.

ولمعرفة الفترة التي نشأ فيها القول بالنص وانتشر، نقف على روايتين مهمتين:

أ. إنكار الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه للنص[3]

فقد قيل له: ألم يقل رسول الله: (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟. فقال: بلى، ولكن والله لم يعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به[4].

فإذا كان الحسن بن الحسن رحمه الله قد توفي سنة (٩٩هـ)، فإن هذا النص يدل على أن القول بالنص بدأ في الظهور قبل ذلك. غير أننا يمكن أن نجزم بأن هذه العقيدة لم تكن هي الرأي العام لدى الشيعة في ذلك الوقت وحتى سنة (١٢٢هـ)

---

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، يعد من أبرز الثائرين على بني أمية، قام مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ثم استأذن ابن الزبير ليدعوا له في الكوفة، فذهب إليها وأخذ يدعوا الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية وادعى أنه استخلف، فبايعه خلق كثير من أهل الكوفة، واستطاع أن يتغلب على واليها ثم قام بتتبع قتل الحسين رضي الله عنه، ثم إن السبئية أخذت تغرر بالمختار فأظهر ألواناً من الغلو مما جعل كثيراً من أهل الكوفة يتخلون عنه، ولم يبق معه إلا الموالي. انظر: الفرق بين الفرق ٣١-٣٧، الإصابة ت ٨٥٤٧، الأعلام٧/١٩٢

(٢) ذكر أبو طاهر البغدادي بأن السبئية لما حملوالمختار الثقفي على الغلو، فأصبح يتكهن ويدعي الوحي مما جعل أهل الكوفة يخرجون عليه. انظر الفرق بين الفرق ٤٣-٥٢

(٣) هو أبو محمد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المدني. كان ولي صدقة جده، قال الذهبي: وكان يصلح للخلافة. توفي ٩٩ وقيل ٩٧هـ. سير أعلام النبلاء٤/٤٨٣-٤٨٧. تهذيب التهذيب٢/٢٦٢.

(٤) التهذيب لابن عساكر ٤/١٦٢.

لأن شيعة الكوفة (الأكثرية) لم ترفض زيد بسبب كونه غير منصوص على إمامته، بل بسبب عدم تبرّيه من الشيخين.

ب. إنكار عبد الله بن الحسن بن الحسن[1] رحمه الله لفكرة النص والعصمة.

فقد جاء عنه أنه قال: " ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله"، وكان ينفي كون إمامة أمـــير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنها من الله[2].

فإذا كان عبد الله قد توفي سنة(١٤٥هـــ) فإن إنكاره رحمه الله يؤكد ظهور فكرة "النص والعصمة" في هذه الفترة، مما يعطي دلالة على انتشار هذا القول.

ت.إنكار الإمام جعفر الصادق رحمه الله لفكرة النص والعصمة.

فقد جاءه وفد من شيعة الكوفة فسألوه: يا أبا عبد الله إن ناسا يأتوننا يزعمون أن فيكم أهل البيت إماما مفترض الطاعة؟.. فقال لهم: لا، ما أعرف ذلك في أهل بيتي، فقالوا: يا أبا عبد الله إنهم أصحاب تشمير وأصحاب خلوة وأصحاب ورع، وهم يزعمون أنك أنت هو. فقال: هم أعلم وما قالوا، ما أمرتهم بهذا[3].

---

(١)هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(١٤٥هـــ)، والد محمد (النفس الزكية)، من التابعين، يلقب بالمحض سمي بذلك لأن أباه الحسن بن الحسن وأمه فاطمة بنت الحسين، كانت له مكانة عند عمر بن عبد العزيز، وكان يشبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وكان شيخ بني هاشم في زمانه، وكان قوي النفس شجاعاً ، سجنه المنصور ليدله على ابنه"، كان مؤيدا لخروج ابنه محمد"النفس الزكية" فسجنه المنصور وعذبه ليدله على ابنه وقيل إنه مات في السجن ولكن رجح ابن كثير أنه قتل صبرا. مقاتل الطالبيين ١٢٨، سير أعلام النبلاء٦/٢١٣-٢١٤، الأعلام ٧٨/٤ ،عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة ٧٠، نشأة الشيعة الإمامية١٨٣، وانظر كسر الصنم٣٠٥.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ١٥٣، ١٥٦

(٣) بصائر الدرجات للصفار ١٧٤-١٧٦. الإرشاد للمفيد ٢٧٥.

فإذا علمنا أن الصادق قد علت إمامته بعد وفاة أبيه الباقر سنة ١١٤هـ. وحتى وفاته سنة ١٤٨هـ. فإن هذا يعطي دلالة على أن الذين ينشرون هذه الأفكار كانوا أناسا يأتون ويحضرون حلق الصادق في المدينة، ثم يذهبون إلى الكوفة ويكذبون عليه، وهو ما أدى إلى انتشار هذه الفكرة في هذه الفترة، وبشكل أدق بعد ١٢٢هـ، وهي السنة التي سبق وأن ذكرنا بأن التاريخ يثبت أن هذه الفكرة لم تنتشر بعد بين شيعة الكوفة بشكل كبير، لأن أهلها لم يرفضوه بسبب عدم النص عليه بل لأنه لم يتبرأ من الشيخين.والله أعلم.

والخلاصة هي أن فكرة الوصية قد تطورت إلى القول بالنص والعصمة قبيل نهاية القرن الأول ولكنها كانت فكرة محدودة الانتشار وكانت تلقى معارضة من سادات آل البيت الموجودين بشكل كبير في المدينة-ذات التشيع الصافي-، ولعل الانتشار الواسع الذي بدأ بين شيعة الكوفة بعد ١٢٢هـ.

التشيع الرابع:
من النص المفتوح إلى تحديد العدد باثني عشر.

ما إن ترسخت فكرة النص في أذهان كثير من شيعة العراق، حتى بدأت هذه النظرية تواجه الأزمات واحدة تلو الأخرى، فمن أزمة موت إسماعيل في زمن أبيه الصادق، إلى أزمة الطفولة التي تكررت مرتين وصولا إلى الأزمة الكبرى؛ وهي موت الإمام الحادي عشر بلا ولد، وهو ما خلق أزمة حقيقية لم تدع أمام منظّري الإمامية من خيار إلا ختم نظرية الإمامة بفكرة الولد المختفي، والقول بأنه المهدي المنتظر وذلك عام ٢٦٠هـ (١).

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في (فصل أحمد الكاتب) القادم ص٣٤٦

وقد كانت هذه النظرية هي إحدى الحلول الأربعة عشر للمنقسمين على بعضهم من الشيعة المنتسبين إلى الحسن العسكري رحمه الله، إلا أن هذه النظرية هي النظرية التي كتب لها البقاء والانتشار بالشكل الأوسع بين فئات الإمامية(١).

هكذا تطور التشيع من التفضيل إلى التشيع الاثني عشري، ويبقى الحديث عن التطور في مسائل أخرى لا تتعلق بصلب التشيع والإمامة، مثل نسبة ما يتعلق بالله للأئمة أو صرف بعض العبادات لغير الله، والقول بتحريف القرآن وغيرها، وهي- مع خطورتها-من المسائل التي أُلحقت بالنظرية الإمامية لأغراض وأسباب متعددة. كما إنها-وإن كانت عند بعضهم من ضروريات المذهب- إلا إنه لا تعبّر عن حقيقة الإمامة، فإن الرجل في التقييم قد يكون إمامياً ولا يقول بتحريف القرآن كالشريف المرتضى(٢)، وقد يكون إماميّاً ولا يرى صرف شيء من العبادات لغير الله مثل السيد محمد حسين فضل الله(٣). ولهذا آثرت أن لا أدرجها في تطور العقيدة الإمامية. والله أعلم.

---

(١) من المسائل المهمة التي تحتاج إلى دراسة هي جمع الأسباب التي جعلت نظرية الاثني عشرية تصمد من بين بقية النظريات الاربعة عشر، وتحليل ذلك.

(٢) انظر الفصل لابن حزم٥/٢٢.(بهامش الملل والنحل)

(٣) انظر تفاصيل ذلك الفصل ص ٥١٧-٥٣٢

الباب الأول:

التحولات المحمودة إلى خارج المذهب

في هذا الفصل سيتم إلقاء الضوء على بعض الشخصيات المتأخرة التي كان لها إسهام كبير في إجراء مراجعات أساسية أدت بهم إلى التخلي عن الفكرة الأساسية للمذهب وهي القول بالإمامة -حسب مفهوم الإمامية-، كما أن مراجعاتها شملت أبواباً ومسائل أخرى تتعلق بمسائل الاعتقاد مثل علم الغيب وصرف العبادة غير الله، ومسألة تحريف القرآن وغيرها من المسائل المهمة.

ومن المهم أن يعلم القارئ الكريم أن الحكم على أحد **هذه الشخصيات بأنها قد خرج من الإمامية لا يعني بالضرورة أنه أصبح ينتسب إلى أهل السنة والجماعة**، ولا أنه ترك كل ما لدى الشيعة من الأقوال، بل قد نجد من تخلى عن القول بالإمامة وأصبح من المفضلة، أو قد يكون ترك القول بالإمامة ولكنه لا يزال جعفرياً في الفروع، وقد يكون ترك تكفير الصحابة ولكنه لا يزال يتبنى عدم تعديلهم لمجرد الصحبة، أو لا يزال لديه نظرة تاريخية خاطئة لبعض الأحداث، أو يتبنى آراء مشوشة عن بعض علماء أهل السنة مثلاً وهكذا .

وعلى المنصف أن لا ينظر إلى ما بقي لدى أمثال هذه الشخصيات مما يعده خللاً فقط، بل عليه أن يقدّر لمثل هذه الشخصيات جهادهم وشجاعتهم في مواجهة الانحرافات، وجرأتهم في نصرة ما بان لهم من الحقيقة، ومدافعة الخرافة والغلو الذي قد سكت عنه بعض من جاورهم من أهل السنة، خوفا من تبعات الدعوة والتصحيح.

وجماع العدل والإنصاف في النظرة لمثل هؤلاء أن يوزن كل أحد بما جمع من الخير والشر، والحسنات والسيئات بموضوعية تامة.

وفي مقابل هذا يجب أن لا تقودنا النشوة في النظرة إلى أمثال هؤلاء الذين أخذوا ينتقدون كثيراً من الانحرافات في المذهب الإمامي، فنغفل عن بعض أحكامهم وآرائهم المغلوطة.

وعلى سبيل المثال: قد نجد بعض المتحولين من يجمع مع انتقاله عن الإمامية بعض التعدي المحرّم (على بعض الإمامية)، فيجب أن لا تقودنا الفرحة بانتقاله إلى صفوف أهل السنة إلى السكوت عن بعض ما قد يقع فيه ذلك المتحول من البغي والتعدي على (بعض

الإمامية) أو (أعلام أهل البيت)، بل نقر له بما سعى في بيانه من الحق ونرد عليه بغيه وتعديه على أي أحد.

وفي هذه الفصول القادمة سأكتب ما رأيت من الملاحظات التي بدت لي على الشخصيات الآتية، ولا أدعي أنني حصرت جميع الملاحظات على كل شخصية، بل قد يكون فاتني شيء لم أنتبه له أو لم اطلع عليه، كما أن ملاحظاتي قابلة للنقاش، فهي تمثل في هذه الحالة وجهة نظر.

الفصل الأول:

أبو الفضل البرقعي

"وفي تلك الأعوام كنت أجد فراغاً في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله ، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات ، وغافلون عن كتاب الله، وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه"

البرقعي

المبحث الأول: ترجمته

اسمه ونسبه:

"هو أبو الفضل بن الحسن بن حجة الإسلام السيد أحمد بن السيد رضى الـــدين بن السيد يحيى بن ميرزا ميران بن يحيى بن مير محسن بن مير رضى الدين بـــن الـــسيد محمد بن مير فخر الدين بن مير حسين بن بادشاه بن مير أبو القاسم بن مير بن أبـــو الفضل بن بندار بن عيسى بن أبي جعفر محمد نب أبو القاسم بن علـــي بـــن علـــي محمد بن أحمد بن محمد بن الأعرج بن السيد أحمد بن موسى المبرقع بن محمد الجـــواد عليه السلام"(١).

ينتهي نسبه إلى محمد الجواد بن موسى الرضا، ولذا ينسب تارة إلى الرضا فيقـــال الرضوي، وتارة إلى موسى المبرقع بن الجواد فيقال البرقعي وهو الأشهر في نسبته.

ولادته ونشأته:

ولد البرقعي سنة ١٣٢٩هـــ أو ١٣٣٠ هـــ (٢) في مدينة قم(٣) ، وبدأ فيها طلب العلم وعمره أحد عشرة أو اثنا عشرة سنة في المدرسة الرضوية، وهي مدرســـة علمية كانت تخصص لكل طالب غرفة يسكنها، ولكن نظراً لصغر سنه فلم يخصصوا له غرفة، مما جعله يطلب من حارس المدرسة أن يترك له غرفة أدوات النظافة (طولهـــا متر وعرضها متر) ، وهي غرفة صغيرة، لا يوجد لها باب، فسمح له الحارس بـــذلك

---

(١) ملحق تعريف البرقعي بنفسه في كسر الصنم ٢٧٤

(٢) لم يذكر البرقعي سنة ولادته ، ولكنه ذكر أنه بدأ طلب العلم سنه ١٣٤١ هـــ وعمره أحد عشر أو اثنا عشر عاما .(انظر كسر الصنم ٣٧) ومما يؤيد ذلك أنه رحمه الله ذكر أن عمره وقت ثورة الخميني كان قد وصل السبعين (انظر كسر الصنم ٣٩٦).

(٣) قم: -بالضم والتشديد- كلمة فارسية، مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيهـــا. يقال بأن أول من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعري. انظر: معجم البلدان ٤/٣٩٧-٣٩٨

بعد أن وضع لها باباً مكسوراً، يقول البرقعي: " وأتيت ببساط من بيت والدي وفرشت به تلك الغرفة وبدأت بالدراسة، وكنت مقيماً في تلك الحجرة التعيسة ليلاً ونهاراً كما أنها لم تكن تقيني الحر ولا البرد لأن بابها كان مكسوراً، ومليئاً بالشقوق"(١) .

وقد واصل الدراسة فيها حتى أكمل مرحلة الخارج التي تمثل أخر مرحلة لطالب الحوزات العلمية الشيعية، ومن بعدها صار أحد مدرسي الحوزة (٢).

أبرز شيوخه:

من أبز الشيوخ الذين تلقى عنهم أبو الفضل البرقعي(٣) :

١. آية الله العظمى عبد الكريم الحائري اليزدي(٤).
٢. آية الله العظمى حجت كوة كمرة(٥).
٣. آية الله العظمى أبو الحسن الأصفهاني(٦).

---

(١) انظر ملحق الترجمة في كسر الصنم٣٧٧.

(٢) تنقسم الدراسة في الحوزة إلى ثلاثة مراحل : الأولى :المقدمات . الثانية: السطح . الثالثة: الخارج.

(٣) ملحق كسر الصنم ٣٧٤

(٤) هو عبد الكريم بن محمَّد جعفر الحائري اليرزدي، أحد علماء الشيعة الإمامية، ولد في مهرجرد إحدى قرى يزد في إيرن سنة ١٢٧٦هـ. تعلم في يزد ثم في العراق ثم ذهب إلى مدينة قم سنة ١٣٤٠هـ، وأصبح زعيما للحوزة في قم حتى توفي سنة ١٣٥٥هـ. انظر: أعيان الشيعة ٤٢/٨.

(٥) هو حجت كوه كمره ولد سنة ١٣١٠هـ، وتوفي سنة ١٣٧٢هـ

(٦) هو أبو الحسن محمَّد بن عبد الحميد بن محمَّد الموسوي الأصفهاني، أحد علماء الإمامية، ولد في قرية «مديس» في أصفهان سنة ١٢٨٤هـ، وبها تعلم، وقد هاجر بعدها إلى النجف سنة١٣٠٨هـ، شارك في ثورة العشرين، ثم نفي إلى إيران، وبعدها قبل العودة بشرط عدم التدخل

٤. آية الله العظمى شاه آبادي (١٣٦٣هـ).

٥. الحاج الشيخ محمد علي القمي[١].

٦. ميرزا محمد السامرائي[٢].

مكانته العلمية:

لقد بلغ البرقعي مترلة كبيرة، حتى قال عنه آية الله أبو القاسم الكاشاني[٣] : " إن جناب العالم العادل حجة الإسلام والمسلمين السيد أبو الفضل البرقعي الرضوي قد صرف أكثر عمره الشريف في تحصيل المسائل الأصولية والفقهية حتى صار ذا قوة قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها " [٤]

كما وصفه آية الله العظمى السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني بأنه : "ممن بذل جهده في تحصيل الأحكام والمعارف الإلهية برهة من عمره وشطراً من دهره مجدّاً في الاستفادة من الأساطين ، حتى بلغ مرتبة عالية من الفضل والاجتهاد ، مقروناً بالصلاح والسداد ، وله التصدي في الأمور الحسية، وفيما لا يجوز لغير الفقهاء والمجتهدين التصدي لها "[٥].

في السياسة، آلت إليه المرجعية في النجف مع النائيني، وتوفي في الكاظمية في التاسع من ذي الحجة سنة ١٣٦٥هـ.انظر: أعيان الشيعة ٢/ ٣٣٢. معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١/ ١٢٩

(١) هو **محمد علي القمي** الكربلائي الحائري، مشهور بكتابه : كفر الوهابية، توفي سنة ١٣٨١هـ.انظر معجم المؤلفين ٣ / ٢١٧.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) هو ابو القاسم بن مصطفى الكاشاني، كانت له مشاركات سياسية بارزة منها في ثورة العشرين، والدخول مع مصدق في حكومته التي أممت نفط ايران ، توفي ١٣٨١هـ. انظر نقباء البشر ١/٧٥.

(٤) ملحق كسر الصنم ٢٧٤

(٥) ملحق كسر الصنم ٣٧٥

ولمكانته التي وصل لها من الاجتهاد العلمي فقد أجازه الأصفهاني بأخذ الخمس من سهم الإمام – على ما هو جار في مذهب جمهور الشيعة-وهي مرتبة المرجعية عندهم، كما حرّم عليه الكاشاني التقليد، إذاناً برسوخه الفقهي في المذهب الإمامي(١).

كتبه ومؤلفاته:

كتب البرقعي ما يزيد على خمسة وثلاثين كتاباً، منها:

١. مرآة الآيات – أو المرشد لموضوعات القرآن.
٢. كنز الذهب أو ألف وخمسمائة حديث للرسول صلى الله عليه وسلم.
٣. كلمات قصيرة لسيدنا سيد الشهداء.
٤. كنز الحقائق كلمات الإمام الصادق.
٥. كنز الكلام كلمات الإمام الحسين.
٦. كنز الجواهر كلمات الإمام الباقر.
٧. رسالة الحقوق بين حق الخالق والمخلوق.
٨. الأربعين من أحاديث خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله وسلم)
٩. النظام الجمهوري الإسلامي.
١٠. جامع المنقول في سنن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)-عشرة مجلدات-.
١١. تراجم الرجال – عشرة مجلدات-
١٢. تراجم النساء –مجلدين-
١٣. دعبل الخزاعي وقصيدته التائية.
١٤. الإسلام دين السعي والعمل.
١٥. ترجمة المختار الثقفي.

---

(١) انظر ملحق كسر الصنم ٣٧٤-٣٧٥ .

١٦. سيد جمال الدين الحسيني والشيخ فضل الله النوري.

١٧. تفسير(تابشي از قرآن= قبس من القرآن) وهو ترجمة لقـــرآن وتوضــيح لآياتــه ومقدمة تحوي ٢٧موضوعاً.

١٨. الجبر والتفويض.

يقول البرقعي : وقد ألفت الكتب التالية لحرب الخرافات والعقائــد الباطلــة التي تنسب إلى الإسلام :

١٩. التفتيش في بطلان مذهب الصوفي والدرويش.

٢٠. حقيقة العرفان.

٢١. فهرس عقائد العرفان والصوفية.

٢٢. فهرس عقائد الشيخية ومخالفتها للإسلام .

٢٣. العقل والدين في العدل والتوحيد

٢٤. العقل والدين في النبوة والمعاد .

٢٥. العشق والمعاشقة في نظر العقل ولدين

٢٦. الشعر والموسيقى –المصالح والمفاسد.

٢٧. دراسة دعاء الندب.

٢٨. دعاء الندب ومخالفة عباراته للقرآن.

٢٩. درس من الولاية.

٣٠. جواب الإشكالات على دروس من الولاية.

٣١. الخرافات الكثيرة في زيارات القبور.

٣٢. تحريم المتعة في الإسلام .

٣٣. حديث الثقلين.

٣٤. كسر الصنم، أو عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول، درست فيه روايـــات الكافي.

٣٥. دراسة علمية لأحاديث المهدي، درس فيه الأحاديث المتعلقة بالمهدي.

٣٦. مخالفة مفاتيح الجنان لآيات القرآن.

منظومات البرقعي:

٣٧. المثنوي المنطقي – محمدان

٣٨. غلشن القدس=حديقة القدس

٣٩. منظومة في الأسماء الحسنى

٤٠. مجموعة من الأشعار

٤١. ديوان (حافظ شكن= كسر حافظ)

الكتب التي ترجمها البرقعي من العربية إلى الفارسية:

٤٢. الصحيفة العلوية

٤٣. أحكام القرآن للشافعي رحمه الله

٤٤. التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب

٤٥. نهج البلاغة

٤٦. تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم والمصالح المتعلقة بها للصابوني

٤٧. المذاهب الخمسة

٤٨. المنتقى مختصر منهاج السنة لابن تيمية ، سماه :(رهنحووسنت)

وفاته:

كانت وفاته رحمه الله تعالى عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م(١).

---

(١) كسر الصنم / مقدمة المترجم ص٢٤.

المبحث الثاني: مراحل تحوله

المتتبع لسيرة أبي الفضل البرقعي يجد أنه قد مر فيها بثلاث مراحل ، وهي كالتالي :-

المرحلة الأولى:
البرقعي والتعصب للإمامية.

[..... - حتى عام ١٩٤٩م]

وهذه هي المرحلة التي عاشها البرقعي أيام شبابه، فقد نشأ في بيت شيعي إمامي و اجتهد في تعلم مذهب الإمامية حتى أثنى عليه بعض أبرز علماء المذهب بأنه ذو "قوة قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها"(١) ، ولذا نال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري من عدّة مراجع في المذهب الإمامي.

سمات هذه المرحلة

أولا : السمات العامة:

١. استبداد القيادة السياسية

عاشت إيران في هذه الفترة تسلط " رضا بهلوي " ثم ابنه"محمد" من بعده، وقد كانت السياسة المتبعة هي سياسة القمع والإرهاب(٢).

٢. محاربة الدولة للحجاب.

فقد بدأ شاه إيران "رضا بهلوي" بفرض لباس موحد للرجال ، كما ألزم النساء بخلع الحجاب .

---

(١) قالها الكاشاني . كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٤

(٢) كسر الصنم ٣٧٧

يقول البرقعي: " وقد كانت المرأة في تلك الأيام ملتزمة بالحجاب من رأسها وحتى قدميها ولم يكن يرى منها شيء، حتى وجهها لم يكن يعرف من ظهرها، وكانت مسألة الحجاب هذه مسألة شديدة الوقع على الشعب الإيراني" كما ذكر أن الناس اعتصموا في -ما يسميه الشيعة في إيران-"حرم الإمام الرضا" احتجاجاً على هذا فرض خلع الحجاب. وقد انتهى الأمر بإرسال وحدات من الجيش بأمر الشاه الإيراني وبعد الحصار تمت المصادمة مما أوقع أحد عشر ألف بين قتيل وجريح دفنوا -كلهم قتلى وجرحى- في مقابر جماعية ، كما تم سجن ونفي مجموعة من وجهاء الناس (١) .

٣. غلبة الخوف على العلماء والناس عموماً.

فلم يكن أحد يجرؤ -آنذاك- على مصادمة الدولة، نظراً لبطش الشاه وحكومته، بل الحال كما يقول البرقعي: "وفي تلك الفترة قلّ ما كان يجرؤ أحد من العلماء والكبار على التفوه بكلمة ضد الدولة، وقد غلب الخوف على الجميع"(٢).

٤. احتلال إيران أثناء الحرب العالمية الثانية.

تعرضت إيران أثناء الحرب العالمية الثانية للهجوم من قبل الحلفاء لاسيما بعد انحياز الشاه لألمانيا، حيث توقع أن يكون النصر حليفاً لها، فأراد أن يبادر لمحالفتها من أجل أن يظفر منها على حصة من القفقاز، فدخل معها في حلف عسكري واقتصادي ، مما أثار عليه حفيظة بقية الحلفاء.

وبعد هزيمة الألمان، تحوّل الحلفاء إلى إيران، وطلبوا من رضا بهلوي التخلي عن العرش، فسلمه الملك لابنه ، و تم نفيه إلى جزيرة (موريشس)، ثم منها إلى مدينة

---

(١) كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٧-٣٧٨

(٢) كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٨

(جوهانسبرغ) في اتحاد جنوب أفريقيا والتي لم يمض أعوام حتى مات فيها سنة ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م(١).

وقد سلّم الإنكليز وروسيا مقاليد الحكم من بعد رضا لابنه محمد الذي لم يعتبر بما حصل لوالده ، بل سار على نفس خطى أبيه في معاداة شعبه والعمالة التامة للكفار، ولكنه في هذه المرة للحلفاء بدلا من ألمانيا التي كانت الحليفة الأكبر لوالده(٢).

٥. **تسلط بعض المراجع الدينية.**

ففي تلك الفترة كان للشيعة مرجعاً واحداً في العالم، وكان الشيعة ينصّبون من يرون فيه تحقق شرط "الأعلمية" في المذهب، لكن الواقع أن الحصول على المرجعية كانت تخضع لظروف أخرى من قبل بعض المتنفذين السياسيين أو الشرعيين.

فبعد موت أبي الحسن الأصفهاني – وكان المرجع الأعلى للشيعة – فوجئ الشيعة بتنصيب البروجردي(٣) مرجعاً عاماً لهم من دون أن يكون منهم ترشيح له(٤).

---

(١) انظر التاريخ الاسلامي لمحمود شاكر١٨ /٦١-٧٠

(٢) المرجع السابق ٣٧٩

(٣) هو آية الله العظمى السيد حسين بن عليّ بن أحمد بن عليّ بن أحمد بن عليّ نقي بن جواد بن مرتضى بن محمود ابن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي،، ولد سنة ١٢٩٢هـ، آلت إليه المرجعية العليا في قم بعد وفاة أبي الحسن الاصفهاني، وآقا حسين القمي، وله مشاركات في دعم فكرة مجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة، لم تكن علاقته طيبة بالشاه الأب (رضا خان البهلوي)، على حين أنه على العكس من ذلك في عهد وابنه محمد رضا. من أشهر كتبه: جامع الفروع، وتعليقة على كفاية الأصول، وحاشية على العروة الوثقى توفي سنة١٣٨٠هـ. انظر أعيان الشيعة، ج ٦، ص ٩٢، ٩٣. أو موقع:
www.al-shia.com/html/ara/ola/rezvan/t-brojerdi.htm - ٧k

(٤) من المراجع الذين كانوا يعدون أعلم من البروجردي في وقته : حجت كوه كمري القمي ومحمد تقي الخونساري القمي والصدر الأول في النخف وحسين طباطبائي القمي وغيرهم.

يقول البرقعي رحمه الله : " وصل البروجردي إلى المرجعية وأحاط به عدد من المشايخ الذين يعبدون المال، وهكذا أوصلوه إلى العرش حتى غدا كل من أراد من العلماء أن يتفوه برأيه أن تم سحقه وتكميمه" (١).

ثانياً : السمات الخاصة بالبرقعي.

١. التعصب للمذهب

وفي هذه المرحلة لم يكن للبرقعي أي محاولة إصلاحية ، بل إنه – ولشدّة تمسكه بالمذهب الإمامي- كان يساهم في الرد على من يقدم الأطروحات النقدية ، فقد قام بالرد على أحمد الكسروي الذي كان يكتب في نقد مذهب التشيع الإمامي(٢).

٢. الجرأة والقوة في الحق.

ففي الوقت الذي يُحْجِم فيه كبار علماء إيران عن التفوه بأي شيء لا يرضي الدولة ، خاصة بعد فرض خلع الحجاب ، نجد البرقعي يقوم بخطوات جريئة ونادرة.

يقول رحمه الله- بعد ذكره لما جرى للناس الذين احتجوا على فرض خلع الحجاب – : " وفي تلك الفترة قلما كان يجرؤ أحد من العلماء والكبار على التفوه بكلمة ضد الدولة، وقد غلب الخوف على الجميع، وكنت في قم فأصدرت إعلاناً ودعوت الناس فيه إلى القيام والتحرك ولما لم أجد من يستجيب لندائي، اضطررت أن أخرج ليلاً فألصق الإعلانات على الجدران بنفسي في أسواق وأزقة المدينة، ولكني لم أر تحركاً من أحد، ثم أصبحت الدولة أشد جرأة ومنعت كلياً تعليم الدين والخطابة . وكان يتوجب علي أن أخطب سراً أينما ذهبت، ومر عامان أو ثلاثة على هذا المنوال إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية"(٣) .

---

(١) المرجع السابق ٣٨٢

(٢) كسر الصنم .مقدمة المترجم ٢٣.

(٣) كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه٣٧٨-٣٧٩

ومن الخطوات الجريئة التي قام بها البرقعي في هذه الفترة: مساهمته في تكوين جماعة "فدائيو الإسلام"والتي تطورت فيما بعد إلى " حرس الثورة " فقد ذكر البرقعي أن عدداً من طلاب الحوزة في قم الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمسة عشر واثنين وعشرين عاماً كان بعضهم يدرس عنده كونوا هذه الجماعة، مستفيدين من بيت البرقعي للاجتماع والترتيب للجماعة(١).

---

(١) انظر كسر الصنم ،ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٧٩-٣٨٠ وفيه بعض ما قاموا به مع البرقعي من أعمال جريئة.

المرحلة الثانية :

البرقعي والإصلاح عن طريق السياسة

(من ١٣٦٧هـ - ١٣٧٢هـ)

(١٩٤٩م- ١٩٥٣م)

هذه المرحلة هي التي خاض فيها البرقعي صراعاً سياسياً بغية إصلاح ما وضح له من الانحراف على المستوى الشرعي والسياسي في مجتمعه، وحتى نقف على السمات الفكرية للبرقعي في هذه المرحلة، لابد أولا أن نقف على سمات هذه المرحلة عموماً.

سمات هذه المرحلة:

أولا : أبرز السمات العامة :

١. **انقسام العالم إلى تيارين(رأسمالي و شيوعي)**

فبعد الحرب العالمية الثانية انقسم العالم إلى معسكرين متنافسين هما المعسكر الرأسمالي والمعسكر الشيوعي، وكانت إيران مجالاً لتنافس هذين المعسكرين(١)، فبريطانيا – ومن خلفها أميركا- تسعى للنفوذ الاقتصادي والسياسي في إيران ، وروسيا كانت تضغط للحصول على امتياز التنقيب عن النفط، وفي إيران أحزاب سياسية متصارعة يؤيد كل واحد منها أحد المعسكرين(٢).

---

(١) مما يبين مدى تنافس الدول الكبرى آنذاك على السوق الإيرانية أنه في عام ١٣٥٦ هـ كان عدد الشركات الأجنبية في إيران

٣٥١ شركة ألمانية، و٢٨٥ شركة بريطانية، و١٧٧ شركة أمريكية، و ١٤٣ شركة روسية، و١١٨ شركة فرنسية.انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٦١/١٨

(٢) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر١٨/ ٧٧-٧٨

٢. إعلان دولة إسرائيل

ففي هذه الفترة وتحديداً في عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م أعلن اليهود عن قيام دولتهم، واعترفت بها مباشرة إنجلترا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وغيرهم من الدول الغربية، كما اعترفت بذلك حكومة إيران -ومثلها تركيا-، إرضاء لبريطانيا من جهة، وإظهاراً للدول الغربية بأن إيران لا ارتباط لها بالإسلام بل هي علمانية تحررية (١).

٣. تولي محمد مصدق رئاسة الوزراء

وصل محمد مصدق هو وآية الله الكاشاني – الذين كانا يمثلان تيار المتدينين المصلحين (سياسياً)- إلى قائمة رجال الدولة السياسيين بعد جهاد طويل منهم ومن أنصارهم في معركة الانتخابات(٢)، ولكن بعد تعرض الشاه محمد البهلوي للاغتيال في يوم الجمعة السابع من ربيع الثاني عام ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، استغلت الحكومة هذا الحادث لتنغي هذه الحكومة، فقامت باعتقالات واسعة في صفوف المعارضة، وكان من الذين اعتقلوا آية الله الكاشاني الذي نفي بعد ذلك إلى لبنان.

وفي عام ١٣٧٠هـ – ١٩٥١ عمت إيران فوضى فاضطر الشاه لتكليف مصدق-الذي يعد مقبولاً من عدّة أطراف- بتشكيل وزارة من أجل تهدئة الشارع الإيراني.

وقد بقي مصدق في الحكم سبعة وعشرين شهراً، أصدر فيها أحد أخطر القرارات في تاريخ الصراع الإيراني الغربي؛ ألا وهو تأميم النفط الإيراني، فأعلن

---

(١) المرجع السابق١٨/٧٩

(٢) يقول البرقعي: وكان أنصار الكاشاني يسهرون الليل كله أيام الانتخابات حتى الفجر بجوار صناديق الاقتراع كي لا يتمكن أحد من تزوير الانتخابات فيفوز أحد غير الكاشاني ومصدق، إلى أن فازا فعلاً بفعل نشاط أنصارهما، وأصبح الكاشاني ومصدق نائبين لطهران في المجلس مما اضطر الدولة إلى إعادة الكاشاني من لبنان إلى إيران. كسر الصنم (ملحق ترجمة المؤلف لنفسه) ص٣٨

مصادرة أملاك البريطانيين. وأخذ امتيازات النفط منـــهم، ولمـــا طبـــت بريطانيـــا التفاوض، طلب أثناء المفاوضات معهم دفع مائة وأربعين مليون دولار كتعويـــضات لإيران فانسحب البريطانيون من المفاوضات.

حاول الشاه أن يتدارك الأمر فأرسل رسالة لمصدق يقضي فيها بإقالة وزارتـــه، فرفض ذلك مصدق والكاشاني وأعلنا الانقلاب على الشاه فثار الناس معهم ، فهرب الشاه إلى روما، وعمت الفوضى البلاد فخشيت أمريكا أن يسيطر المتـــدينون علـــى البلاد فقامت بإرسال (كيرمت ابن الرئس روزفلت) فقام بتوزيع مبلغ مليـــون دولار لبعض من لهم القدرة على تهدأت الأمر، وفعلا تم ذلك ، ورجع الشاه مـــن رومـــا، وقدم مصدق للمحاكمة(١) .

٤ . **محاصرة جهود المتدينين**

قامت حكومة الشاه في هذه الفترة بمحاصرة للمتدينين لاسيما المصلحين منـــهم، وقد اتّخذ الشاه عدّة خطوات لهذا الأمر:

- تسليم المدارس التي يشرف عليها العلماء إلى وزارة التعليم
- الاستيلاء على الأوقاف
- قام الشاه بإطلاق حركة(الثورة البيضاء) وتهدف إلى إخضاع رجال العلم الـــشرعي إليه، وأخذ حصة مما يملكونه(٢).

٥ . **غياب دور العلماء**

يصف البرقعي أغلب العلماء في تلك الفترة بأنهم " بعيـــدون عـــن الاشـــتغال بالسياسة وأمور الحكم"، ومن جهة أخرى يسمي البرقعي بعض الشخـــصيات الـــتي كانت تمثل دوراً أشد سلبية، كالبروجردي الذي بارك عودة الشاه، مرســـلاً رســـالة

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٨/٨١-٨٣

(٢) المرجع السابق

نشرت في الصحف. وقد تضمنت الرسالة عبارة:"خلّد الله ملكه وسلطانه" أي الشاه(١).

كما يذكر البرقعي أن العاملين في الساحة الإيرانية كالكاشاني ومصدق والجبهة الوطنية –التي أسسها الخميني- لم تكن في تلك الفترة لها صدى في الناس- (٢).

أبرز السمات الخاصة بالبرقعي:

١. **اتصاله بالكاشاني .**

ففي عام ١٩٤٩م قدم البرقعي إلى طهران. واتصل بالكاشاني الذي وصفه البرقعي بأنه:" الذي وقف في وجه استبداد الدولة، وكان قد اشتهر بعض الشيء، وأما غيره من العلماء فكانوا إما ساكتين، أو أنهم يأكلون خبزهم يوماً بيوم ويوافقون على ظلم الشاه(٣) .

٢. **السعي في الإصلاح السياسي**

اقتنع البرقعي بأفكار الكاشاني في السعي للدخول في المضمار السياسي من أجل إصلاح أوضاع الناس الدينية والسياسية.

ويمكننا أن نتعرف على أفكار الكاشاني من رسالته التي أرسلها للبرقعي من لبنان- أثناء نفيه- والتي يقول فيها :

"يا برقعي؛ إياك أن تجعل المسجد متجراً كبقية المشايخ، بل أيقظ الشعب، ولا تلق بالاً لما يرددونه من أن الشيخ الصالح هو الذي ينقطع عن أمور الناس، ولا يبالي بشعبه، وابذلوا جهدكم لكي يتم انتخاب مصدق"(٤) .

---

(١) كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه٣٨٨

(٢) انظر كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٨٤

(٣) كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٨٣

(٤) كسر الصنم ملحق ترجمة المؤلف لنفسه ٣٨٥

وقد قام بذلك أبو الفضل البرقعي، فكان يسعى بكل ما أوتي من قوة في التنقل بين الناس لدفعهم للمشاركة في انتخاب مصدق .

المرحلة الثالثة:

البرقعي والإصلاح الديني.

من ١٣٧٢هـ- وفاته١٤١٢

١٩٥٣م- ١٩٩٢م

وفي هذه المرحلة دخل فيها البرقعي بشكل واضح في عملية نقدية جادة، فذهب يجاهد في محاربة الخرافة والغلو ونحوها من مظاهر البعد عن معالم الدين الخالص، ولكن بطريق ليس للسياسة فيه نصيب.

سمات المرحلة:

أولا: أبرز السمات العامة:

١. **زيادة الغليان الشعبي في إيران.**

فبعد إسقاط حكومة مصدق وزيادة التضييق على المتدينين ، وتفاقم مظاهر الفساد والإسراف والظلم، زاد غضب الناس ونقمتهم على الشاه وحكومته لاسيما المتدينون منهم سواء أهل السنة أو الشيعة.

٢. **قيام الثورة الإسلامية.**

من أهم ما حدث في هذه الفترة ؛ قيام الثورة الإسلامية في إيران في عام ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م .

و قد كانت الثورة تضم مختلف العناصر الناقمة على اختلاف مشاربها، لاسيما وأن كثيراً منهم قد أعجبه تصريح قائد الثورة بتطبيق الإسلام من دون عصبية لمذهب معين(١).

لكن الذي وقع بعد ذلك خلاف ما وعَدَ به قائدة الثورة ، فقد أعلن الشعار الإمامي بدلاً من الإسلام المحمدي، ورسخ مبادئ الغلاة. ولهذا بدأ النظام بالتضييق أو التصفية لجميع الرموز التي تخالفه سواء من السنة أو حتى من الشيعة(٢) .

ثانياً : السمات الخاصة بالبرقعي:

١. التفرغ للقراءة والبحث والنظر،وبخاصة القرآن.

في هذه السنوات وجد البرقعي فراغاً في الوقت أعانه على الوقوف على كثير من الحقائق التي اكتشفها من خلال البحث والاطلاع.

يقول رحمه الله : " وفي تلك الأعوام كنت أجد فراغاً في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله ، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات ، وغافلون عن كتاب الله، وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه"(٣).

٢. الاتجاه للتأليف وكتابة الرسائل لإصلاح اعتقاد الناس.

في هذه المرحلة اجتهد البرقعي في محاولة إصلاح الناس عن طريق التأليف وكتابة المقالات، يقول رحمه الله:" ثم قمت بتأليف كتب لإصلاح عقول الناس وآرائهم.... ولقد كنت أقصد من تأليف هذه الكتب أن أعرف الناس بكتاب

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر١٨/١٠١و١٠٥

(٢) المرجع السابق ١٦٧ وكسر الصنم ٣٩٦-٣٩٧

(٣) كسر الصنم ٣٩٠

الله والعقائد الإسلامية القرآنية، وأن ننتشل شعبنا من كيد أهل البدع وضلالاتهم"(١).

٣. تركيزه على الدعوة المباشرة (الخطب والدروس والمناقشات)

ففي هذه الفترة – وبعد أن تبين للبرقعي كثير من الخلل الذي لحق بالمذهب الشيعي- توجه بشكل كبير لدعوة الناس إلى التبصر وإعمال العقول، كما كان يبين لهم الاعتقادات الخاطئة والخرافات المنتشرة.

وقد بدأ أبو الفضل رحمه الله دعوته من مسجد (مادر(٢)) في طهران، حيث صار إماما له بعد إلغاء حكومة مصدق.

يقول رحمه الله: " وكانت خالة مصدق قد بنت مسجداً في(عذر وزير دفتر)(٣)وكان يدار من قبل "محمد ولي ميرزا فرمانفرمائيان" وكان هذا الرجل قد طلب من آية الله الكاشاني أن يرشح أحداً لإمامة المسجد، فاصطحبني الكاشاني إلى ذلك المسجد كإمام، واقتدى بنفسه بي، ثم قمت في المسجد إماماً "(٤).

وكان البرقعي يركز في تدريسه على القرآن، وقد حدثني من زاره قبيل الثورة وحضر معه أحد دروس التفسير في هذا المسجد وبين لي أن عدد الطلاب الذين كانوا يحضرون يقارب المائتين.

كما كان البرقعي يستغل تنقلاته ورحلاته في الدعوة والتدريس، يقول رحمه الله:"وفضلا عن التأليف فقد كنت أستغل رحلاتي وتنقلاتي لنشر الحقائق الإسلامية"(٥) .

---

(١) المرجع السابق ٣٩١

(٢) المادر–بالفارسية–: يعني الأم . انظر: المعجم الذهبي- لفرهنك طلائي ٥٣٢.

(٣) منطقة في طهران .

(٤) كسر الصنم ٣٨٩

(٥) المرجع السابق ٣٩١

٤. تعرضه للابتلاء، بسبب مخالفته للمذهب.

تعرض البرقعي في هذه الفترة إلى كثير من الابتلاءات بسبب دعوته الصريحة للتصحيح، فقد اجتمع على محاربته أكثر من جهة.

والسؤال: من هم الذين وقفوا أمام دعوة البرقعي في هذه المرحلة؟

لقد حدد البرقعي رحمه الله أولئك الذين لم يروقهم ما يدعو إليه، وهم:

أولا:السياسيون المستفيدون من بقاء الخرافة والجهل وسكوت العلماء.

ثانيا:رجال المذهب المستفيدين من المذهب ؛ سواء فائدة الجاه، أو المال .

يقول رحمه الله :

" ولقد فضلت الإقامة في طهران لأنه كان هناك في قم ثلاث فئات تضمر لي العداوة، الأولى: فئة موظفي الدولة وعملائها، الثانية: خدم حرم السيدة المعصومة الذين كانوا عبيداً لـ"المتولي باشي" نائب قم في المجلس وهو من كنت أراه غير صالح لهذا المنصب(١)، والثالثة: هي فئة المشايخ ، خاصة أتباع البروجردي"(٢).

وقد وَصَفَ البرقعيُ آيةَ الله البروجردي بأنه كان "من العلماء الذين يطلبون الزعامة، فلم يتورع عن فعل أي شيء للحصول عليها"(٣)، كما ذَكَر بأنه عُيّن

---

(١) ذكر البرقعي في موضع آخر ص ٣٨٢ سبب موقفه من متولي باشي فقال: " كان عامياً غير صالح ، وقد أنفق أوقاف السيدة المعصومة التي يجب أن تنفق على الفقراء في أمور أخرى، وبعد سقوط البهلوي الأول أردنا أن نرشح وكيلاً صالحاً للمجلس؛ ولكن أنصار بروجردي والدولة والبلاط مانعوا في ذلك فكتبت إعلاناً ذكرت فيه عيوب "متولي باشي" ومثالبه ودعوت الناس لينتخبوا نائباً صالحاً عالماً ولهذا السبب جفاني البروجردي ومن حوله".

(٢) كسر الصنم ٣٨٨

(٣) المرجع السابق٣٧٩

مرجعاً للتقليد من قبل الدولة، وأنه لم يكن أعلم الشيعة (١) . ووصف العلماء المحيطين به بأنهم " يعبدون المال "(٢).

٥. مشاركته في الثورة الإسلامية على الشاة.

لم يمنع البرقعي اختلافه مع رموز الثورة في كثير من المسائل من المشاركة معهم في إسقاط نظام الشاه، بسبب تطلعه إلى تحكيم الشريعة التي نادى بها قائد الثورة، بل شارك مع الشعب الإيراني" ضد الشاه والسافاك "، ومع أنه كان قد تقدم في العمر إلا أنه كما يقول :" كان عمري في هذه الأيام قد وصل السبعين، ولكني مع هذا كنت أشترك في المظاهرات"(٣).

وقد تطلع البرقعي إلى دعم الثورة الإسلامية، فقام بخطوة عملية للإصلاح، وهي تأليف كتاب هدفه التعريف بالحكم الإسلامي الذي كان يأمل تطبيقه عندما يصل آية الله الخميني إلى سدّة الحكم(٤).

الأوضاع بعد الثورة في نظر البرقعي

يرى أبو الفضل البرقعي بأنّ الأوضاع بعد الثورة لم تتغير كثيراً فقد " عاد مرة أخرى الكبت والرقابة والاستبداد و كمّ الأفواه، وعادت دولة الخرافة مرّة أخرى"(٥).

---

(١) المرجع السابق ٣٨١
(٢) المرجع السابق ٣٨٢
(٣) لمرجع السابق ٣٩٦
(٤) المرجع السابق ٣٩٧
(٥) المرجع السابق ٣٩٧

كما يبين البرقعي أن نفس أولئك الأشخاص الذين كانوا مقربين من "الـــشاه "، أصبحوا مقربين من "الإمام"(١).

ويصف الذين يتصدون للأمور- بعد الثورة- بأنهم "في الحقيقة هم من يحولـــون دون اهتداء الناس، ويصرفونهم عن التفكير"(٢).

يقول البرقعي رحمه الله: "وعملاً بمبدأ النصيحة لله فقد أرسلت رسائل عـــدّة إلى آية الله الخميني، إلا أنه لم يجب على واحدة منها، وكلما كتبت مقالاً كان يحال بـــيني وبين إيصاله إلى الناس" (٣).

ومن البلاء الذي تعرض له البرقعي في هذه الفترة :-

أولا: الطعن فيه.

فقد اتهم بأنه منحرف وضال في أكثر من مرّة ، كما حدث عندما ألف كتابـــه (درس في الولاية(٤)) فقام الميلاني(٥) -الذي يصفه البرقعي بأنه قـــضى عمـــره في النجف في سبيل السفسطة والفلسفة اليونانية لدى مشايخ الشيخية- وكتب إعلانـــاً

---

(١) كسر الصنم ٣٩٧

(٢) المرجع السابق ٣٩٧

(٣) المرجع السابق ٣٩٧

(٤) وهو كتاب ألفه البرقعي لإثبات أن الأنبياء عليهم السلام والأئمة لا يشاركون الله تعالى في شيء من صفاته وأفعاله ، وأن ولاية الأنبياء والأولياء تنحصر في الأمور الشرعية والقوانين فقط. كسر الصنم ٣٩٤.

(٥) محمد هادي بن جعفر بن حسين الميلاني، نزح من المدينة إلى ميلان ، ولد سنة ١٣١٣هـــ ، وتوفي سنة١٣٩٥هـــ، انظر ترجمته ضمن كتابه (المحاضرات قسم الزكاة) .

مطبوعاً جاء فيه أن كتاب درس في الولاية كتاب ضلال وصاحبه ضال، وطبع منه آلاف النسخ وألصقوها حتى على باب وجدران مسجد البرقعي(١).

ووصل الحال ببعض المتفلسفين والمداحين وأهل النياحة إلى تكفير البرقعي رحمه الله.

يقول رحمه الله : " ذهبت يوماً إلى سوق الحدادين في طهران وكان لي حاجة مع شخص هناك، لكنه لم يكن موجوداً فانتظرته حتى يأتي، وأنا على هذه الحال رأيت علماً على باب بيت يدل على إقامة العزاء وذكر المصائب، فدخلت وجلست في زاوية، فرأيت واعظاً يدعى (عماد زاده) يتكلم من على المنبر على البرقعي. ويدعي أنه ينكر الله وينكر الرسول صلى الله عليه وسلم، وينكر جدّه الإمام و... وتكلم ما يقارب نصف ساعة من فوق المنبر فقط في تلفيق التهم والافتراءات للبرقعي، ولم يكن يعرفني أحد في ذلك المجلس، ولما نزل من فوق المنبر وأراد أن يخرج، قمت وذهبت خلفه ولحقت به في الزقاق، وبعد السلام والتحية؛ قلت: هل التقيت شخصياً بالبرقعي؟ فقال: لا. قلت: هل قرأت شيء من كتبه ومؤلفاته؟ قال: لا. قلت: فبأي دليل تصفه بالضلال والانحراف؟ قال: نقلت عن آية الله الميلاني. قلت : إنك واعظ ومثقف فلا أقل من أن تقرأ ولو كتاباً للبرقعي كي تعرف حقيقة حاله، ولا يجب عليك أن تقلد الأفراد في معرفة الآخرين. وفي ذلك اليوم كنت أحمل أحد مؤلفاتي معي وهو كتاب عن (دعبل) الذي أنشد قصيدة في مدح الإمام الرضا (عليه السلام) فأخرجته من جيبي، وقلت له: معي كتاب للبرقعي لا بأس أن أعطيك إياه لتقرأه وتعطيني رأيك فيه بعد أيام عن الكتاب ومؤلفه بالهاتف، فقبل وأخذ الكتاب وأعطاني رقم هاتفه.

وبعد مضي أيام؛ اتصلت به هاتفياً وقلت له: هل قرأت كتاب (دعبل) من مؤلفات البرقعي؟ قال نعم . قلت: ما رأيك فيه. قال: تأليف جيّد، والحق أن المؤلف رجل مؤمن وأديب وعالم. قلت: فلما إذن تكلمت عنه بسوء؟ فقال: لقد كنت

---

(١) المرجع السابق ٣٩٤

مخطئاً. قلت: إذن أنت مسؤل ويجب عليك أن تعتذر إليه. قال: هو ذاك. قلت: إذن فلتعلم أن ذاك السيد الذي التقى بك في الزقاق وأعطاك كتاب (دعبل) كان البرقعي نفسه. قال: سامحني. قلت: لن أسامحك لأنك قلت ما قلت فوق المنبر، وعليك أن تذهب وتقول لمستمعيك أنك أخطأت وعندئذ أسامحك" (١).

ثانياً: التهديد بالقتل.

هدد البرقعي بالقتل عدّة مرات ومنها: أنه عندما ألف كتاب التفتيش وكتاب حقيقة العرفان هدد بالقتل من بعض المراجع(٢).

ثالثاً:إلجائه لترك بيته.

ففي أيام الشاه الثاني – وبايعاز من بعض المراجع- فقد هاجم جنود "السافاك" بيته واقتلعوا باب البيت وكسروا الباب السفلي ودخلوا البيت، مما جعله يترك البيت.

يقول البرقعي: وقد مرضت زوجتي من جراء فزعها في تلك الحادثة وبعد أيام توفيت".

رابعاً: هجران أقاربه له خوفاً من الدولة.

بلغ البلاء بالبرقعي بعد وفاة زوجته؛ أن هجره أقاربه خوفاً من "السافاك" وما قد يفعلونه بهم.

يقول رحمه الله:" فقد تركت المسجد والبيت وتوفيت زوجتي من جراء المعارضين لي حتى هجرني أقاربي، وبقيت مع الله تعالى ووكلت أمري إليه"(٣).

---

(١) كسر الصنم ٣٩٥

(٢) انظر القصة في كسر الصنم ٣٩١

(٣) المرجع السابق ٣٩٦

خامساً: منعه طباعة كتبه أو تداولها.

منع الناس من تداول كتب أبي الفضل في أيام الشاه – بسبب مخالفته أفكار المقربين من السلطان– .

يقول رحمه الله: ثم منع الناس من تداول كتبي، في حين أن كتب الخرافيين والصوفية والشيخية كانت متاحة للقراء"(١).

سادساً: السجن.

سجن البرقعي – بسبب أفكاره ونشاطاته في الدعوة إلى تصحيح عقيدة الناس – أكثر من مرّة.

فقد سجن مع الكاشاني مدّة ثلاثة أشهر، وأصيب في السجن بالملاريا(٢) .

كما هجموا على مسجده مرة من المرات وألقوا القبض عليه واقتادوه للسجن ثم أخذوا عليه التعهد بأن لا يصلي الجماعة بالناس(٣).

ثم سجن في آخر حياته في سجن (إيوين)– الذي يعد من أقسى السجون السياسية في إيران– لمدّة سنة.

سابعاً: تعرضه للاغتيال.

تعرض البرقعي رحمه الله تعالى للاغتيال عام ١٩٩٢ ، حين وجهوا إليه بعض عناصر حرس الثورة الذين كلفوا باغتياله، فأطلقوا عليه الرصاص الحي في عقر داره وهو يصلي، فأصابت منه الخد الأيسر لتخرج من الخد الأيمن مسببة له بعض الأذى في سمعه علماً بأنه كان يناهز الثمانين من عمره ، وفي المستشفى الذي نقل إليه

---

(١) المرجع السابق ٣٩٦

(٢) المرجع السابق ٣٨٤

(٣) المرجع السابق ٣٩٥-٣٩٦

لمعالجته جاء الأمر للأطباء بعدم معالجته، وعلى إثر ذلك نصحه أحد الأطباء بمغـــادرة المستشفى والتداوي في مترله(١).

وأخيراً:

بعد تعرض البرقعي للاغتيال ثم عدم معالجته، جاء الأمر بسجنه في سجن(إيوين) لمدّة سنة، ثم أخرج ونفي إلى مدينة (يزد) ولكن بعد خمسة أيام من نفيه سجن مـــرّة أخرى ثم نفي لنفس المدينة، ثم مات فيها عام ١٩٩٢م(٢)، رحمه الله تعـــالى رحمـــة واسعة.

---

(١) انظر مقدمة مترجم كسر الصنم ٢٤

(٢) انظر مقدمة مترجم كسر الصنم ٢٤

المبحث الثالث: أسباب تحوله

إن أسباب توفيق البرقعي إلى ترك كثير من الغلو والخرافات يعود أولاً وأخيراً إلى تفضل الله تعالى الذي وصف نفسه بأنه الهادي إلى سواء السبيل، فقد فتح سبحانه على البرقعي شيئاً من أسباب التوفيق والتسديد، ولعل من أبرزها:

السبب الأول: تدبر القرآن

إن النظر والتأمل في القرآن كفيل بأن يهديَ طالب الحق إلى كل خير، كما قال تعالى: ((يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾)) [المائدة: ١٦].

ومن نعم الله على البرقعي أن يسّر له التوجه للتفكر والتدبر في آيات كتابه، بل نستطيع أن نجزم بأن السبب الأكبر- بعد توفيق الله – لتخلي البرقعي عن كثير من الأقوال الخرافية والغالية هو القرآن الكريم، وبإمكاننا أن نبين هذا من جهتين:

الجهة الأولى: تصريحه بذلك.

فقد قال رحمه الله: "وفي تلك الأعوام(١) كنت أجد فراغاً في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخرافات وغافلون عن كتاب الله وتخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه، وببركة التدبر لكتاب الله صحوت قليلاً قليلاً وفهمت أن الروحانيين (تيار العلماء) وأهل الطوائف بدّلوا الإسلام ونبذوا الإسلام الأصيل باسم المذهب.

---

(١) يقصد التي تلت إلغاء حكومة مصدق سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م والتي تخلى البرقعي بعدها عن العمل السياسي. انظر ما سبق ص ٨٦

وتبين لي أن فئة باسم العرفاء وأخرى باسم الشعراء والمفاخر الوطنية وفئة باسم الصوفية وفئة باسم الأخبارية وفئة باسم الأصولية وفئة باسم الحكماء والفلاسفة، وجميع هذه الطوائف والفئات روجت ونشرت الفكر البشري بدلاً من الإسلام الصحيح"(١).

وهذا تصريح واضح منه بأثر القرآن في مرحلته الجديدة.

الجهة الثانية: اعتماده الأكبر على القرآن في الاستدلال.

إذ يظهر لكل ناظر لكتابه "كسر الصنم" أنه يعتمد على القرآن -بالدرجة الأولى- في بيان الآراء الصحيحة من الآراء الباطلة، من خلال اعتماد ما دل عليه القرآن أولاً، ثم عرض جميع الأقوال عليه، ليظهر الموافق للقرآن فيأخذ به، من المخالف للقرآن ومن ثم رده.

ولذا نجد أن البرقعي يؤكد كثيراً على أن القرآن هو الحكم لفصل الخلاف كما جاء هذا في كثير من الآيات، فيقول رحمه الله: "ومع الأسف فإن علماء بلادنا الذين أحدثوا الخلاف يأبون الرجوع إلى القرآن في خلافاتهم مع المذاهب الإسلامية الأخرى بل يرجعون إلى روايات مذهبية، فيوسعون بذلك بؤرة الخلاف، وحتى في كتاب الكافي هذا نجد في باب الرد إلى الكتاب والسنة ما يدعو إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والاحتكام إليه وإلى السنة"(٢).

ويكون أبو الفضل بهذا التوجه قد رسم لنفسه منهجاً جديداً في أصول الاستدلال، وخطى الخطوة المباركة عندما رجع إلى المنبع الأصيل ليحاكم إليه كل ما جاء من الروايات، عملاً بما جاء في القرآن من وجوب الاحتكام للقرآن ، وبما جاء عن أئمة الهدى كالإمام الجليل جعفر الصادق رحمه الله الذي ورد عنه قوله:

---

(١) كسر الصنم ٣٩١

(٢) كسر الصنم ٣١

(اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه)(١).

السبب الثاني: اهتمامه بأمر المسلمين

لقد عاش البرقعي في فترة زمنية عصيبة، حيث كان المسلمون يعيشون حالة من الانحسار في التدين وتفككاً بين شعوبهم بسبب التقسيم الجديد للعالم الإسلامي وبروز القوميات مع تفشي الجهل، كما سادت حالة من الانبهار بالحضارة الغربية التي غزت العالم كله بما فيه المناطق الإسلامية وغزواً للأفكار الإلحادية الشيوعية، مما جعل كثيرا ممن يمتلك صدقاً وثقة بدينه يعيش حالة من الأسى والحسرة تدفعه للتفكير في الحل الذي ينبغي أن يسلكه المسلمون للخروج من انحطاطهم.

وقد عبر البرقعي عن هذا الشعور الذي تملكه من أوائل حياته بقوله: "ومنذ أمد بعيد قد أسفت على انحطاط المسلمين وذلّهم وتفرقهم وفقرهم، وبحثت عن طريق الخلاص لهم، ورأيت أن تجار الدين والمنتفعين به هم أكبر عثرة في طريق رقي المسلمين وتقدمهم..."(٢).

السبب الثالث: البحث المتجرد.

إن من توفيق الله للبرقعي أن فتح عليه الرغبة في البحث والقراءة المتجردة، بعيدا عن التقليد لأي أحد كان، ذلك التقليد الذي وصفه البرقعي بأنه من أكبر أسباب بقاء الخرافة والانحراف(٣)، وقد حدث هذا في المرحلة الثالثة كما مر معنا(٤).

---

(١) الكافي ١/٨

(٢) كسر الصنم ٢٧

(٣) كسر الصنم ٣٩٧

(٤) كسر الصنم ٣٩٠. وانظر المرحلة الثالثة ص ٨٧

السبب الرابع: تأثره بالكاشاني.

كان آية الله الكاشاني رجلاً من الشيعة الإمامية، ولكنه كان على غير نمط المرجعية التقليدية في وقته، فقد كان نابذاً لطريقة أولئك المراجع الذين تقوم طريقتهم على الاتجار بالعلم و البعد عن أحوال الناس أو عدم التضحية من أجل إصلاح الأحوال السياسية.

ونستطيع أن نأخذ لمحات واضحة عن طبيعة شخصية الكاشاني من خلال ما كتبه البرقعي، حيث ذكر أنه:

- وقف في وجه استبداد الدولة.
- مهتم بقضايا شعبه ويريد له الحرية والفهم.
- كان يدفع بالنواب الصالحين إلى البرلمان.
- أفتى بوجوب الجهاد في العراق، ثم جاهد الإنكليز حتى أعطوا العراق استقلاله.
- في حين كان يقبل الشاه يد آية الله البروجردي ، كان قد أمر بإلقاء القبض على آية الله الكاشاني(١).
- يوصي البرقعي -في رسالة أرسلها له من لبنان- أن لا يجعل مسجده متجراً كبقية المساجد(٢).
- سعى هو ومصدق إلى إعادة ملك النفط للإيرانيين (تأميم النفط)(٣).

---

(١) كسر الصنم ٣٨٣.

(٢) كسر الصنم ٣٨٥

(٣) التاريخ الإسلامي ١٨/٨١-٨٢

إنّ الكاشاني وهو شيخ للبرقعي، وممن منحوه إجازة بالاجتهاد يُعدّ بهذا ممن أثّـــر في شخصية البرقعي من خلال دفعه بقوة تجاه تغيير الواقع السيئ، وتـــشجيعه علـــى الخروج على نمط السائد للمرجعية آنذاك – الذي كان يتسم بالجمود والنفعية–.

هذه أهم الأسباب التي نستشفها من خلال كلام البرقعـــي رحمـــه الله تعـــالى، ويلاحظ أنه لم يتأثر فيها بمناظرة أو محاورة لأحد من أهل السنة.

المبحث الرابع: آراء البرقعي

ساهم البرقعي في تسجل آرائه بشكل واضح. فقد ترك تراثاً كبيراً يبين فيه وجهة نظره في كثير من المسائل التي يتبناها كثير من المذاهب والتيارات الإسلامية، وفيما يلي، سأعرض أبرز آراء البرقعي الاعتقادية التي وقفت عليها[1] والتي لها تعلق بالمذهب الإمامي.

المطلب الأول:
مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية.

المسألة الأولى: نسبة علم الغيب للأئمة[2].

من خصائص الله تعالى التي دل عليه الكتاب والسنة أنه تعالى متفرد بالعلم بالشامل الكامل لما كان ولما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فهو كما قال عن نفسه الشريفة: ((وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾))[المائدة: ٩٧] .

ومن كمال علمه جل و علا انفراده بعلمه بالغيب قال تعالى: ((عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾))[الرعد: ٩]، قال تعالى: ((قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى

---

(١) هذه الآراء كلها مستخلصة من كتابه كسر الصنم، وقد اكتفيت به لأنه هو الكتاب الذي تيسر لي مترجماً إلى العربية.

(٢) إن من ينظر إلى عناوين أبواب الكافي يعلم مدى الغلو الذي بلغه مؤلف الكتاب ومن يقول بقوله من الشيعة، وهذه بعضها :

باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل (١/٢٥٥)، باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا (١/٢٥٨)، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء (١/٢٦٠)، باب أن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه (١/٢٦٤).وغيرها من الأبواب.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾))[النمل: ٦٥].

وهنا يسجل البرقعي رأيه بأن الله وحده هو المختص بعلم الغيب وأن الرسل والأئمة لا يعلمون الغيب، ويستدل على ذلك بأدلة يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: دلالة القرآن

ففي نظر البرقعي أن القرآن قد تنوعت دلالاته على اختصاص الله بعلم الغيب ونفيه عمن سواه، ومن ذلك:

أ- **تصريح الله بنفي علم الغيب عن غيره وإثباته لنفسه تعالى فقط.**

كقوله تعالى: ((قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله))[النمل: ٥٦] وقوله لرسوله: ((قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ))[الأنعام الآية: ٥٠] وقال: ((فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ)) [يونس: ٢٠](١).

ب- **إخبار الله تعالى في مواضع عدّة عن حال رسوله بما ينفي علمه بالغيب.**

مثل قوله "(قل ما أدري) (وما أدراك) (إن أدري) (ما كنت تدري) (لا تدري)(ما يدريك)"(٢).

---

(١) انظر :كسر الصنم: ١٨٨

(٢) يشير البرقعي إلى مثل قوله تعالى : ((قل ما كنتُ بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم)) [الأحقاف: ٩]، وقوله تعالى: (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون)[الأنبياء: ١٠٩]. وقوله: ((وإن أدري لعله فتنة..)) [الأنبياء: ١١١]. وقوله: ((قل إن أدري أقريب أما يجعل ربي له أمدا)) [الجن: ٢٥].وقوله: ((ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)) [الشورى: ٥٢].وقوله: ((لا تدري لعل يحدث بعد ذلك أمرا)) [الطلاق: ١].وقوله: ((وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا)) [الأحزاب٦٣]. وقوله: ((وما يدريك لعله يزكى)) [عبس: ٣]. انظر: كسر الصنم ١٩٩.

ويعقب البرقعي على قوله تعالى: ((قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ))[الأنعام: ٥٠]: "فخزائن الله ليست لدى النبي صلى الله عليه وسلم فكيف تكون لدى الإمام. كأن هؤلاء يعتبرون الأئمة أعلى مقاماً من الأنبياء"(١).

ج- **وصف الله رسوله بأنه لا يعلم بعض أخبار الماضين.**

كقوله تعالى: ((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نُوحٍ وعادٍ وثمودَ والذي من بَعدِهم لا يَعلمُهُم إلا اللَّهُ)) [إبراهيم: ٩] وقوله تعالى بشأن أصحاب الكهف: ((قل ربي أعلم بعدّهم))[الكهف: ٢٢](٢)

د- **وصف سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بعدم العلم ببعض ما حوله في المدينة، مما يدل على عدم علمه بالغيب.**

قال تعالى: ((أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُ))[التوبة: ١٠١](٣). فكيف يقال بمن هو أقل مترلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول البرقعي رحمه الله تعالى:

"وهنا نقول لماذا تُروى أحاديث متعارضة مع القرآن في كتاب إسلامي ؟ هل كان رواة هذه الأخبار جاهلين بالقرآن إلى هذا الحد أم كان هدفهم مشبوهاً ؟"(٤).

ثانياً: الرد على القائلين بنفس أدلتهم.

من الطرق التي سلكها البرقعي في الرد على بعض الأقوال بيان أن من استدلوا به لا يدل على مرادهم، بل العكس، فهي بعينها حجة عليهم(٥).

---

(١) انظر: كسر الصنم: ١٤٧

(٢) انظر: كسر الصنم: ١٠٩

(٣) انظر: كسر الصنم: ٢٩٥

(٤) كسرالصنم ١٠٩

(٥) يقول ابن تيمية: عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله-عز وجل- ففي تلك

ومن ذلك أن الكليني عقد باباً سماه:(باب نادر في ذكر الغيب) أراد أن يثبت فيه أن الأئمة يعلمون الغيب، ولكنه أورد ما ينقض مراده في الحديث الثالث وهو ما رواه عن بسنده عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله (عليه السلام) إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب قال: فقال: يا سدير: ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال:

فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز و جل: " ((قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ))" قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت:

أخبرني به؟ قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟! قال: قلت جعلت: فداك ما أقل هذا فقال: يا سدير: ما أكثر هذا، أن ينسبه الله عزو جل إلى العلم الذي أخبرك به يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزو جل أيضا: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال:

النصوص ما يبين أنه لا حجة لهم فيها، بل هي بعينها حجة عليهم...وإنما عامة ما عند القوم ألفاظ متشابهة، تمسكوا بما ظنوها تدل عليه، وعدلوا عن الألفاظ المحكمة الصريحة المبينة، مع ما يقترن بذلك من الأهواء.الجواب الصحيح ١/١٠٥.

فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا. علم الكتاب والله كله عندنا(١).

وهنا يقول البرقعي رحمه الله:

" الإمام نفسه يقول في صدر الحديث لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أيّ بيوت الدار هي ؟ كيف يقول في آخر الخبر أنا أعلم الغيب"(٢).

فالبرقعي يشير إلى ما عُرف عن الإمام جعفر الصادق رحمه الله من الصلاح وصحة المنهج بحيث صار من أئمة المسلمين، وأن هذه الراويات التي تنسب إليه يجب أن تحمل على الكذب.

وفي مثال آخر يستعرض البرقعي ما أورده الكليني في باب : (أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء) روى فيه عن سيف التمار(٣) أنه قال: قال كنا مع أبي عبدالله (عليه السلام) جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما، لان موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة(٤).

وهنا يقول البرقعي: "لا بد أن نسأل سيف التمار :

---

(١) الكافي ١/٢٥٧

(٢) كسر الصنم ١٨٩

(٣) سيف بن سليمان التمار الكوفي، قال النجاشي: ثقة .وقال الوحيد البهبهاني: يظهر من روايته أنه من الشيعة.- لم تذكر له سنة وفاة فيما طالعت- (رجال النجاشي ١٨٩)(تعليق البهبهاني ١٧٨).

(٤) الكافي ١/٢٦٠-٢٦١

أولاً : إن الإمام الذي لم يعلم شيئاً عن أصحابه وتكلم على خلاف الواقع بأن هناك جاسوساً مع أنه لم يكن ثمة جاسوس فأنى لذلك الإمام أن يعلم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ؟! .

ثانياً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « علامة الكذب كثرة الحلف » فلماذا إذاً يحلف الإمام ثلاث مرات بأنه أعلم من موسى .

ثالثاً : من أين عرفتم أن موسى والخضر كان لهما علم ما كان ، وموسى عليه السلام نفسه لم يدع هذا ، ولم يعلم بما كان حين وجوده في الطور ولم يعرف عن عبادة قومه للعجل . فيقول له الله تعالى : ((فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾))[طه: ٨٥] ولما رجع من الطور ووجد أن قومه قد فتنوا بالشرك غضب جداً وقال لهم :((قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيَ))[الأعراف: ١٥٠] حتى إنه لم يعلم أن أخاه لم يقصر في نصحهم فأخذ بلحيته ورأسه ولم يعرف أنه منعهم من عبادة العجل حتى قال له هارون : ((إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ))[الأعراف: ١٥٠] ثم اختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقات جبل الطور ولكنهم جميعاً كانوا ممن غضب الله عليهم .

وأمثال هذا كثير ... ويستفاد من القرآن الكريم أنه عليه السلام لم يعلم بما كان .

رابعاً : إن العلم لا يورث إلا عند الرواة القائلين بالخرافة([1])

خامساً : قال الله تعالى مراراً لرسوله في القرآن الكريم : ((قل ما أدري ... وما أدراك ... إن أدري ... وما كنت تدري ... لا تدري ... ما يدريك))([2]). ومع كل ذلك كيف يمكن الادعاء أن الرسول علم ما كان وما سيكون فضلاً عن أن

---

(١) يريد البرقعي رد قول الغلاة بأن العلم يورث بين الأئمة ليس التعلم وإنما بالانتقال التلقائي بحيث يصبح العلم لدنّي.

(٢) سبق ذكر هذه الايات الي يشير إليها البرقعي ص ١٠٢

يورث ذلك لغيره . وحتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يسأل عما لا يعلم كان يصبر حتى يتزل الوحي ... فكيف يمكن للإمام الذي لا يوحى إليه أن يعلم ما كان وما سيكون"(١).

ثالثا : مخالفة المروي عن الأئمة

إن الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد بإمامتهم الشيعة، هم بلا شك من أئمة الهدى، إذ لم يثبت عنهم بدعة خالفوا فيها الكتاب أو السنة(٢)، ولهذا بيّن البرقعي وغيره أن ما يروى عن الأئمة من الضلالات المخالفة للقرآن إنما هو من وضع الرواة الغلاة الذين كثر كذبهم على الأئمة، وأن الثابت عن الأئمة يخالف ذلك.

ومن ذلك أن البرقعي استدل على نفي علم الأئمة بالغيب بما جاء عنهم ، كقول علي رضي الله عنه -بعد أن أصابه ابن ملجم- : "أيها الناس كل امرئ ملاق ما يفر منه في فراره ، والأجل مساق النفس والهرب منه موافاته . كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه . هيهات علم مخزون"(٣)

كما أشار البرقعي لخطبة علي رضي الله عنه التي عدد فيها الأمير رضي الله عنه بعض ملاحم البصرة، فما كان من بعض أصحابه إلا أن قال: " لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل ــ وكان كلبياً: يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْله: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...) الْآيـة، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً؛ فَهذَا عِلْمُ الْغَيْبِ

---

(١) كسر الصنم ١٩٨

(٢) انظر ثناء بعض رموز أهل السنة عليهم فيما يأتي ص ٢٣٥

(٣) نهج البلاغة خطبة رقم ١٤٧

الَّذي لاَ يَعْلَمُهُ أحَدٌ إلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيه. وَدَعَا لِي بِأنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي(١).

كما يستدل البرقعي بقول علي رضي الله عنه -بعد أن طعنه ابن ملجم-: (إن أبق فأنا وليٌّ دمي وإن أفن فالفناء ميعادي)(٢) على أن علي "لا علم له بموته" فكيف بعلم الغيب كله.

وأيضا في رسالة علي رضي الله عنه لمالك الأشتر النخعي يجد البرقعي أن علياً رضي الله عنه يصرح بما يدل على عدم علمه بالغيب. حيث يقول: (وأنا أسأل الله سعة رحمته[حتى يقول] وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة) وهذا يدل كما يقول البرقعي على "أنه لم يكن يعلم وقت موته"(٣).

كما يستدل البرقعي بما روي من دعاء علي رضي الله عنه وأرضاه كان في دعواته دائم الخوف طالباً للشهادة كدعائه السابق الذي يسأل الله فيه سعة رحمته، وكذلك دعائه في حرب صفين قبل أن يرفع معاوية المصاحف على السيوف الذي قال فيه : (فإذا كان ما لا بد منه الموت فاجعل منيّتي قتلاً في سبيلك)(٤). يقول أبو الفضل البرقعي :"إذن يتبين طبقاً لكلام الله ورسوله وأمير المؤمنين أنه لا علم لأحد بوقت موته سواء في ذلك الإمام أو المأموم ، والناس في الإسلام سواء لا فرق بين إمام ومأموم فهو ليس ديناً عنصرياً "(٥).

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٢٨

(٢) نهج البلاغة ٣/ ٢١ (مع شرح محمد عبده). الكافي ١/ ٢٩٩. خصائص الأئمة للشريف الرضي ١٠٨. المعجم الكبير للطبراني ١/ ٩٦

(٣) المرجع السابق رسالة رقم٢٣.

(٤) بحار الأنوار ٩١ / ٣٢٩، ٩٤/ ٢٦١

(٥) كسر الصنم ١٩٣-١٩٤

رابعا: مخالفة واقع الأنبياء والرسل والأئمة.

مما استدل به البرقعي في هذا الصدد:

- منها: أن زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة تأخرت عن الجيش في غـــزوة تبوك و لم يعلم كما في حادثة الإفك(١).
- ومنها: أن أصحابه صلى الله صلى الله عليه وسلم قتلوا في بئر معونة و لم يعلم.(٢)
- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم عفا عن المعتذرين بعد تبوك لعدم علمه بكـــذبهم، حـــتى قـــال الله : ((عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝)) [التوبة: ٤٣](٣).
- ومنها: استخدام علي رضي الله عنه للعيون الذين كانوا يأتونه بالأخبـــار الـــتي لا يعلمها كما في نهج البلاغة (٤).

يقول البرقعي :

" هنا لا بد أن نقول أن الأنبياء لم يطلعوا على بواطن النـــاس كمـــا قـــال الله لرسوله في سورة التوبـــة الآيـــة ٤٣ : ((عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝)) لأن رسول الله أذن للذين اســـتأذنوا منـــه لعدم الحضور إلى الحرب وعدوا أنفسهم من المعذورين لأنه لم يعلـــم صـــدقهم مـــن كذبهم . قال الله عفا الله عنك لم أذنت لهم بلا علم ولا تحقيق . وعندما قـــال الله في الآيـــة ١٠١ :((وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى

---

(١) كسر الصنم ٢٠٧. وقد أخرج الحديث البخاري(ح٤٧٥٠) ومسلم (ح٢٧٧٠) وأحمد٦/٢٧٢، ٢٧٣.والترمذي(ح٣١٧٩).

(٢) كسر الصنم ٢٠٧. وخبر بئر معونة رواه البخاري(ح٤٠٨٨، ٤٠٩٠، ٤٠٩٦)، ومسلم(ح٦٧٧)، وأحمد (الفتح الرباني ٢١:/٦٣-٦٥. وابن هشام في السير ٢/٥٢، وابن سعد في الطبقات ٢/٥١

(٣) كسر الصنم ٢٩٥

(٤) كسر الصنم ٢٠٧

النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم)) وفي سورة آل عمران الآية ٢٩: ((قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله)) لأن عالم السر والخفاء هو الله فقط . وفي سورة الشعراء عندما قال قوم نوح لنبيهم عليه السلام : إن أتباعك هم الأرذلون أجابهم في الآية ١١٢ لا علم لي بباطنهم وأعمالهم ((قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴿١١٢﴾)) وفي سورة عبس عاتب الله رسوله : ((عبس وتولى ﴿١﴾ أن جاءه الأعمى ﴿٢﴾ وما يدريك لعله يزكى)) وثمة مئات من الآيات الأخرى تدل على ذلك . وبهذا يكون القول بأن علياً رضي الله عنه يعلم باطن أحد هو قول مخالف لمائة آية من القرآن"(١).

خامساً: دلالة العقل.

يقول البرقعي : "وإذا كان الإمام عارفاً بكل هذه العلوم فلماذا لم يسخر الجن والإنس ليقيم حكومة عادلة ؟! وإذا كان يعرف منطق الطير فإن عليه أن يكشف علوماً مفيدة ، وإذا كان يعرف فوائد الأشجار فإن عليه أن يبين خواصها ، وإذا كان يعرف الجراثيم فإن عليه أن يكشف الأمراض كباستور وأمثاله ، وإذا كان يعرف الكهرباء فلماذا لم يسخرها ؟، وإذا كان يعرف الطباعة فلماذا لم يصنع مطبعة لينشر حقائق الإسلام ، لتزول كل هذه الخرافات والفرق المتمثلة بالإسلام ؟!، وإذا كان يعرف علوم الكون والصناعات فقد كان عليه أن يصنع سفينة فضائية ويصنع الإذاعة والتلفاز وهكذا ... لماذا لم يفعل كل ذلك وترك المجال لكفار أوروبا يكتشفون كل ذلك ؟! وإذا كان يعرف هذه العلوم و لم يبينها فلا بد أنه كان بخيلاً ،

---

(١) يشير البرقعي إلى ما رواه الكليني في باب: (في معرفتهم أوليائهم والتفويض إليهم) من الأخبار التي أراد بها الاستدلال على أن الأئمة يعلمون بواطن الأشخاص ، ومنها ما رواه عن جابر –وهو الجعفي–عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق(الكافي١/٤٣٨) كسر الصنم٢٩٥

وكان يضن بها على الأمة !!، إن المرء ليحار في أمر هؤلاء الجهال الذين انحصر همهم في الغلو بحق الإمام والمغالاة بأوصافه"(١) .

شبهة وجواب

يستدل القائلون بأن الأئمة يعلمون الغيب بقوله تعالى :((عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ))الآية[الجن:٢٦-٢٧].

وقد أجاب البرقعي على هذا بقوله:

" لا بد أن يوضح هنا كي يفهم الغلاة : أن الله يكشف لرسوله المصطفى المختار الأخبار الغيبية التي لا يعرفها أحد ويطلعه على ذلك أحياناً كما جاء في سورة الجن الآية ٢٦ ((عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ))وكما جاء في سورة هود الآية ٤٩ : بعد بيان قصة نوح ، يقول تعالى : ((تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا))وبعد أن يوحي الله لبعض رسله بعض تلك الأخبار الغيبية فإن ذلك الرسول يخبر أصحابه وأمته بها ويؤمن بها الإمام والمأموم على حد سواء ، وكما قال في سورة البقرة الآية ٢ و ٣ : ((هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ))، والرسول الكريم وأصحابه وأمته الأتقياء يصدقون بذلك الغيب ويؤمنون به ويعدون من المؤمنين بالغيب، إذن يصبح رسول الله والمتقون من أصحابه وأمته مؤمنين بالغيب لا عالمين به، لأن العالم بالغيب هو الله تعالى الذي يعرف الغيب بنفسه و لم يأخذه من أحد، على خلاف الرسول وأتباعه الذين يؤمنون بأخبار الغيب، إذن العالم بالغيب هو الله وحده والمؤمنون بالغيب هم عباده المتقون، هذا الأمر بهذا الوضوح لم يفهمه الرواة

---

(١) كسر الصنم ١٩١

ولا الناقلون عنهم ، وكانوا لا يفكرون إلا بإغداق الصفات والخصال الخارقة للإمام وحده"(١) .

والخلاصة هي أن البرقعي يقرر أن ما يُطلع الله عليه رسولَه من الغيب -كما في الآيات- هو من جنس ما قد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته به من أخبار الآخرة وحوادث آخر الزمان ونحوها، وأن الناس تجاه هذه الأخبار الغيبية ثلاث طوائف : طائفة آمنوا بها وهم الذين مدحهم الله في آياته، طائفة شكوا في صدقها وهم المنافقون الذين هم في ريبهم يترددون، ويجحد بها طائفة وهم الكفار. وبهذا يكون البرقعي قد وُفق في هذه المسألة لموافقة منهج الكتاب والسنة الصحيحة. والله أعلم.

---

(١) كسر الصنم ١٨٨-١٨٩

المسألة الثانية:الأئمة والتصرف في الكون الولاية التكوينية[1]

---

(١) يختلف علماء الشيعة في تعريف الولاية التكوينية ، وكلماتهم في تعريفها تدور على معنيين:

المعنى الأول: القدرة على فعل المعجزات، أو التصرف في الطبيعة والكون ، قدرة ملازمة للولي يستخدمها متى شاء، بحجة أن الله أعطاه هذه القدرة، وأن هذه القدرة قد تكون بدون توسط بدن الولي -أي يؤثر بدون توسط بدنه- انظر الولاية التكوينية للعاملي ٢٢- ٢٣

يقول آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي— وهو من المعاصرين-:" أما المراد من الولاية التكوينية ، هي قدرة الإنسان على التصرف بصالح الكون بأمر الله وإذنه، والإتيان بأفعال خلافاً للمعتاد والمسيرة الطبيعية لعالم الأسباب، فمثلاً يبرئ المريض الذي لا علاج له بإذن الله، وذلك من خلال الهيمنة والنفوذ الذي وهبه الله تعالى له، ويحيي الموتى، وأعمال أخرى من هذا القبيل، وكل أشكال التصرف المعنوي غير الاعتيادي في أرواح وأجسام البشر، وهذا النوع يشمل الطبيعة أيضاً "

ثم يختلف أصحاب هذا القول في حدود قدرة الولي على أقوال:

القول الأول: أنها قدرة مطلقة تشمل كل ممكن.

ومن القائلين بهذا القول **آية الله الخميني**، حيث يقول : " **إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية و خلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ، وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل**" (انظر: لحكومة الاسلامية٥٢ المكتبة الإسلامية الكبرى ،طهران).

ويقول آية الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي:

" إن زمام العلم بأيديهم عليهم السلام حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم عليهم السلام التصرف فيها إيجاداً وإعداماً، (**فلولاهم لساخت الأرض**)،(**لكن قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى**)، **فكما منح الله القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية منحهم القدرة على التصرف في الكون** " (انظر: الحكومة الاسلامية٥٢ط: المكتبة الإسلامية الكبرى ،طهران).

ويقول آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي: " الظاهر أنه لا شبهة في ولا يتهم على المخلوق بأجمعهم كما يظهر من الأخبار لكونهم واسطة في الإيجاد وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق . إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم ، وبهم وجودهم وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق فهذه الولاية نحو ولاية الله على الخلق" (انظر: من فقه الزهراء عليها السلام ١/١٢ ط الثانية دار الصادق ، بيروت).

بل يذهب بعض من يقول بهذا القول إلى أن الأدلة دلت على أن قدرة الأئمة أعظم من بعض الأنبياء الذين ثبت بالنص القرآني عدم قدرتهم على بعض الأمور كعدم قدرة إبراهيم على السلام على الخلق المأخوذ من قوله (ربي أرني كيف تحيي الموتى)، وكعدم قدرة زكريا على الإنجاب الواضح فيما قص الله عنه في القرآن.

يقول هشام شري العاملي:" أما بالنسبة لنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الأئمة الطاهرين من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد ذكرنا سابقا **أنهم أعطوا ما أعطي الأنبياء بمجموعهم بل وزيادة عليه** كما في بعض الروايات" (انظر: كتاب الولاية التكوينية ١٥٨)

القول الثاني: **أنها قدرة محدودة**، ومن أبرز القائلين بتحديدها محمد بن الحسن الطوسي- صاحب التبيان في تفسير القرآن- انظر: كتاب الولاية التكوينية ٦١.ثم يختلف هؤلاء في تحديد تلك القدرة.

المعنى الثاني: أن الولاية التكوينية تعني" الوساطة في الفيض أو بمعنى أن الإمام قلب الكون و محوره الذي ترتبط جميع أجزاء الكون به كارتباط أعضاء بدن الإنسان بقلبه، أو بمعنى أن الإمام بالنسبة للكون كالروح بالنسبة للبدن، فهو المنسق لأفعال أجزاء الكون كما أن الروح منسقة لأفعال أعضاء البدن، وملايمة [هكذا] بينها و مستفيدة منها جميعاً للوصول إلى السعادة القصوى والهدف الأسمى، أو بمعنى أن الإمام مسلط على الضمائر وبالأخص ضمائر شيعته وسائر بها نحو الله".

يقول آية الله العظمى محمد الشيرازي " إن حجة الله في الأرض هو واسطة الفيض بين الخالق والخلق تشريعاً وتكويناً على ما في الروايات.وقد ضرب هشام بن الحكم وهو من أصحاب الإمام الصادق (ع) لذلك مثالاً، فقال إن منزلة حجة الله في النظام الكوني كالقلب في بدن الإنسان، فكما أن الإنسان بحاجة إلى القلب كذلك الأمة بحاجة إلى الإمام (ع). وكما أن القلب يوصل الدم إلى كافة الأعضاء الصغيرة والكبيرة وجميع الشرايين والأوردة، كذلك الإمام (ع) هو الواسطة بين الله

أولا: تقريره للاعتقاد الصحيح

يقرر البرقعي رحمه الله بشكل واضح أن "الإسلام لا يعترف بغير الله مؤثراً في الأمور التكوينية وخارقاً للعادة، بينما في المذهب[يعني الإمامي]كل إمام ومرشد وقطب هو منشئ للكرامات وخوارق العادات"(١)

ويعتبر البرقعي القول القائل بالولاية التكوينية للأئمة من الخرافات التي أتى بها مدّعو التشيع باسم مذهب الإمام(٢) .

وخلقه، بحيث لا تستغني من وجوده[هكذا يقول والأصح :عن وجوده] كافة المخلوقات من إنسان وغير إنسان. وكما أن القلب إذا ما توقف عن العمل، فانه ستتعطل كافة أعضاء البدن وتموت.. وبموت الإنسان سيتعرض جسده لأنواع مختلفة من الميكروبات وما أشبهه وسيؤدى إلى تفسخه وتلاشيه وفنائه، كذلك بالنسبة إلى الإمام المعصوم (ع) فإذا فرض يوماً ما خلو العالم من الحجة، فسيفنى الكون وينعدم كل شيء، كما ورد في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها» ." الإمام زين العابدين (ع) قدوة الصالحين للشيرازي.انظر:
http://www.١٤masom.com/١٤masom/٠٦/mktba٦/book٠٨/٠٤.htm

وانظر مقدمة كتابه: (السيد زينب عالمة غير معلمة/ للشيرازي).

ويقول محمد الفاضل اللنكراني:" فواجبنا جميعاً اليوم هو الاعتراف بأنّ إفاضة كافّة النعم الظاهرية والباطنية هي بواسطة وجوده المقدّس: (لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها)؛ ففي الحقيقة هو ولي النعم للبشرية جمعاء والشكر لهذه النعم هو إحياء ذكراه في كافّة شؤوننا الخاصّة والعامة، داخل البلاد وخارجها". انظر خطابه: (نداء بمناسبة الخامس عشر من شعبان) تجده في موقعه . http://www.lankarani.org/Arabic/neda/p٠٠٥.html

ويعتبر القائلون بالولاية التكوينية النصوص الواردة بذكر فقر المعصومين وعدم قدرتهم على النفع و الضر لأحد كقوله "قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً"[الاعراف١٨٨] لا تدل إلا على أن قدرتهم على التكوين ليست ذاتية بل هي حاصلة بإرادة الله. انظر: من فقه الزهراء عليها السلام ١٨/١ط الثانية دار الصادق ، بيروت.

(١) كسر الصنم ٣٩٩

(٢) كسر الصنم ٧٢

ثانيا: ردّه على القائلين بالولاية التكوينية.

ألف أبو الفضل البرقعي رحمه الله في هذه المسألة كتاباً خاصّاً هو كتاب:(درس من الولاة)(١) قصد فيه إثبات أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا يشاركون الله في شيء من أمور الكون.

ومن أبرز ردود البرقعي على استدلالهم- عموماً- : تقريره بأن الاستدلال بما جاء من معجزات للأنبياء وكرامات المتقدمين لا يصح الاستدلال به على أن غيرهم يجوز له هذا، لأن هذا من القياس العقلي، والقياس باطل في مذهب الإمامية ، كيف وهم يروون عن جعفر الصادق قوله:"وإن دين الله لا يقاس بالعقول"(٢).

---

(١) وقد حكم عليه (هادي الميلاني) -وهو أبرز ملالي الشيخية في وقته-بالضلال بسبب كتابه هذا.

(٢) روى الكليني عن الصادق أنه قال:"..إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعدا، إن دين الله لا يصاب بالقياس" الكافي١/٥٧. ولعل ما يرويه الشيعة عن الصادق رحمه الله من الآثار التي تنهى عن القياس وعن أخذ الدين بالرأي-إن صحت- هي من جنس ما جاء عن كثير من السلف رحمهم الله من النهي عن القياس الفاسد-وهو الذي يقابل النص أو يختل فيه ركن من أركان القياس- وليس رداً للقياس من أصله، ولعل مما يدل على هذا أن الكليني أورد بعد الحديث السابق رواية توضح رأيه وهي : عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال:إن السنة لا تقاس، ألا ترى أن المرأة تقضي الصوم ولا تقضي صلاتها، يا أبان إن السنة إذا قيست محق الدين.(الكافي ١/٥٧) وما ذكره الصادق هاهنا صحيح لأن النص قد قطع المسألة فلا مجال للرأي. ويزيد الأمر وضوحا ما جاء بعدها من قول موسى الكاظم: ما لكم والقياس إن الله لا يسأل كيف أحل وكيف حرم.(الكافي ٥٧)، إذن فالأئمة عندما ردوا القياس إنما ردوا القياس الفاسد الذي يقوم على الرأي المقابل للنص أو القائم على الظن والخرص أو القياس الذي اختلت أحد أركانه.والله أعلم. أنظر في هذه المسألة أعلام الموقعين٨٩-١٠٤.

يقول البرقعي: " ولكن الشيعة — مع الأسف — لم يلتفتوا إلى هذا الكلام ولقد بنوا أكثر عقائدهم على القياسات العقلية ، مثل قولهم إن الشمس رجعت لسيدنا علي رضي الله عنه(١)، فما هو الدليل ؟ دليلهم أن الشمس رجعت لسيدنا سليمان(٢) . الإمام يستطيع أن يحيي الموتى . فما الدليل ؟ دليلهم أن سيدنا عيسى أحيا الموتى(٣)! الإمام له ولاية تكوينية ويستطيع أن يتصرف في الأرض والسماء فما الدليل ؟ الدليل أن آصف الذي كان يعرف حرفاً من حروف الاسم الأعظم قد أتى بسرير بلقيس في طرفة عين ، فالإمام الذي يعرف سبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم يستطيع أن يعلم كذا وكذا(٤) ..! أليس كل هذا قياساً ، هل تجدون اسماً في لغة العرب والعجم

---

(١) انظر مناقب آل أبي طالب٢/٣١٧-٣٢٢. وقد ذكر ابن كثير أن خبر فوات صلاة العصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق معروف وأنه لم يثبت أن عادت الشمس للرسول فيبعد أن يعطي الله هذه المزية لعلي رضي الله عنه ولا يعطيها للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم قال ابن كثير: وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني قلت لمحمد بن عبيد الطنافسي ما تقول فيمن يقول رجعت الشمس على علي بن أبي طالب حتى صلى العصر فقال من قال هذا فقد كذب. وقال إبراهيم بن يعقوب سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت إن ناساً عندنا يقولون إن عليا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت الشمس إليه ،فقال كذبٌ هذا كله. **أما الشيعة** فقد رووا أن الشمس رُدّت للرسول ولعلي كما في حديث رواه ابن بابويه- بلا سند- في كتابه(من لا يحضره الفقيه١/٢٠٣). انظر: البدية والنهاية ٦/٧٩-٨٠

(٢) لعل البرقعي يعني يوشع إذ هو الذي ردت له الشمس، كما هو معروف عند الجميع انظر: البداية والنهاية ١/٢٢٣، من لايحضره الفقيه٢٠٣،وسائل الشيعة١١/٣٧٤.

(٣) انظر الولاية التكوينية لهشام شري العاملي ٦٠.

(٤) يشير البرقعي إلى ما رواه الكليني في الكافي عن جابر، عن ابي جعفر (عليه السلام) قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الاعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الكافي(١/٢٣٨) و بصائر الدرجات(٢٠٩).

له سبعون حرفا !! إن هؤلاء يستندون بكل عقائدهم الخرافية على هـــذه القياســـات !"(١).

والخلاصة: هي أن البرقعي ينفي أن يكون لله شريك في التصرف في الكون، وأن هذا القول طارئ على لفق على الأئمة رحمهم الله-.

(١) كسر الصنم ٧١-٧٢. ومصداقا لما ذكره البرقعي نجد أن المفيد يقول : "وكثير من المنتمين إلى الإمامية يوجبونه[يعني معجزات الأوصياء] عقلا كما يوجبونه للأنبياء"(أوائل المقالات٦٩).

المطلب الثاني:
مسائل تتعلق بتوحيد الإلهية.

المسألة الأولى:الشرك في العبادة(١).

يرى البرقعي رحمه الله أن العبادات يجب أن لا تصرف إلا لله وحده، وأن صرف أي شيء منها لغير الله يعد شركاً، ومن تلك العبادات الدعاء، والنذر والوقف وغيرها.

يقول رحمه الله: " في الإسلام الدعاءُ عبادةٌ، ودعاء غير الله شرك، ويقول القرآن: ((قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾))[الجن:٢٠] ولكن في المذهب نداء المقربين إلى الله تعالى هو أمر ضروري ولازم"(٢).

ويقول أيضا:" الإسلام لا يعرف النذر والوقف والهدايا للمقابر والموتى، وهذا محرم ويدخل في الإسراف، وتعتبر كل هذه البدع من الضرورات المهمة في المذهب"(١).

---

(١) من خلال الاطلاع على أقوال كثير من علماء الشيعة نجد أن طائفة منهم يتبنى أقوالاً تخالف توحيد الله في العبادة، ومن ذلك ما يلي:

- تفسير بعضهم النصوص الواردة التي عن الشرك في العبادة بأن معناها النهي عن الاشراك في الولاية، ومن هؤلاء أبي الحسن الشريف بن المولى البناطي الفتوني حيث قال: "إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة، أي يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة .." **ويمكن تصنيف هذا الفريق بأنه مفرط في الغلو.** أصول مذهب الشيعة ٥٢٦/٢ نقلا عن مرآة الأنوار٢٠٢.
- صرف أنواع من العبادات لغير الله كالدعاء والركوع والطواف وغيرها.

غير أن ثمة طائفة من الشيعة تخالف هذا الاتجاه الغالي، وتدعو إلى نبذ هذه مظاهر الشرك والغلو والابتداع. ولعل هذه الشخصيات التي نلقي عليها الضوء تمثل هذا الاتجاه. والله أعلم.

(٢) كسر الصنم ٣٩٩

وعندما يقارن البرقعي بين حال الذين يقومون بالاستغاثة بغير الله من المسلمين وكفار الجاهلية الذين كانوا يقومون بنفس العمل يصل إلى نتيجة مفادها: أن هؤلاء المسلمين" أسوأ منهم لأنهم [أي كفار الجاهلية] كانوا إذا استغاثوا بغير الله في دعائهم وتوسلوا بكبرائهم فإنه لم يكن لهم كتاب ولا هداية، ولكن المسلمين علّمهم كتابهم مائة مرة أن لا يستغيثوا بغير الله ولا يجعلوا أحداً غيره حاضراً وناظراً، ولكن لم يستمع هؤلاء لذلك وكأنه لا علم لهم، فهم أسوأ بذلك وأدنى من كفار الجاهلية"(٢).

المسألة الثانية: شرك الطاعة.

يعدّ البرقعي الكتابَ والسنةَ هما المرجعين لمسائل الدين، كما يعدّ الاتباع المطلق لأي أحد غير الله ورسوله من الشرك المنهي عنه، ولذا يقول رحمه الله: "والإسلام ليس دين عبادة الرجال والسادات والأكابر ، بل إنه دين إيمان وعمل. إضافة إلى أنه يقول في أخبار هذا الباب يجب معرفة الإمام والرد إليه(٣) ، وهذا مخالف للقرآن ومخالف لعمل سيدنا الأمير رضي الله عنه لأن القرآن يقول في سورة النساء الآية ٥٩: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩)).

ويجد البرقعي في الروايات عن الأئمة من آل البيت كثيراً من النصوص الدالة على أنهم كانوا يأمرون بتحكيم الكتاب والسنة فقط، ومن هذه الأقوال التي ذكرها البرقعي(٤):

---

(١) كسر الصنم ٤٠٠

(٢) كسر الصنم ٢٦٣

(٣) انظر الكافي ٥٩/١

(٤) كسر الصنم ١٤١- ١٤٢

قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في كتابه لمالك الأشتر: وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ. فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ))، فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامعةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ (١).

ويعقب البرقعي رحمه الله على ذلك مبيناً أن الكليني بهذه الأخبار التي يسوقها يُظهر أن عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هدموا دين جدهم ، ثم يقول: "إلا أننا نعتبر هذه الروايات كذباً وافتراءً "(٢).

كما استدل بقول الإمام الباقر رضي الله عنه: "إذا حدثتكم بشئ فاسألوني من كتاب الله" (٣). وهنا يعلق البرقعي بقوله: "إن الأئمة كانوا تبعاً لكتاب الله وسنة رسوله و لم يكن لديهم سنة خاصة بهم".

كما استدل البرقعي بقول علي رضي الله عنه :(نظرت إلى كتاب الله وما وُضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعتُه وما استن النبي صلى الله عليه وسلم فاقتديته)(٤).

وبقوله أيضاً في إحدى وصاياه المروية عنه: (وصيّتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فلا تضيّعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين وأوقدُوا هذين المصباحين)(٥) .

وقوله أيضاً: (فجعلت أتبع مأخذ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأطأ ذكرَه)(٦).

---

(١) انظر نهج البلاغة رسالة رقم٥٣ ص٦٣١-٦٣٢.

(٢) كسر الصنم ١٣٩

(٣) رواه الكليني عن أبي الجارود الكافي١/٦٠.

(٤) نهج البلاغة ٤٩١-٤٩٢(مؤسسة المعارف خطبة ٢٠٣)

(٥) نهج البلاغة نهج البلاغة ٣٥٩(مؤسسة المعارف خطبة رقم١٤٧)

(٦) نهج البلاغة ٥٢٩ (مؤسسة المعارف خطبة رقم ٢٣٤).

وقوله أيضا: (استعمَلَنا اللـــه وإياكم بطاعتـــــه وطاعــــة رسوله)(١) .

وقوله: (ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وســـلم والقيام بحقه والنَّعشُ(٢) لسنته)(٣).

وبقول : (ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآلـــه وســـلم كـــافٍ لـــكَ في الأسوة)(٤).

وقال في الخطبة: (الوالي ... يحيي ميت الكتاب والسنة)(٥)،

كما استدل البرقعي بالأثر المروي عن أبي بصير أنه قرأ علـــى جعفـــر الـــصادق رضـــي الله عنـــه قولـــه تعـــالى: ((ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ))[التوبة٣١] فقال أبو عبد الله الصادق: (أما والله ما دَعوهم إلى عبادة أنفـــسهم ولو دَعَوْهُم ما أجابوهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فَعَبدوهم مـــن حيث لا يشعرون)(٦).

---

(١) نهج البلاغة ص٤٥٠.

(٢) نعش الشيء: أنهضه وأقامه. وانتعش: نشط ونهض. انظر القاموس المحيط ٧٨٤.والمعجم الوسيط: ٩٣٤.

(٣) نج البلاغة ص٤٠٤. (مؤسسة المعارف خطبة رقم ١٦٧).

(٤) نهج البلاغة ص ٢٨٢(مؤسسة المعارف خطبة رقم١٥٨).

(٥) وتمام العبارة كما في نهج البلاغة(في خطبة فيها ذكر الملاحم) قال: "يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساويء أعمالها، وتخرج له الأرض من أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلما مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة". نهج البلاغة(مؤسسة المعارف خطبة رقم ١٣٦)

(٦) الكافي ٥٣/١.

والخلاصة أن البرقعي يرى بأن الكتاب والسنة وأقوال الأئمة تدل على أن الطاعة يجب أن تكون لله وحده، وأن مخالفة ذلك يعد خللاً في توحيد العبد. وهذا ما عابه البرقعي على كثير ممن اعتبرهم مقلدين لعلمائهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

المطلب الثالث:

رأيه في الإمامة(١)

من أهم المسائل التي خالف فيها الإمامية جمهور الأمة عقيدتهم في الإمامة التي بدأت بالتفضيل ثم انتهت إلى القول بالنص والعصمة وما تبع ذلك من الغلو الذي أدخله الرواة الكذابون، حتى صدق قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: (يهلك فيّ رجلان : محب غال يقرظني بما ليس في ، ومبغض قال يرميني بما نزهني الله منه)(٢)، **ويمكن بيان موقف البرقعي من القول بالإمامة من خلال النقاط التالية:-**

---

(١) انظر في عقيدة الإمامة عند الشيعة أصل الشيعة وأصولها لآل كاشف الغطا ٥٧ وما بعده، والشيعة والتشيع للشيرازي٦٤-٦٥. عقائد الإمامية للمظفر ٨٥-٨٨(ط تحقيق محمد جواد الطريحي).العقيدة الاسلامية للسبحاني ١٨٠. أصول مذهب الشيعة الإمامية٧٩٢. دراسة عن الفرق لأحمد جلي ١٨٢-١٩٧.

(٢) رواه احمد في فضائل الصحابة(رقم ٩٥١، ١١٤٧، ٩٦٤) وجاء عند ابن ابى عاصم من قول علي رضي الله عنه- وهو مما له حكم الرفع-: (يهلك في رجلان مفرط فى حبى ومفرط فى بغضى)قال البوصيري: رواه أحمد بن منيع، ورواته ثقات، وأبو يعلى.. وكذا رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل.إهـ إتحاف المهرة(٧/٢٠٥ح٣٩٤٠) وانظر المطالب العالية (٤/٢٥١ح٦٦٧٦) وحسنه الألباني في كتاب السنة لأبى عاصم ٩٨٤. والدكتور وصي الله محمد عباس في تحقيقه لفضائل الصحابة (٢/٧٠٥). وانظر تفسير فرات الكوفي الشيعي ٤٠٥ بلفظ: :(إن فيك مثلا من عيسى بن مريم إن النصارى أحبوه حتى جعلوه إلهاً وإن اليهود أبغضوه حتى بهتوه وبهتوا أمه وكذلك يهلك فيك رجلان محب مطري يطريك بما ليس فيك ومبغض مفتر يبهتك بما ليس فيك) ، وانظر بحار الأنوارج٤٣/١٦٧ .

أولا :الشورى أساس اختيار الإمام

يرى البرقعي بأن الحاكم في الإسلام يتم تنصيبه عن طريق الاختيار والانتخاب القائم على أساس الشورى، ولهذا يقول: " الإمامة والقيادة تكون باختيار العقلاء ، وأصحاب الحل والعقد"(١).

ويستدل البرقعي على هذا بقول علي رضي الله عنه: (من اختاره المهاجرون والأنصار للإمامة والقيادة فهو إمام وهو لله رضاً)(٢)، وبقوله أيضاً للناس -حينما طعنه ابن ملجم- اجتمع الناس حوله وقالوا : من نبايع بعدك، فقال لكم الخيار ... الذي ترونه صالحاً، قالوا : نبايع ابنك الحسن . قال الخيار لكم(٣) . وسيدنا الأمير نفسه عندما أراد مبايعته قال : لا يتولى أحد هذا الأمر إلا باختياركم له"(٤).

ويقول رحمه الله:" من ينتخبه المسلمون أو حاكمهم لولاية الأمر فإنه ولي الأمر وينفذ أحكام الله "(٥)

ويرى البرقعي بأن ما يقرره هو القول السائد في القرون المتقدمة، وأن القول بالنص على الأئمة الاثني عشر لم يظهر إلا متأخراً ،فيقول:" غير أنه بعد قرنين من الزمان أو

---

(١) كسر الصنم ٢٣٤

(٢) نهج البلاغة- الخطبة السادسة

(٣) والخبر في مروج الذهب (٤١٣/٢) أن الناس دخلوا على علي بعد أن ضربه ابن ملجم فقالوا له: يا أمير المؤمنين أرأيت أن فقدناك -ولا نفقدك أنبايع- أنبايع الحسن؟ قال: لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.

(٤) كسرالصنم ٢٣٤ مع التصرف بالتقديم والتأخير.وقد ذكر الطبري عن جندب بن عبد الله أنه دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه -بعد ما طعن-فسأله: "إن فقدناك-ولا نفقدك- فنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، فرد عليه مثلها، فدعا حسنا وحسينا، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق وارحما اليتم ..[إلى آخر وصيته رضي الله عنه]. تارخ الطبري ٩٣٧/٣

(٥) كسر الصنم ١٤٧

ثلاثة جاء صانعوا النصوص وادعوا له ذلك وأصبحوا أحرص على إمامته من الإمـــام نفسه"(١) .

مناقشته لأدلة الإمامية

من خلال مناقشة البرقعي لمسألة الإمامة نجد بأنه يقرر أنّ القول بـــالنص علـــى إمامة علي رضي الله عن وأرضاه غير صحيح، وقد اعتمد البرقعي رحمه الله تعـــالى في توضيح المسألة على أمرين:

الأول: مناقشة أدلة الإمامية

وهنا بين البرقعي أن الأدلة التي يستدل بها القائلون بذلك لا تخـــرج عـــن كونها:

١. إما أدلة صحيحة ثابتة، ولكنها لا تدل على قول الإمامية.
٢. أو أدلة ضعيفة سنداً، مع ما في متنها من الضعف في الدلالة على مراد الإمامية.

الثاني : الاستشهاد بالأقوال الواردة عن الأئمة لإثبات أن نظرية الإمامـــة عـــن الإمامية باطلة.

ولتوضيح ذلك نقف مع مناقشة البرقعي لأشهر أدلة الإمامية، لنرى رأيه فيها.

أولا: آية الولاية(٢).

من أبرز الأدلة التي يستدل بها الإمامية على قولهم بالنص، قوله تعـــالى:((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ

---

(١) كسر الصنم ٣٤٦

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ٣١/٢-٣٢ ، ٥/٧-٣١ تفسير ابن كثير ٦٨/٢-٦٩، الصواعق المحرقة٦٣، مختصر التحفة الاثني عشرية ١٤٠، أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية ٨٢٢/٢-٨٢٩، دراسات عن الفرق لأحمد جلي ١٨٥.

رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾))[المائدة: ٥٥] حيث اعتبر الطبرسي هذه الآية "من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل"(١) ، لأن الآية –كما يروى- قد نزلت في علي رضي الله عنه عندما تصدق على فقير وهو راكع(٢).

ووجه استدلالهم من جهتين: الأولى: هو أنهم قالوا: (الولي) بمعنى الأولى والأحق. والثانية: هو أنه لم يفعل ذلك إلا علي فهو المراد بقوله: (الذين آمنوا) لا سيما وأن الآية قد جاءت بصيغة الحصر(٣).

رأي البرقعي:

١. يرى بأن الآية عامة في المؤمنين وليست خاصة بعلي والأئمة، لأن قوله (الذين) يدل على ذلك(٤).

٢. تخصيص الآية بعلي والأئمة بمثل هذه الأحاديث التي يستدل به الشيعة خطأ لأنه من رواية الكذابين والمجهولين(٥).

---

(١) مجمع البيان٢/١٢٨.

(٢) انظر مجمع البيان للطبرسي ٢/١٢٦-١٢٨.

(٣) انظر تفسير التبيان للطوسي٣/٥٤٩. حق اليقين لعبد الله شبر١/١٤٤.

(٤) كسر الصنم١٠٨. قال القرطبي رحمه الله: (والذين) عام في جميع المؤمنين.(تفسير القرطبي٦/١٤٣)، و سئل أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) فقيل له: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا! قلنا[والراوي عبد الملك] قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب. قال: علي بن أبي طالب من الذين آمنوا.(تفسير الطبري٤/٦٢٨ح:١٢٢١٦-١٢٢١٧).

(٥) كسر الصنم ١٠٨و٢٢٨. وممن ضعف هذا الحديث من العلماء: ابن تيميةفي كتاب (المنهاج٢/٣٠) وابن كثير في تفسيره (٢/٧٧).

٣. أن الولاية في الآية تعني المحبة(١)، بدليل القرائن السابقة واللاحقة، حيث قال تعالى قبلها: ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ..))[النساء: ٥١] وقال بعدها: ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ))[النساء: ٥٧].

فيتضح بهذا أن الآيات تنهى عن "ولاية" وتأمر بـ"ولاية"، تنهى عن موالاة الكفار وتأمر بموالاة المؤمنين.

يقول البرقعي: "فبناءً على هذا ، يكون قصر اللفظ على الأئمة هو تلاعب بالقرآن"(٢).

٤. يشير البرقعي إلى الحديث الذي يروى في سبب نزول الآية وهو أن علي تصدق بحلة تساوي ألف دينار، وهنا يتساءل البرقعي : "هل لبس علي حلة ثمينة كتلك التي قالوا إنها تساوي ألف دينار ؟!"(٣) .

٥. يقرر البرقعي أن المراد بقوله ((الذين يؤتون الزكاة وهم راكعون)): "أي يدفعون الزكاة برضاهم ورغبتهم . وهم على عكس المنافقين الذين يكرهون تأدية الزكاة.

---

(١) الولاية-بفتح الواو- لغة: الواو اللام والياء أصل صحيح يدل على القرب، والوَلْي القرب والدنو والمطر بعد المطر، والوَلِيّ: المحب والصديق والنصير.(معجم مقاييس اللغة ١٠٦٤) (القاموس المحيط١٧٣٢).

أما الولاية -بكسر الواو- فهي الإمارة والنقابة كما قال سيبوية (لسان العرب ٤٠٧/١٥).

(٢) كسر الصنم ١٠٨

(٣) كسر الصنم ٢٢٨، اختلفت الروايات فيما تصدق به علي رضي الله عنه ففي بعضها أنه تصدق بحلة قيمتها ألف دينار (الكافي ٢٨٨/١-٢٨٩ح:٣) وفي بعض الروايات أنه تصدق بخاتم (الطبري ١٢٢١٥/٤)

كما قال تعالى في سورة التوبة الآية ٥٤ بالنسبة لإنفاق المنافقين((وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾))(١).

والخلاصة: هي أن البرقعي يرى بأن الآية تدل على وجوب تولي المؤمنين، الموصوفين بكونهم يؤدون الصلاة والزكاة برضى من أنفسهم، وأن تخصيص هذا المعنى بعلي رضي الله عنه لا يساعده سياق الآيات، كما لا يساعده الأحاديث المروية الضعيفة.

---

(١) كسر الصنم ١٤٣. وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن المراد الركوع الحقيقي واستدلوا بما روي عن علي من تصدقه بالخاتم، واستدل القائلون بهذا القول بالآية على جواز الحركة اليسيرة في صلاة النافلة، حكاه البغوي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، واختاره القرطبي ،إلا أن القائلين بهذا القول لم يقولوا بأن الآية تدل على وجوب الإمامة لعلي رضي الله عنه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل لأنهم يفسرون الولاية بالمحبة والنصرة . وإن كان الأقرب هو ما ذكره البرقعي من أن المراد بقوله (وهم راكعون) الخضوع والرضى، وهو اختيار يدل عليه أن العرب كانت تسمي الحنيف إذا لم يعبد الأوثان "راكعا"، ويقولون "ركع إلى الله أي اطمأن إليه وخضع. قال النابغة:

سيبلغ عذراً أو نجاحاً من امرئ إلى ربه رب البرية راكع

ويقال: ركع الرجل إذا افتقر بعد غنىً وانحطت حاله، ومنه قول بعضهم:

ولا تهين الفقير،علّك أن تركع يوما والدهر قد رفعه

قال القاسمي رحمه الله: (وهم راكعون) حال من فاعل الفعلين، أي يعملون ما ذكر-من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة- وهم خاشعون ومتواضعون لله ومتذللون غير معجبين.(تفسير القاسمي٤/١٧٤).وانظر (تفسير ابن كثير ٢/ ٧١) ،(تفسير الشوكاني٢/٦٥)،(تفسير السعدي ٢٣٦)، (تفسير البغوي ٣/٧٣)، (تفسيرالقرطبي٦/١٤٤) ،(لسان العرب ٨/١٣٣)، (تفسير المنار٦/٤٤٢).

ثانيا: آية البلاغ(١).

ومن أدلة الشيعة على عقيدتهم في الإمامة: قوله تعـالى : ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾))[المائدة٦٧]

حيث يستدل الشيعة بأن الله أنزل هذه الآية بعد حجة الوداع آمراً رسوله صـلى الله عليه وسلم أن يبلغ ولاية علي من بعده، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الناس في غدير خم(٢) وأخذ بيد علي وخاطب الناس قائلا: يا معشر المسلمين ألـست أولى بكم من أنفسكم. قالوا: بلى. قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الدائرة معه حيـث دار، ألا هل بلغت،ثلاثا"(٣).

وهنا يطرح البرقعي أسئلة أساسية أمام هذا الاستدلال:

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٤/٣١-٥١ ،ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٤١٧-٤١٨، ورسالة في الرد على الرافضة٢٢١-٢٢٤ وأصول مذهب الشيعة للقفاري ٢/٨٣٦-٨٤٣

(٢) خم: واد بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال من الجحفة فيه غدير. انظر معجم البلدان ٢/٣٨٩

(٣) مجمع البيان للطبرسي ٦/١٥٣،١٥٢(دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٨٠هـ) ، وبحار الأنوار للمجلسي ٣٧/٢٢٥، وتفسير الصافي٢/٥١-٧١ . والحديث رواه أحمد (٤/٢١٨)الترمذي (٥/٥١٩ح٣٧١٣) وابن ماجه(١/٤٣) كلهم بدون زيادة :"اللهم والي من والاه .. -وما بعده-" . وقد ضعف ابن تيمية هذه الزيادة من جهة السند ومن جهة المتن، انظر منهاج السنة٤/٨٦ ومجموع الفتاوى٤/٤١٨.

١. أين الخلافة والنص لعلي في الآية وخطبة الغدير؟(١)

فالحديث في تصور البرقعي إنما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم "وعظهم هناك ساعة أو أكثر وكان يقول : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاده) ثم لم ينطق شيئاً بشأن الخلافة وليس في القرآن آية كهذه" ثم يقول البرقعي: " فعليكم أيها الرواة إما أن تتلوا علينا الآية التي نزلت بشأن الخلافة أو أن تضربوا الصفح عن هذه الروايات التي جاء بها أبو الجارود الملعون(٢) ، وسهل ابن زياد(٣)"(٤) .

٢. هل يخاف الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وممن يخاف؟

فالآية كما يفهم كثير من الإماميين جاءت تهدد النبي إن لم يبلغ خوفاً من الناس، وهنا يقول البرقعي رحمه الله:" وكيف يخاف النبي في هذا الموطن وهو الذي لم يعرف

---

(١) يعرّف الأصوليون النص بأنه:ما يفيد بنفسه من غير احتمال. ويمثلون له بقوله"تلك عشرة كاملة" حيث لا تحتمل أنها تسعة ولا أي عدد آخر(انظر:روضة الناظر٢/٥٦٠) و عند التأمل نجد ما يلي:

أولا:الآية لا تتضمن نصا في خلافة علي رضي الله عنه.

ثانيا: لوسلمنا بأن المقصود على بدلالة الحديث" من كنت مولاه.." فإن الحديث ليس نصا كذلك .

(٢) ابو الجارود: هو زياد بن المنذر الهمداني وقيل منذر بن زياد، وقيل الثقفي، ويقال النهدي، أبو الجارود الكوفي الأعمى، لقبه الإمام الباقر سرحوب-قيل على اسم شيطان يسكن البحر- قال ابن معين: كذاب. وقال النسائي وغيره: متروك. وقال ابن حجر: كذاب وليس بثقة. من غلاة الشيعة ، كان يضع الحديث في الفضائل والمثالب، وإليه تنسب الجارودية الزيدية التي وافقت جمهور الأمامية في تكفير الصحابة. ميزان الاعتدال للذهبي ٢/٩٣.الأعلام للزركلي٣/٥٥.(الملل والنحل١/١٨٥)

(٣) سهل بن زياد: هو أبو يحيى الواسطي الملقب بمؤمن الطاق ، قال النجاشي –من الإمامية-: قال بعض أصحابنا لم يكن سهيل بكلّ الثبت في الحديث.(رجال النجاشي١٩٢ ترجمة٥١٣ ط مؤسسة النشر بقم)، (منتهى المقال٣/ ٤٣١ ط مؤسسة آل البيت ببيروت)

(٤) كسر الصنم٢٢٩

الخوف أبداً ومنذ اليوم الأول لرسالته ... كيف يخاف أخيراً وفي إمرته سبعون ألفاً من المسلمين مستعدون للجود بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الدعوة"(١).

ثم يشير البرقعي إلى أن العاقل لا يمكن أن يتصور بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيخاف من أناس قدّموا "تلك التضحيات في بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وغيرها وجاهدوا في كل تلك الحروب ، وقدموا فداءً كبيراً من الأموال ، والأنفس حتى فتحت مكة.."(٢).

٣. من هم (الناس) الذين عرّض الله بكفرهم في الآية وحذّر رسوله بأن يخاف منهم؟

يذكر البرقعي أن قول الشيعة يعني بأن الصحابة رضي الله عنهم بعد كل التضحيات التي قدّموها بهجرتهم والتخلي عن أموالهم وجهاد قومهم في نصرة الإسلام يعرّض الله بكفرهم، ولهذا يقول البرقعي: "وفي آخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ صحابته أنه سيحج بهم ليعلمهم مناسك الحج ، وحج رسول الله مع المهاجرين والأنصار الذي أثنى الله عليهم في مواطن كثيرة من القرآن .. وفي طريق عودتهم إلى المدينة في غدير خم وهي موضع بين مكة والمدينة أنزل الله الآية الآنفة الذكر ﴿ يا أيها الرسول .... ﴾ ..[فعلى رأي الإمامية] كأن الله تعالى يقول فيها لرسوله يا رسولي لا تخف من أصحابك لأنهم جميعاً كفرة ومرتدون ، وليسوا أهلاً للهداية والله يعصمك من شرهم . وبلغ أمر ولاية علي عليه السلام وخلافته .

أنزل الله هذه الآية في حق أصحاب النبي،[فـ] بدلَ أن يقول لهم إن الله تقبل أعمالكم وشكر سعيكم في حجكم ، ولكن قال لهم : بلّغ يا رسول الله ما نزل إليك من ربك بشأن خلافة علي وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من هؤلاء

---

(١) كسر الصنم ٢٢٩-٢٣٠

(٢) كسر الصنم٢٢٩

الكفار المنافقين والله لا يهدي هؤلاء الكفار يعني أصحابك بهذا تم شرح الآية حسبما تأولها الكذابون .

الآن : لا بد أن نسأل : من هم الكفار في هذه الآية الذين يحفظ الله رسوله منهم ؟ هل هم أصحابه الذين حجوا معه ، وبذلوا أرواحهم ، وضحوا معه بكل شيء ثم يوصفون بعد ذلك بأنهم كفرة ؟ أليس هذا بعيداً عن إنصاف الله وعدالته ؟"(١).

٤. هل يدل السياق على تفسير الإمامية؟

يجيب البرقعي بقوله: "لا قطعاً بدليل القرائن السابقة واللاحقة ؛ فإن هذه الآيات تتعلق بكفر اليهود ، والنصارى ، ودولة الروم حيث نزلت هذه السورة في محاربتهم ، وكل آياتها في سورة المائدة . ومن جملتها يقول الله لرسوله : ﴿ بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ وبعد ذلك مباشرة في الآية ٦٨ يقول : ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة ...﴾ يعني ليس هناك فصل في سياق القرآن بين أمر الله بتبليغ الرسالة والرسالة نفسها.

وكذلك في سائر الآيات قبل وبعد هذه الآية، حيث كلها تتعلق بكفار اليهود والنصارى، وليس هناك كلام عن الولاية، ونحن وضحنا ذلك في كتابنا (قبس من القرآن) فليرجع إليه القاريء الكريم"(٢).

والخلاصة: هي أن البرقعي يرى بأن قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك..)الآية تدل على وجوب تبليغ الرسول كل ما أنزل إليه من الله بدون تخصيص ذلك بإمامة علي، لأن الآية عامة، و لم يذكر فيها شيء عن الإمامة، وأن الأحاديث المذكورة في خطبة غدير خم ليس فيها ذكر الإمامة، كما أن قوله والله يعصمك من الناس يعني الكفار بدلالة ما بعدها ((إن الله لا يهدي القوم الكافرين. قل يا أهل الكتاب لستم على شيء..)).

---

(١) كسر الصنم ٢٢٩

(٢) كسر الصنم ٢٣٠

ثالثا: آية التطهير وحديث الكساء

وقف البرقعي عند استدلال الإمامية على عقيدة الإمامة بقوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) [الأحزاب٣٣]. فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرحّل(١) من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ((إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)). رواه مسلم(٢).

وجه استدلال الإمامية: هو أن الآية تثبت الطهارة لمن أدخلهم الرسول في الكساء، ومن ثم فهي تدل على عصمتهم دلالة مؤكدة وغير المعصوم لا يكون إماما(٣).

مناقشة البرقعي

- **من يدخل في الخطاب(٤)؟**

يرى البرقعي أن قوله تعالى: (آل البيت) يدخل فيه نساء النبي صلى الله عليه وسلم وسائر أهل بيته لعدة دلالات:

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز يؤتزر به أو يتلفع به. والمرحّل: الذي قد نقش فيه تصاوير الرِّحال. المعجم الوسيط (مادة مرط) ٨٦٤ و القاموس المحيط ٨٨٧ (باب الطاء فصل الميم). النهاية في غريب الحديث ٢/٢١١

(٢) صحيح مسلم ٧/١٣٠

(٣) انظر مجمع البيان للطبرسي ٢٢/١٣٧-١٣٩ وتفسير التبيان للطوسي ٨/٣٤٠ (مكتبة الأمين- النجف- تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي /١٣٧٦-١٣٨٢هـ)

(٤) انظر تحقيق المسألة في كتاب جلاء الأفهام لابن القيم ٣٢٤-٣٤٧.

الأولى: دلالة السياق.

فزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخلن في قوله(آل البيت) لأن الآية تقع بين آيات تتعلق بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد قال الله تعالى في الآية قبلها : ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا))

وقال بعد ذلك ((يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا))

وثم قال((وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا))

ثم قال بعدها((وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))إلى آخر الآيات.

يقول البرقعي: "وليست آية التطهير كما توهم الغلاة، فقد ظنّوها آية مستقلة بينما هي ليست كذلك، وهي جزء من الآية التي تتعلق بنساء النبي صلى الله عليه وسلم...إذاً فجميع ضمائر الجمع المؤنثة تعود إلى أزواج النبي وهن المخاطبات"(١).

---

(١) كسر الصنم ٢٢٤. وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية١٤٩.

الثانية: أن الله جعل الزوجة من آل بيت الرجل.

ومن الأدلة التي استدل بها أبو الفضل البرقعي قول الله تعالى: ((قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾))

والمخاطب زوجة إبراهيم عليها السلام، فدل على دخول الزوجة في آل الزوج(١).

الثالثة: أنه لا يمكن لعاقل أن يقول إن الله لم يشأ الطهارة والنظافة من زوجات رسول الله بل أرادها فقط من صهره وبنته ، مع أن الآية-كما تبين- أقل ما يقال بأنها تحتمل دخولهم(٢).

شبهة وجواب:

يستدل بعض الشيعة على خروج زوجات النبي من الآية بأن الله فرق بين الضمائر في الآيات، فلم يقل هنا(عنكن).

ويجيب البرقعي بأن الله جعل " الضمير الوسط في جملة (إنما يريد الله ليذهب **عنكم** الرجس ...) هذا الضمير مذكر لدخول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت ، وخاطبهم الله جميعاً، وغلّب الضمير المذكر على المؤنث لأن العرب قد جرت عادتها أن تغلب ضمير المذكر إذا كان المخاطب فيه ذكور وإناث(٣).

---

(١) كسر الصنم .٢٢٦. يقول الأمين الشنقيطي: والتحقيق أنهن داخلات في الآية، وإن كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت. ثم استدل على ذلك بأمرين: الأول:أن الآيات نزلت بسببهن و أهل الأصول قد أجمعوا على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، و الثاني: أن الله تعالى سمى زوجة إبراهيم في أهل بيته في الآية. (أضواء البيان ٦/٥٧٧). وانظر مختصر التحفة الاثني عشرية ١٥١.

(٢) انظر كسر الصنم ٢٢٧.

(٣) كسر الصنم ٢٢٦. وانظر عقيدة الإمامة للسالوس٧٢.

ويشهد لما ذكره البرقعي أن فاطمة رضي الله عنها داخلة في الآية عند الشيعة وعند أهل السنة مع أن الخطاب بلفظ المذكر.

■ نوع الإرادة في الآية(١)

في حين ذهب الإمامية إلى أن الإرادة في قوله (إنما يريد الله..) هي إرادة كونية ولهذا قالوا بأن الأئمة معصومين؛ ذهب البرقعي –في المقابل–إلى القول الآخر وهو أن الإرادة هنا تشريعية واستدل على ذلك بما يلي:

أ. السياق حيث فيه ذكر تكاليف شرعية كالأمر بإقامة الصلاة والزكاة، فتكون الآية مثل قوله تعالى((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ [حتى قوله] مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ))(٢).

---

(١) الإرادة عند أهل السنة نوعان: الأولى: الإرادة الكونية الخلقية، وهي مشيئته الشاملة لجميع الحوادث، وهذه المشيئة مقارنة للقضاء والقدر، وهذه الإرادة لابد من وقوعها، ومن أمثلتها في كتاب الله قوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) [الأنعام١٢٥]. والنوع الثاني: الإرادة الشرعية الدينية وهي محبته ورضاه، وهي مقارنة للأمر والنهي والرضا والغضب، وهذه قد يقع مرادها وقد لا يقع، ومن أمثلتها قوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[البقرة١٨٥].انظر مجموع الفتاوى ٥٨٢/١٠، الاستقامة٤٣٣/١، منهاج السنة النبوية ١٥٧/٣.

أما الإرادة عند الإمامية فإن مراد الله تعالى غير لازم لإرادته، لهذا حاجهم بعض العلماء بقولهم هذا، لأن لازمه أن يكون التطهير في الآية –الذي استدلوا بها على العصمة– غير محقق الوقوع. انظر مختصر التحفة الاثني عشرية١٥٢-١٥٣.

(٢) كسر الصنم ٢٢٥-٢٢٦.

ب. على تفسير الشيعة فإن الآية تثبت عدم عصمة أهل البيت لأن الله يريد أن يـــذهب عنهم رجساً كان موجوداً ويزيله(١).

ت. أنه لا فضيلة لعصمة الذاتية التي تكون من إرادة إلهية تكوينيـــة تـــستحيل معهـــا المعصية..وأن كل حجر ومدر يكون معصوماً بإرادة الله التكوينية(٢).

إذن البرقعي يرى بأن هذه الآية "تتعلق بنساء النبي وسائر أهل البيت . يريد الله منهم أن يتطهروا ويجعلوا أنفسهم طاهرين باختيارهم، لا رغماً عنهم يجعلـــهم معـــصومين ومطهرين كالحجر الذي خلقه معصوماً ونظيفاً . إذاً فالكلام ليس عن طهارة جبريـــة وليس هناك عصمة ذاتيه ، بل على أهل بيت النبي صلى الله عليه وســـلم أن يبعـــدوا أنفسهم عن التلوث ويجعلوا أنفسهم نظيفين بطهارة البدن والخلق ... وهذا هـــو مـــا أراده الله منهم لأنهم فضلاً عن كونهم مؤمنين يتصلون بسمعة رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم" (٣).

والخلاصة: هي أن البرقعي يرى بأن قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) يشمل من جللهم النبي صلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم بالكساء مع زوجاته رضي الله عنهن أجمعين، بدلالة سياق الآيـــات أولا،و بدلالـــة الآيات الأخرى التي سمى الله فيها الزوجة من أهل بيت الرجل ثانيا، وبدلالة العقـــل الذي لا يمكنه القول بأن الله لا يرد طهارة زوجات رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) كسر الصنم ٣٣٥. يقول الدهلوي: دلالة الآية على العصمة غير مسلمة بل هي تدل على عدمها، إذ لا يقال في حق من هو طاهر إني أريد أن أطهره ضرورة امتناع تحصيل الحاصل، وغاية ما في الباب أنهم محفوظون من الذنوب بعد تعليق الإرادة بإذهابها. (مختصر التحفة الاثني عشرية١٥٢).

(٢) كسر الصنم ٢٢٦.

(٣) كسر الصنم٢٢٥-٢٢٦. يقول السعدي : (إنما يريد الله) بأمركن بما أمركن به، ونهيكن بما نهاكن عنه (ليذهب عنكم الرجس) أي الأذى والشر والخبث. (نفسير الكريم المنان ٦٦٤)

كما أن البرقعي يرى بان الآية لا تدل على عصمة أحد، لأن الإرادة في الآية شرعية، ولأن معنى ذلك أنهم لم يكونوا معصومين قبل ذلك.

ثانيا: مخالفة عقيدة الإمامية لما جاء عن الأئمة

يرى أبو البرقعي رحمه الله أن الأئمة لم يكونوا يؤمنون بما تعتقده الشيعة الأمامية من وجود نص على اثني عشر إماماً معصوماً، بل كانوا يؤمنون بمبدأ الشورى والانتخاب. ويدلل البرقعي على ما نسبه للأئمة بما يلي

أ. أقوال علي رضي الله عنه.

يقف مع أقوال للأئمة– يرويها الشيعة في كتبهم– تخالف عقيدة الإمامة، منها:

- قول علي رضي الله عنه: (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها)(١).
- وقال أيضا: (بسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها...حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووُطِيء الضعيف)(٢) .
- وقال أيضا: (دعوني والتمسوا غيري .. وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميرًا)(٣).
- وقال أيضاً: (تقولون البيعة البيعة فقبضت كفي فبسطتموها)(١).

---

(١) نهج البلاغة /خطبة ٢٠٥.

(٢) المرجع السابق /خطبة ٢٢٩ .

(٣) المرجع السابق/ خطبة ٩١. وفي تاريخ الطبري عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان ... فأتاه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقالوا ان هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله فقال لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أكون أميراً ، فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجدفإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين .. فقال ابن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه وأبى هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم بايعه الناس. تاريخ الأمم والملوك ٣/٨٢٥.

- وقال أيضا: (بايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين)[2].
- وقال أيضا: (إني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني)[3].
- وقال علي رضي الله عنه -مستشهدا على صحة بيعته-: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان لله رضى فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى فقاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين[4]) [5] .
- قول علي رضي الله عنه-معتبرا بيعته بدون رضى المسلمين غير معتبرة-حين قال:(فإن بيعتي لا تكون إلا عن رضى المسلمين[6])[7].

ثم يعقب البرقعي-بعد ذلك- بقوله: "وأمثال هذه الكلمات كثيرة في نهج البلاغة : إذن لو أن الله عينه فإنه لا يستطيع أن يتبرأ من الخلافة بكل هذا الكلام.

لقد تبرأ من الخلافة إلى درجة أنه كان يقول : (هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها)[8]. بناءً على هذا لو أوجب الله عليه الحكم لم يستطع إظهار أمور كهذه، والعجب أنه لم يدع في مكان ما أنّه الإمام المنصوص، غير أنه بعد قرنين من الزمان أو ثلاثة جاء صانعوا النصوص وادعوا له ذلك وأصبحوا أحرص على إمامته من الإمام نفسه"[9].

---

(١) المرجع السابق /خطبة ١٣٧.

(٢) المرجع السابق /رسالة رقم ١.

(٣) المرجع السابق/ رسالة رقم ٢.

(٤) المرجع السابق/ رسالة رقم ٦.

(٥) كسر الصنم ٣٤٨.

(٦) تاريخ الطبري٣/٨٢٥.

(٧) كسر الصنم ٣٤٨

(٨) المرجع السابق/ خطبة ٥.

(٩) كسر الصنم٣٤٦. وانظر تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٧

- عدم استخلافه للحسن رضي الله عنه.

ب. عدم علم سادات آل البيت بعقيدة الإمامة.

استشهد البرقعي بما جاء عن بعض أعلام آل البيت المتقدمين ما يدل على أنهم لم يكونوا يعلمون بعقيدة النص، مع أنهم من المتقدمين، ومن ذلك:

١. عدم ذكر الحسن رضي الله عنه للنص.

يروي البرقعي أن علي لما توفي وأخبر الحسن رضي الله عنه بوفاته، قام ابن عباس وقال: (إن أمير المؤمنين توفي وقد ترك لكم خلفاً فإن أجبتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد على أحد) فبكى الناس وقالوا : بل يخرج إلينا([١]).

وبهذا يستدل البرقعي أن البيعة تمت للإمام الحسن باختيار الناس له لا بوصية من علي رضي الله عنه، ولا بنص من الله ورسوله، ويقول: "وإذا كان ثمة نص من الله كان على سيدنا الأمير رضي الله عنه أن يقوله ولا يكتمه، يتبين من هذا أن جنابه لم يسمع بشيء من هذا وكذلك لم يسمع أحد من أصحابه نصاً كهذا و لم يتكلموا عنه"([٢]).

٢. عدم ذكر الحسين رضي الله عنه للنص.

فالإمام الحسين رضي الله عنه وأرضاه –كما يقرر البرقعي- لم يبادر بالخروج حتى بايعه أهل الكوفة وغيرها، وأعطوا عهدهم لنائبه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ([٣])، وحين دعوه لم يستند في إمامته إلى هذه النصوص قط ، وفي جميع خطبه وحججه التي ألقاها بين الناس لم يذكر ولو لمرة النص على إمامته أو إمامة أبيه ، وحتى في جوابه

(١) شرح نهج البلاغة ٨/٤، مروج الذهب ٤٤/٢

(٢) كسر الصنم ٣٤٨

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك ١٠١٠/٣.

على رسائل أهل الكوفة التي وصل عددها -في بعض الروايات- إلى ثنتي عشرة ألف رسالة لم يقل إلا : (من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل **فإن كتب إلي بأنه قد اجتمع** رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل على مثل ما قدّمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فإني أَقْدِم إليكم إن شاء الله ...)(١).

والشاهد أن الحسين رضي الله عنه قد علق الأمر باجتماع أهل الحل والعقد. وليس بالنص.

٤. عدم علم محمد بن الحنفية بالنص.

فمع قرب محمد بن الحنفية من علي رضي الله عنهما، وما جاء من حب علي له(٢)، إلا أنه لم يكن يعلم بالنص على الأئمة الذين تعتقد بهم الإمامية. ويحكي البرقعي اتفاق أهل الأخبار على ذلك فيقول: "لم يسمع سيدنا محمد بن الحنفية رضي الله عنه ابن أمير المؤمنين بهذه النصوص، لأنه باتفاق التواريخ كما رووا في هذا الكافي وفي كتاب إعلام الورى للطبرسي ص ٢٥١(٣) وفي كتاب الاحتجاج عن أبي عبيدة وزرارة عن سيدنا الباقر رضي الله عنه أنه قال: (لما قتل الحسين جاء محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين فخلا به وقال قد قتل أبوك و لم يوصِ وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي

---

(١) كسر الصنم ٣٤٩. ولا أعلم لم ترك البرقعي إكمال كلام الحسين عليه رضوان الله مع أهميته، وهو قوله : (فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط، والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله. والسلام) (تاريخ الأمم والملوك للطبري٣/١٠١٣).

(٢) ذكر الطبري في تاريخه وصية علي رضي الله عنه وفيها أنه قال للحسن والحسين: أوصيكما به -يعني ابن الحنفية- فإنه شقيقكما، وابن أبيكما،**وقدعلمتما أن أباكما كان يحبه**..(تاريخ الأمم والملوك ٣/٩٣٧).

(٣) انظر الرواية في : الكافي١/٣٤٨، إعلام الورى ٢٥٨-٢٥٩

وأنا في سني وقدمي أحق بها منك)[1] . والآن إذا كان محمد بن الحنفية ذلك السيد المبجل وممدوح أهل البيت إذا كان يعرف هذه النصوص فلم يتكلم بكلام كهذا"[2].

٥. إنكار زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم للنص.

استدل البرقعي بما روى الكليني من أن زيد لم يكن يعلم بالنص على الاثني عشر، بل أنكر تعيين الأئمة وقال لأخيه الباقر: "ليس الإمام منا من جلس في بيته و أرخى ستره وثبط عن الجهاد ولكن الإمام منا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ودفع عن رعيته وذب عن حريمه"[3].

وزيد بن علي رحمه الله الذي يستدل بقوله البرقعي؛ هو الذي قال عنه الباقر – عندما أخذ البيعة لنفسه في العراق – وقد قيل له: إن أخاك زيداً فينا يبايع؟ فقال: بايعوه فهو اليوم أفضلنا[4].

والخلاصة: هي أن البرقعي يقرر بأن النص لو كان موجوداً وواضحاً من زمن النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة؛ لما نقل عن هؤلاء هذا التجاهل أو الإنكار للنص. في وقت كانت الأمة أحوج ما تكون إلي بيانه.

ونحن نزيد على كا ذكر البرقعي سؤالاً مهماً: ما هو التفسير المنطقي لإهمال الأئمة – وأولهم علي عليه رضوان الله – بيان هذا النص لذرياتهم الأقربين كابن الحنفية الذي يُعد من أحب أبناءه، ومثله زيد بن علي (زين العابدين) الذي يعد ابن إمام، وكذا حسن (المثنى) بن الحسن الذي يعد ابن إمام، فهل بلغت الشفقة بالأئمة أن يبينوا النص لأولئك الرواة الكذابين في حين لم يشفقوا على أبنائهم، إن هذا بلا شك برهان واضح يدل على عدم النص أصلاً.

---

(١) وفي الكافي : (فلا تنازعني في الوصية والإمامة ولا تحاجني..) ١/٣٤٨.

(٢) كسر الصنم ٣٤٩

(٣) الكافي ١/٣٥٧

(٤) الأنساب للبلاذري٣/٢٤٠.

ج. قيام كثير من سادات آل البيت بالخروج وطلبهم البيعة من الناس لأنفسهم وليس للأئمة.

وهنا يستعرض البرقعي ما جاء عن كثير من سادات آل البيت من الخروج على بعض الحكام وأخذهم البيعة لغير الأئمة الاثني عشر، مما يعني عدم علمهم جميعا بالنص .

ومن هؤلاء الذين يذكرهم البرقعي(١):

١. زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه(٢).

٢. عبد الله بن الحسن بن الحسن.

٣. محمد بن عبد الله(المحض)بن الحسن بن الحسين،الملقب بالنفس الزكية(٣).

---

(١) انظر كسر الصنم ٣٤٩-٣٥٢

(٢) حاول بعض الرواة الكذابين أن يختلق خبرا ليفيد رجوع زيد بعد علمه بالنص على الأئمة : فقد رووا أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه جاء لإقناع زيداً بالنص على الأئمة ، يقول البرقعي: مع العلم بأن زيداً ولد عام ٨٠هـ في حين أن جابر توفي في عام ٧٤هـ، فلا زيد رأى جابراً ولا جابر رأى زيداً.. (انظر:كسر الصنم ٣٥٠)

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضى الله عنه(ت ١٤٥هـ)، يلقب بـ"النفس الزكية" و"صريح قريش"- لأن أمه وجدّاته لم يكن فيهن أم ولد- كان غزير العلم،شجاعا ، خرج على المنصور مع أكثر من ثلاثمائة من العلويين وأهل المدينة ، وكان ممن ساعده الصادق رضي الله عنه وكان ابنا الصادق موسى وعبدالله في ركابه كما في كتاب مقاتل الطالبيين وغيره ، وممن قام معه السيد المبجل عيسى بن زيد بن علي بن الحسين مع محمد بن عبدالله؛ الذي قال : من يتخلف عن بيعة محمد بن عبدالله أضرب رقبته . قاتله جيش المنصور فقتل وأرسل رأسه إلى المنصور، وذكر ابن خلدون: أن الإمامين مالك وأبي حنيفة كانا يريان إمامة النفس الزكية أصح من إمامة المنصور، وروى الطبري أن الإمام مالك استفتي في الخروج مع محمد وقيل له:إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين. فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته. ونقل الزركلي عن الصفدي في كتابه الوافي أن طائفة "المحمدية" من الجارودية تنسب إليه، وهي التي كانت تؤمن بأن الصادق لم يمت ويزعمون أنه في جبل "حاجر" في نجد، وانه سيخرج يوما ما ، ومن هذه الفرقة الراوي الشيعي المشهور جابر بن يزيد الجعفي. تاريخ الطبري(١٥٧٩/٤) تاريخ ابن خلدون(١٩٠/٣) سير أعلام النبلاء(٢١٠/٦-٢١٨)، مقاتل الطالبيين(٢٣٢). تهذيب التهذيب (٢٥٢/٩)، (الإعلام٢٢٠/٦). كسر الصنم

٤. حسين بن علي بن الحسن(المثنى)بن الحسن، الملقب بشهيد الفخ[١].

٥. عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالأشتر[٢].

٦. علي بن محمد بن عبد الله المحض[٣].

٧. حسن بن محمد بن عبد الله المحض[٤].

.٣٥٠

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن(المثنى) بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم(١٦٩هـ) يلقب بـ(صاحب الفخ) أو (شهيد الفخ) من الشجعان الكرماء، خرج على الهادي العباسي في المدينة لما رأى ما ينكره فأخذ البيعة له من الناس، وقال في خطبة بيعته: يا أيها الناس، أنا ابن رسول الله، وفي حرم رسول الله ، وفي مسجد رسول الله، وعلى منبر نبي الله، أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن لم أف لكم فلا بيعة لي في أعناقكم. وقد قاتله جيش الهادي في منطقة (فخ) فقتل. وفخ ضاحية من ضواحي مكة تسمى اليوم بالشهداء أو الزاهر، وسميت بالشهداء لدفن الحسين بن علي وأنصاره فيها. شذرات الذهب ٢٦٩/١، تاريخ الطبري ١٦٨٩/٥، ميزان الاعتدال١/٥٤٤،الأعلام (٢٤٤/٢)، مقاتل الطالبين٢٨٨-٣٠٨، كسر الصنم٣٥٠

(٢) عبدالله بن محمد(النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم(١٥١هـ).يلقب بالأشتر،خرج بالمدينة مع أبيه على المنصور، ذهب إلى السند-مظهراً التجارة- ليأخذ البيعة لوالده فأعطاه أميرها(عمر بن حفص) بيعته وبيعة قواده، وبينما هو يتهيأ للخروج أتاه نعي والده(النفس الزكية)، و-بنصيحة من ابن حفص- رحل إلى بعض بلاد السند عند أحد ملوك غير المسلمين، فلقي كرما وأقام أربع سنين أسلم فيها على يده عدد كبير، ووصل الخبر إلى المنصور فخلع ابن حفص وجعل مكانه هشام بن عمرو بن بسطام التغلبي، ثم تختلف الروايات في كيفية موت عبد الله الأشتر. تاريخ الطبري(١٦٢٩/٤)،مقاتل الطالبين٣١٠-٣١٤، الأعلام١١٦/٤-١١٧.

(٣) هو علي بن محمد(النفس الزكية)بن عبد الله (المحض) بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، كان أبوه قد وجهه مع أخاه موسى إلى مصر يدعوان إلي بيعته، فنجى موسى وأخذ علي إلى أبي جعفر فحبسه مع أهله فمات في الحبس.(مقاتل الطالبين ٢٠١)

(٤) هو حسن بن محمد(النفس الزكية) بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي

٨. إبراهيم بن عبدالله المحض(١).

٩. يحيى بن عبدالله المحض(٢).

١٠. محمد بن جعفر الصادق(٣).

١١. سليمان بن عبدالله المحض(٤).

١٢. إدريس ابن عبدالله المحض(١).

رضي الله عنهم، خرج مع حسين بن حسن في واقعة الفخ، فألقي عليه القبض بعدها وضربت عنقه صبراً. (مقاتل الطالبين٤٣٤)،(مروج الذهب٢٦٩/١).

(١) هو أبو الحسن إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، على شاكلة أخيه محمد(النفس الزكية) في الديانة والعلم، أمره أخوه بالخروج في العراق فخرج وتمكن مدّة، فلما بلغه مقتل أخيه حزن جداً،.ثم قاتل جيش المنصور حتى قتل سنة ١٤٥هـــ (مقاتل الطالبين ٣١٥-٣٨٦) (تاريخ الطبري ١٦٠٤/٤-١٦١٥)(البداية والنهاية ٩١/١٠).

(٢) هو أبو الحسن يحيى بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه. رباه جعفر الصادق وروى عنه كثيرا وعن أبيه المحض وأخيه محمد النفس الزكية، وكان مالك بن أنس يجله ، وكان ممن أوصى إليه جعفر بماله وولده عند وفاته، خرج مع حسين بن حسن فنجى في وقعة الفخ ، وهرب إلى نواحي الديلم، فكتب له الرشيد كتاب أمان، ثم نقضه الرشيد وقتله، وقد قيل أن سبب ذلك أبيات أنشدها يحيى رحمه الله أمامه عرض فيها بظلم بني العباس وتمنيه قيام دولة العلويين، فقتله الرشيد على إثرها. (مقاتل الطالبين٤٦٣-٤٨٣).

(٣) هو أبو جعفر محمد بن جعفر(الصادق)بن محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، كان فاضلا مقدما في أهله، أمر المأمون آل أبي طالب أن يركبوا إلى خراسان من غيره فأبو إلا أن يركبوا معه، ظهر بالمدينة مع بعض الطالبيين وبايعه الناس ولقبوه بأمير المؤمنين، وحوصر قريبا من مكة فطال الحصار و لم يقاوم رجاله فأخذ لهم الأمان على أن يذهبوا إلى خراسان، ولما مات جيء بجنازته فدخل المأمون بين عمودي السرير فحمله حتى وضعه في لحده، وقال: هذه رحم مجفّوة منذ مائتي سنة. مقاتل الطالبين ٥٤١. كتاب الإرشاد للمفيد٢٨٦.

(٤) هو سليمان بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، خرج مع الحسين شهيد الفخ وأسر ثم قتل صبرا بمكة شذوز الذهب ١٨٣/٢،(مقاتل الطالبين رقم ٣٧ ٣٦٥ط مؤسسة الأعلمي ببيروت)

١٣. عبدالله الأفطح بن جعفر الصادق(٢).

١٤. أحمد بن موسى الكاظم(٣).

١٥. زيد بن موسى الكاظم(٤).

وهنا يقول البرقعي: " وإن كان هناك نص، كان عليهم[أي هؤلاء الذين خرجوا] أن يعرفوه لا أن يعرفه عدد من الوضاعين الغلاة"(٥) .

وقد صدق البرقعي فإن وجود النص على الاثني عشر ووضوحه-كما يذكر الإمامية- يتنافى مع خروج هؤلاء المقربين من الإئمة، وأخذهم البيعة لغير الأئمة الاثني عشر، ولا يسع المتأمل لمثل حالهم إلا أحد الاحتمالات التالية:

---

(١) هو إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه،شارك حسين بن حسن عندما ظهر وأفلت من مقتلة الفخ، وخرج إلى أفريقيا فأرسل إليه الرشيد رافضياً خبيثاً فسمّه فمات.تاريخ الطبري٥/١٦٩١، مقاتل الطالبيين ٤٠٦-٤٠٩، شذور الذهب١/٢٦٩.

(٢) عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، لقب بالافطح لأنه أفطح الرأس، وقيل: لأنه كان أفطح الرجلين، وقيل غير ذلك. قال بإمامته كثير من جل مشايخ الشيعة وفقهائها بعد موت أبيه كما ذكر النوبختي وهم الفرقة المسماة بالفطحية، إلا أنه مات بعد والده بسبعين يوما، أما المفيد فقد طعن في اعتقاده ونسبه للإرجاء ومخالطة الحشوية. رجال الكشي ٢١٩،فرق الشيعة للنوبختي ط كربلاء٩٩، الإرشاد للمفيد٢٨٥-٢٨٦ط إيران

(٣) هو أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، كان كريما ورعا، قالت بإمامته طائفة في زمن أخيه الكاظم (فرق الشيعة للنوبختي ١٠٧) (منتهى المقال للمازندراني ١/٣٥٥).

(٤) هو زيد ين موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، يقال له زيد النار لكثرة ما حرق من الدور بالبصرة من دور بني العباس وأتباعهم، خرج مع أبي السرايا ومحمد بن اسماعيل سنة ٢٠٠هـ زمن المأمون وولوه على البصرة(تاريخ الطبري ٥/١٨٢٩، ١٨٣٣)(مقاتل الطالبيين٤٣٦)

(٥) كسر الصنم ٣٥٢

الاحتمال الأول: أن الأئمة علموا النص ولم يبلغوه لهؤلاء المقربين على حين أنهم بلغوه للرواة الكذابين من أمثال المغيرة بن سعيد وغيره. وهذا طعن كبير لا يرضاه مؤمن على أحد من أهل الفضل في هذه الأمة، لاسيما أمثال الإمام الصادق رحمه الله الذي يعد من فحول أهل العلم في زمانه، فهذا الاحتمال غير وارد.

الاحتمال الثاني: أن الأئمة بلغوا النص للناس، ولكن هؤلاء وأمثالهم من ذريتهم تركوا النص، وشغفوا بحب الرياسة مما جعلهم ينافسون الأئمة، وهذا يرده ما نجده من الثناء عليهم من قبل الأئمة وعلماء الشيعة في كتب تراجم الرجال عند الإمامية، وبهذا يكون هذا الاحتمال غير وارد، فلا يبقى إلا الاحتمال الأخير وهو:

الاحتمال الثالث: أن النص على اثني عشر بأسمائهم كذبة كذبها بعض الرواة، وأن الأئمة لم يكونوا ممن يؤمن بهذا المعتقد، ولم يتكلموا به، ولهذا خرج أمثال هؤلاء. وهذا هو الذي يتفق مع المعروف من ديانة الأئمة والعلماء من آل البيت، وهو الذي يتسق مع شفقتهم على الناس عموماً وعلى أبنائهم وأقربائهم خصوصاً، إذ لو كان ثمة نص لاقتدوا بالنبي صلى الله عليه وآله سلم حينما أراد البلاغ فنادى قريش عموما ثم خصص في بلاغه حتى سمى ابنته الشريفة فاطمة رضي الله عنها كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: قال: لما نزلت هذه الآية: (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها) متفق عليه. وفي رواية لأحمد والترمذي: (غير أن لك[يعني فاطمة] رحما، وسأبلها ببلالها)(١).

---

(١) البخاري (الفتح ٨/ ٣٦٠ ح)٤٧٧١. (مسلم١/١٩٢ح٢٠٤).(أحمد٢/٣٦٠ح٨٧١١). (الترمذي٥/٣١٦ح٣١٨٥).

شبهة ورد

يجيب بعض الشيعة على خروج أمثال هؤلاء الأئمة وطلبهم البيعة بقولهم: إنما خرجوا للدعوة إلى الرضى من آل البيت، من غير أن يطلبوها لأنفسهم.

وقد أجاب البرقعي على هذا بأنه قد ثبت أن بعض هؤلاء الذين خرجوا قاموا بأخذ البيعة لأنفسهم بل طلب بعضهم من بعض الأئمة الاثني عشر أن يبايعه.

ومن ذلك أن محمد بن عبد الله (النفس الزكية) أخذ البيعة لنفسه من أهل المدينة، وساعده الإمام الصادق على ذلك(١).

وكذلك يحيى بن عبد الله المحض فقد أخذ البيعة لنفسه في بلاد كيلان والديلم وقويت شوكته، وهو الذي أرسل إلى موسى بن جعفر(الإمام السابع) يدعوه إلى إمامة نفسه كما جاء في الكافي(٢).

أخيرا :

فإن ثمة حقيقة علمية يجب أن تكون واضحة، وهي أن هؤلاء الذين خرجوا وأخذوا البيعة لإمامتهم، لم يكونوا يطلبون الإمامة بالمعنى الذي اصطلح عليه الإمامية–وهي الإمامة الإلهية التي ترافقها المعجزات ونحوه–، بل كانوا يطلبون الإمامة بمعناها الشرعي وهو ولاية أمر المسلمين من أجل إصلاح ما فسد.

وهذا يدعونا إلى التوقف مع كتابات بعض أهل السنة وبعض المؤرخين لتاريخ الشيعة، حيث يُفهم من عرضهم لخروج بعض من مضى ذكرهم بأنهم كانوا يدّعون الإمامة الإلهية.

ونحن وإن قلنا بأن بعضاً من الذين كانوا شاركوا هؤلاء قد يكونون ممن يعتقد وجود الإمامة أخذ يروج لها الكذابون في الخفاء من خلال نقل أقوال كاذبة للشيعة، إلا أن

---

(١) كسر الصنم ، وانظر في ترجمته السابقه تأييد الصادق له ص ١٤٥.

(٢) انظر الكافي باب ما يفصل به بين المحق والمبطل ١/٣٤٣

هذا المعتقد يجب أن لا يحمّل لأولئك العلويين(١).

والمقصود أن الإمامة التي سعى لها من سعى من أحفاد الأئمة هي ذات الإمامة التي سعى لها الحسين رضي الله عنه وغيره، التي هي في الحقيقة مرتبة مكتسبة وليست إلهية،وقد أرادوا الوصول إليها من أجل إصلاح الأمة التي كانوا يرون أن أحوالها بدأت تسوء شيئا فشيئا في ظل إمارات غلب عليها الجور.

د. عدم علم كثير من خواص الأئمة

يستدل البرقعي على بطلان عقيدة الإمامة عند الاثني عشرية أيضاً بما جاء عن بعض المقربين من الأئمة من عدم علمهم بالنص على الأئمة.

ومن أهم من ذكرهم البرقعي:

١. أبو حمزة الثمالي(٢).

---

(١) في عرْض الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله لهذا الموضوع نجد بأنه يذكر من خرج للإمامة زمن الأئمة كعبد الله الأفطح وغيره فيطلق عليهم "مدّعي الإمامة في من أهل البيت في حياة الصادق" و"مدّعو الإمامة في عهد موسى الكاظم"...وهكذا(انظر الشيعة والتشيع٢٢٠، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٩)..ومثل هذه العبارة تشعر بأنهم كانوا يدعون المرتبة المنصوص عليها كما كان يؤسس لها متكلموا الإمامية، وليس الأمر كذلك إذ أنهم رحمهم الله لم يكونوا على هذا الاعتقاد، بل كما ذكرنا كانوا يخرجون لطلب الإمامة والخلافة من أجل إصلاح الأمة، كما أننا لا نفترض أن المؤيدين لهم كانوا جميعا على القول بـــ"الإمامة الشيعية" بل فيهم من الصالحين من أهل السنة وعلمائهم وفيهم من غيرهم من زيدية أو شيعة مفضلة وغيرهم من كانوا يرون التغيير بالسيف، ولو تأملنا خروج الحسين رضي الله عنه ثم بعده بمدّة محمد الملقب النفس الزكية ومن كان معهما لرأينا مصداق ذلك.والله أعلم.

(٢) أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار الأزدي بالولاء، من رجال الحديث الثقات عن الإمامية، يقول المازندراني: لا خلاف بين الطائفة في عدالته. وقال أحمد وابن معين: ليس بشيئ. وقال ابو حاتم: لين الحديث. قتل ثلاثة من أولاده مع زيد بن علي الحسين، رووا عن الرضا أنه قال عنه:هو لقمان زمانه، توفي عام ١٥٠هـــ . ميزان الاعتدال ٣٦٣/١.الطبقات الكبرى ٣٦٤/٦.انظر منهج المقال٧٤ و رجال النجاشي ٨٣ ، رجال الكشي ٤٨٥.

روي أنه لم يكن يعلم من هو الإمام بعد الصادق. فقد جاء عنه أنه عندما سمع خبر وفاة الإمام الصادق وقف على قبر الأمير رضي الله عنه وقال لأعرابي بعد أن صاح صيحة وضرب يده بالأرض سائلاً هل سمعت أنه قد أوصى بشيء أو قد عين وصيه؟!.

قال الأعرابي: وصى لابنه عبدالله وموسى ومنصور الدوانيقي(١) . قال أبو حمزة : الحمد لله الذي لم يضلنا . (٢)

ومحل استشهاد البرقعي أن أبا حمزة لم يكن يعلم من هو الإمام بعد الصادق، وإلا لما سأل.

وقد أكد بعض الشيعة الاثني عشرية عدم علم أبي حمزة الثمالي بأسماء الأئمة قبل موت الصادق بقولهم: "فذهب بعد ذلك [أي الثمالي]إلى المدينة ليطّلع بنفسه على الوصي

---

(١) يعني أبا جعفر المنصور.

(٢) كسر الصنم ٣٥٣. وتمام القصة التي رواها البرقعي باختصار. قال داود بن كثير الرقي: وفد من خراسان وافد يكنّى أبا جعفر، اجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالا ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة، فورد الكوفة ونزل وزار قبر أمير المؤمنين(عليه السلام)، ورأى في ناحية المسجد رجلا حوله جماعة.فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي .قال: فبينما نحن جلوس اذ أقبل اعرابي، فقال: جئت من المدينة، وقد مات جعفر بن محمد(عليه السلام) فشهق أبو حمزة ثم ضرب بيده الارض، ثم سأل الاعرابي:هل سمعت له بوصية ؟ قال : أوصى الى ابنه عبدالله والى ابنه موسى، والى المنصور. فقال : الحمد لله الذي لم يُضلّنا، دلّ على الصغير وبيّن على الكبير، وستر الأمر العظيم. ووثب الى قبر أمير المؤمنين(عليه السلام) فصلى وصلّينا. ثم أقبلت عليه وقلت له: فسّر لي ما قلته ؟قال: بيّن أن الكبير ذو عاهة ودلّ على الصغير أن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر العظيم بالمنصور حتى إذا سأل المنصور: من وصيّه؟ قيل أنت.قال الخراساني: فلم أفهم جواب ما قاله. كتاب: أعلام الهداية –تأليف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام– ، نقلا عن:عوالم العلوم، الإمام الكاظم : ١٧٥

من بعد الإمام جعفر بن محمد(عليه السلام)"(١)، مما يعني أنه لم يكن يعرف الوصـــي قبل ذلك.

إن إشارة البرقعي إلى عدم علم الثمالي بمن هو الإمام بعد الصادق- وهو بمترلته القريبة من الباقر والصادق- تحمل دلالة قوية على أن القول بالنص علـــى الأئمـــة لم يكـــن موجود أصلا، وإلا للزمنا أن نقول إن الصادق والباقر كتما هذا العلم المهم عن أحد أقرب المخالصين له، وهذا مما يتفق أهل السنة والشيعة على نفيه عن الباقر والـــصادق رحمهم الله.

٢. أبو جعفر الأحول الملقب بـــ(مؤمن الطاق)(٢).

٣. هشام بن سالم(٣).

كما استدل البرقعي بما جاء عن هشام بن سالم أنه قال : كنا في المدينة بعد وفـــاة أبي عبد الله (عليه السلام) أنا ومؤمن الطاق (أبو جعفر) والناس مجتمعون على أنّ عبد الله (الأفطح) صاحب (الإمام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصـــاحب الطـــاق، والنـــاس

---

(١) أعلام الهداية/تأليف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، انظر:
http://www.١٤masom.com/١٤masom/٠٩/mktba٩/book٠٣/٠٠٩.htm#_Toc٤١٢٠٣٧٦ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان بن ابي طريفة البجلي الكوفي، من أصحاب الصادق و الكاظم، كان صرافا في سوق طاق المحامل في الكوفة فاختصم مع رجل في درهم مزيف فغلب فقال: أنا شيطان الطاق، فلقب به. وقيل أول من لقبه بذلك أبو حنيفة، وقيل إن هشام بن الحكم الرافضي لما بلغه أنهم لقبوه بشيطان الطاق سماه هو مؤمن الطاق. قال الذهبي شيعي جلد ،إهـــ- لم أجد له سنة وفاة فيما اطلعت-. لسان الميزان٥/٣٠٠. سير أعلام النبلاء ض١٠/٥٥٣. منتهى المقال٦/١٣٥.

(٣) هو هشام بن سالم الجواليقي، مولى بشر بن الحكم ، كان من سبي جوزجان ، قال الحلي ثقة ثقة .(رجال العلامة للحلي ١٧٩)، (رجال البرقي ٣٥).

مجتمعون عند عبد الله وذلك انهم رووا عن أبي عبد الله(عليه السلام) : أن الأمر[1] في الكبير ما لم يكن به عاهة. فدخلنا نسأله عمّا كنا نسأل عنه أباه. فسألناه عن الزكاة في كم تجب ؟ قال: في مائتين خمسة، قلنا: ففي مائة ؟ قال: درهمان ونصف درهم . قلنا له : والله ما تقول المرجئة هذا. فرفع (الأفطح) يده إلى السماء، فقال : لا ، والله ما أدرى ما تقول المرجئة ! قال : فخرجنا من عنده ضُلّالا، لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد والى أين نتوجّه ؟!

نقول: (نذهب) إلى المرجئة ؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟"[2].

وهنا يقف البرقعي ليبين أن هذه النصوص لو كانت موجودة لما جاء عن أبي حمزة ومؤمن الطاق التوقف، ولما وردت عنهم الحيرة بعد وفاة الإمام[3].

٤. زرارة بن أعين[4].

استشهد البرقعي بما جاء عن زرارة أنه لما سمع بوفاة الإمام الصادق مال الناس إلى عبدالله (الأفطح) ابنه الأكبر، فأرسل زرارة ابنه عبيداً إلى المدينة ليتحقق ويعلم من الإمام اللاحق ، ولما أحس بالاحتضار وأوشك عليه كان ابنه عبيد لم يرجع من المدينة فبحث عنه فقالوا له : لم يرجع بعد من المدينة فطلب القرآن وقال : يا إلهي أنا لا

---

(١) يقصد بالأمر الإمامة.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢٢١/٢ ، مدينة المعاجز: ٢٠٨/٦. وانظر بقية القصة في زيادة عند المجلسي في بحار الأنوار(ج٤٨/ص٥٠).

(٣) كسر الصنم ٣٥٤

(٤) هو زرارة بن أعين بن سُنسن الشيباني الكوفي (١٥٠هـ)، يكنى أبا الحسن أو أبا علي ، وقيل إن زرارة لقبه واسمه عبد ربه، ذكر المازندراني أن جلالته وعلو مرتبته في المذهب واضحة، وقال عنه ابن حجر يترفض . انظر: منتهى المقال ٢٥٠/٣-٢٥٦. لسان الميزان٤٧٣/٢

أدري من الإمام ، أنا أقبل بكل ما في هذا الكتاب وأقبل من يصدق هذا الكتـــاب . وقال ليس لي إمام إلا هذا الكتاب.(١)

كما استشهد البرقعي بكثرة أسئلة أصحاب الأئمة عن الإمام بعد كل واحد ، وطلبهم منه تعيين الإمام بعده، مما يدل على عدم علمهم بأسماء الأئمة(٢).

يقول أبو الفضل البرقعي: وموطن السؤال الآن : "كيف أن هؤلاء (٣)الذين هم مـــن خواص أصحاب الأئمة لم يكونوا على علم بالنصوص الواردة بشأن الأئمة الإثني عشر ولم يسمعوا بها. ولكن في عصرنا أصبح ـــ أي النص على الأئمة ـــ من ضـــروريات المذهب تقليداً معروفاً عن الوضّاعين الكذابين، وكل من لا يعرف ذلك فيعـــد مـــن الذين لا دين لهم . ولو كان هناك ثمة نص حقيقي لما قام الخلاف بين المذاهب الشيعية نفسها .

---

(١) كسر الصنم ٣٥٤، هكذا نقل البرقعي القصة وهي مروية بعده روايات منها ما رواه الكشي عن عمر بن شعيب عن عمة زرارة قالت: لما وقع زرارة واشتد به قال: ناوليني المصحف، فناولته وفتحته فوضعه على صدره ، وأخذه مني، ثم قال : يا عمة اشهدي أن ليس لي إمام غير هذا الكتاب.إهـــ. كما نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الجمهرة لابن حزم القصة باختلاف يسير، فقال: كان زرارة بن أعين المحدث يدعي إمامة الأفطح عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي هو وجماعة معه، فقدم المدينة فلقي عبد الله فسأله عن مسائل من الكوفة فألفاه لا يدري ، فرجع إلى الكوفة، فسأله أصحابه عنه-وكان المصحف بين يديه- فأشار لهم إليه [يعني المصحف] وقال لهم : هذا إمامي لا لإمام لي غيره. قلت[والكلام لابن حجر] فهذا يدل على أنه رجع عن التشيع. . رجال الكشي ١٥٤-١٥٧. لسان الميزان٢/٤٧٣-٤٧٤.

(٢) كسر الصنم ٢٤٠. وقد جمع البرقعي أسماء من ورد سؤاله للإمام في كتاب الكافي من زمن الحسين إلى زمن الرضا فبلغ عددهم (١٠٤) شخص. انظر أسماءهم في كسر الصنم ٢٤١-٢٤٣.

(٣) هكذا العبارة في الأصل المترجم.

واقرؤا إن شئتم كتاب فرق الشيعة الذي ألفه العالم الشيعي الكبير أبو محمد حسن بن موسى النوبختي(١)، وكتاب المقالات والفرق للباحث والمحقق الشيعي سعد بن عبد الله الأشعري(٢)، ثم انظروا كيف وجد في عصر الأئمة أكثر من سبعين مذهباً وفرقة للشيعة، فلو كان هناك نص ثابت لما وجدت كل هذه المذاهب(٣).

والخلاصة: هي أن البرقعي يرى بأن عدم علم أمثال هؤلاء البارزين المقربين من الأئمة من أكبر الأدلة على بطلان وجود نص على اثني عشر إماما -كما هي عقيدة الإمامية- لأنهم إما أن يكونوا لم يعلموا النص من الأئمة، وإما أن يكونوا قد علموا وتخلوا عن هذا الاعتقاد لبطلانه.

ويجب القول بأن كل هذه الأدلة التي يذكرها البرقعي تنفي أمراً مهماً وهو أن الآيات التي يستدل بها الشيعة على الإمامة -وهي موجودة بين يدي كل الناس آنذاك- ليست نصا صريحا وإلا لما احتاج أمثال الثمالي وزرارة إلى أن يحتاروا في تعيين الأئمة -كما سبق-.

---

(١) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ، متكلم إمامي وصفه الذهبي بالعلامة ذو الفنون و بالشيعي المتفلسف صاحب التصانيف ، وهو ثقة عند الإمامية كما حكى الطوسي و الحلي. سير أعلام النبلاء ١٥/٣٢٧. الفهرست ٢٥١-٢٥٢. رجال النجاشي ٦٣. رجال ابن داود ١١٩. رجال الطوسي٤٢٠. رجال الحلي٣٩. الأعلام٢/٢٢٤.

(٢) هو أبو القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي (٣٠٠هـ وقيل قبلها بسنتن وقيل بعدها بسنة). فقيه إمامي ، ثقة عندهم، له كتاب الضياء في الرد على المحمدية والجعفرية، وكتاب فرق الشيعة .رجال النجاشي ١٧٧. رجال الحلي٧٨.

(٣) كسر الصنم ٣٥٥. مع ملاحظة أن البرقعي لم يضعف الأحاديث التي أتت بأصل البشارة بمهدي يأتي في آخر الزمان، وإنما ضعف الأحاديث التي يرويها الشيعة، والتي تقول بأن المهدي هو محمد بن الحسن. كما سيأتي في الفقرة التالية.

المسألة الرابعة: عقيدتهم بالمهدي [محمد ابن الحسن].

تشكل عقيدة الإيمان بمهدية محمد بن الحسن المحور الذي يدور حوله المذهب حالياً، والأساس الذي يقوم عليه بنيان التشيع الإمامي اليوم، لأنه الحجة التي لا بد منها لبقاء الدين.

فبعد أن مات الإمام الحادي عشر الحسن العسكري- وليس له ولد في الظاهر- افترق الشيعة وتحيروا بسبب انتقاض ما اعتقدوه من تسلسل اثني عشر إماما، فافترق الشيعة إلى فرق شتى قيل أربع عشرة فرقة كما يقول النوبختي(١)، وقيل خمس عشرة كما يقول القمي(٢)، وكان من هذه الفرق فرقة واحدة قالت بأن الحسن قد أعقب ولداً اسمه محمد قد أخفاه خوفا عليه، وهذه هي الفرقة الاثنا عشرية(٣).

وقد تناول البرقعي مناقشة الإمامية في كون محمد بن الحسن هو المهدي من ثلاثة جهات:

أولا: ضعف الأحاديث التي تثبت مهدوية محمد ابن الحسن.

حيث يصف البرقعي عامة الأحاديث التي يرويها الشيعة في محمد بن الحسن بأنها ضعيفة ومكذوبة (٤).

ثانيا: عدم ثبوت ولادة محمد بن الحسن العسكري.

إذ يرى البرقعي أن الحسن العسكري لم ينجب، وأن محمداً الذي تدعيه الإمامية لم يولد أصلاً، وأن الأحاديث التي يرويها الكليني لإثبات ذلك كلها ضعيفة وساقطة(٥).

---

(١) فرق الشيعة٩٦.

(٢) المقالات والفرق١٠٢.

(٣) انظر أصل مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ٣/١٠٠٤-١٠٠٧.

(٤) كسر الصنم ٢٤٧، ٣١٩-٣٢٣.

(٥) انظر كسر الصنم ٣١٨. انظر (باب مولد الصاحب رضي الله عنه)[يعني المهدي] في الكافي ١/٥١٤-٥٢٥.

ثالثا: تصريح الإمام الحسن بأنه لم يعقب.

حيث يشير البرقعي إلى ما ذكره بعض المؤرخين عن الحسن العسكري كالقمي وكالنوبختي من أنه "لم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه"(١).

رابعا: عدم علم أكثر الشيعة آنذاك بولادته.

ومن أدلة البرقعي على نفي ولادة المهدي؛تصريح اثنين من كبار علماء الشيعة بأن أكثر الشيعة لم يكونوا يعتقدون أن للحسن ولداً وأن فئةً منهم كانوا يعتقدون أن له ولداً.

وهذان العالمان اللذان يشير لهما البرقعي هما(٢):

الأول:محمد بن سعد الأشعري: الذي يعد من تلامذة الحسن العسكري.

الثاني:الحسن بن موسى النوبختي: وهو معاصر للحسن العسكري.

خامسا: كثرة الإشكالات على القول بأمامة الطفل.

ومن تلك الإشكالات- في نظر البرقعي- أن الله أخبر في القرآن أنه يرسل الرجال بقوله تعالى:((وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ))[الأنبياء ٧] وبناءً على هذا فالطفل الرضيع أو الغير المكلف ليس رجلاً فكيف يصبح إماماً ؟"(٣).

لكننا بالتأمل نجد أن دليل البرقعي رحمه الله هذا لا يصلح للاستدلال في هذه المسألة، لأن الآية نص في المرسلين وليس نص في الأئمة، ولا يصح أن نقول بأن هذا قياس مقبول لأنه من جنس قياس الغلاة الذي قاسوا به الأئمة على الأنبياء فأثبتوا لهم معجزاتهم وفضائلهم.

ولكننا نقول إذا كان الإمامية يقولون بأن الأئمة أفضل من الرسل والأنبياء، وأن الإمام ينسخ الأخبار ويقيد مطلقها ويخصص عامها-كما هو قول غلاتهم-، فإن كلام البرقعي قد يكون له وجه من جهة نفي قياس الأولى-عند من يقول به-. بيانه: إنه إن كان الله لا يرسل إلا رجالا،

---

(١) المقالات و الفرق ٩٦. فرق الشيعة للأشعري ١٠٢.

(٢) كسر الصنم ٢٤٨.

(٣) كسر الصنم ٢٤٩

فإنه لن يعين في ما شأنه أعظم من الرسالة على اعتقادهم -وهو الإمامة- إلا رجلا، ولكن الشيعة لا يقولون بالقياس أصلا فلا يصلح الاستدلال به عليهم.

جوابه على أبرز أدلة الإمامية

استدل الإمامية على جواز إمامة الصبي بقوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ((وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾))[مريم: ١٣]، فقالوا: إن الله أعطى الحكم وهو النبوة للصبي، فالإمامة إذاً جائزة للصبي.

وقد أجاب البرقعي رحمه الله على هذا الاستدلال بما يأتي:

١. أن هذا قياس والقياس باطل وخاصة قياس غير الأنبياء على الأنبياء (١).
٢. فرقٌ بين الحُكم وبين النبوة، فالحكم في الآية بمعنى الحكمة(٢)،كما قال تعالى: ((أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾)) [الأنعام٨٩].
٣. أن الله أثبت ليحيى الحكم في حال الصبا وليس حال الطفولة، "والصبا فترة قبل الشباب وليست مرحلة الرضاعة كما زعموا بشأن الصبي (الذي يكون دون الفتى عمراً)(٣).

وأما دليلهم الآخر فهو قول عيسى عليه السلام- في المهد-:((وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾)) [مريم: ٣٠].

---

(١) كسر الصنم ٢٤٩. انظر ص ١١٦

(٢) ذهب عامة أهل التفسير إلى أن الحكم في الآية بمعنى العلم والفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام، ومعرفة فصل الأمر على ما يقتضيه الحق من الصواب في الأمور. انظر تفسير الطبري ٥/٢٥٩و٣/٣٢٢. تفسير القرطبي٨/٢٤. زاد المسير٣/٥٥.فتح القدير ٢/١٧٢. تفسير القاسمي٤/٤٢١.

(٣) كسر الصنم ٢٤٩-٢٥٠

فقد أجاب عنه البرقعي بأن اللفظ ورد بصيغة الماضي وتتعلق بالمستقبل المحقق الوقوع كقوله: (ونفخ في الصور)، وهو لم يقع بعد، وإنما سيقع قطعاً في المستقبل(1).

وما ذكره البرقعي هو الصواب إذ من أساليب العرب:أن تعبر بالماضي عن المستقبل تنبيهاً على تحقق الوقوع كقوله :((وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا))، وقوله: ((أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ))[النحل: 1]ونحوها(2).

والخلاصة هي أن البرقعي ينفي أن يكون محمد بن الحسن هو المهدي، معتمداً على نفي ولادته أولاً، وعلى تضعيف الأحاديث التي تذكر ولادته ثانياً، وبيان ضعف الآيات التي أرادوا الاستدلال بها على جواز إمامة الطفل ثالثا، كما اعتمد رحمه الله على نفي بعض أعلام الشيعة الذين عاصروا المهدي- المُدّعى- ووالده العسكري رابعا، كما يعضد البرقعي نفيه بحقيقة تاريخية وهي عدم علم أغلب الطائفة بولادة الابن(المهدي) وتفرقهم بعد والده إلى طوائف.

---

(1) كسر الصنم 250

(2) أنظر قواعد التفسير لشيخنا الفاضل الدكتور خالد السبت 1/292.

المسألة الخامسة: العصمة

انتقد البرقعي رحمه الله تعالى الشيعة الإمامية في اعتقادهم عصمة الأئمة من الذنب والخطأ والنسيان(١)، وبيّن رحمه الله أن الأئمة أنفسهم علّموا الناس أن العصمة في النص الإلهي وليس في أشخاصهم، واستشهد البرقعي على ذلك بقول الإمام الباقر رحمه الله: "إذا وردكم عنا حديث فاسألوا أين ورد هذا في كتاب الله وفي أيّة آية (أي ما يؤيّده)"(٢).

ويقف البرقعي على دليل الإمامية المشهور في هذه المسألة- وهي آية التطهير(٣)- ليجيب على ذلك بأنّ الآية تدل على أن من تشملهم الآية غير معصومين أصلاً "لأن الله يريد أن يذهب عنهم رجساً كان موجوداً ويزيله"(٤) .

---

(١) انظر مرآة العقول للمجلسي ٤/٣٥٢، الشيعة والتشيع لمحمد الحسيني الشيرازي٦٧.

(٢) كسر الصنم ١٤١. وجاء عن الباقر رحمه الله قوله: "انظروا ما أمرونا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه".الأمالي للطوسي١/٢٣٧.

(٣) انظر ص ١٣٤

(٤) كسر الصنم ٢٢٥

المسألة السادسة: الغيبة

يرى البرقعي بأن اعتقاد الشيعة بغيبة محمد بن الحسن من العقائد التي لا يسندها دليل، لأمور:

١. ثبوت عدم ولادة المهدي.

٢. ضعف الأخبار التي جاءت بذكرها.

فرواة أحاديث الغيبة-لا سيما الذين نقل عنهم الكليني- في نظر البرقعي إما غلاة أو مجهولون أو لا دين لهم ويعني بذلك أنهم زنادقة (١).

وليبين البرقعي صدق حُكْمه يضرب مثلا بالحديث الأول من باب الغيبة في الكافي ، حيث إن حال الراوة كالتالي:

الأول: جعفر بن محمد الكوفي وهو مجهول الحال.

والراوي الثاني: صالح بن خالد وهو مجهول كذلك .

والراوي الثالث:يمان التمار المهمل مجهول.

وهنا يتساءل البرقعي : هل يعد حديثٌ كهذا حجة ؟(٢) .

٣. أن علة الغيبة مشتركة.

فقد ذكرت الروايات أن محمد بن الحسن اختفى بسبب الخوف ،كما في الأثر: سأل زرارة الإمام الصادق لماذا يغيب الإمام ؟. فقال : أنه يخاف –وأومأ إلى بطنه-يعني القتل(٣).

---

(١) كسر الصنم ٢٥٤.

(٢) كير الصنم ٢٥٤.

(٣) الكافي ٣٣٨/١

والعلة التي ذكرها الراوي الكذاب مشتركة-كما بين البرقعي-، إذا كان كذلك فإن في "على الأنبياء ، والأوصياء ، والأئمة أن يغيبوا ، وحتى الخلفاء كان عليهم أن يغيبوا لوجود أعداء لهم يتربصون بهم"(١).

المسألة السابعة: الرجعة.

ومما انتقده البرقعي أيضا في مذهب الإمامية قولهم برجعة الأئمة(٢)، فقد بين رحمه الله تعالى أن الرجعة مخالفة لكثير من آيات القرآن، كقوله تعالى ((ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝))[المؤمنون: ١٥-١٦]، وكقوله تعالى:((حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝))[المؤمنون: ٩٩-١٠٠] وغيرها من الآيات التي يرى البرقعي أنها تنفي رجوع أحد من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة(٣).

---

(١) كسر الصنم٢٥٧.

(٢) قال المفيد: "اتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات". أوائل المقالات٥١. واعتبرها الطبرسي و الحر العاملي من ضرورات المذهب الإمامي المجمع عليها عندهم . مجمع البيان ٥/٢٥٢. الإيقاظ من الهجعة للعاملي ٣٣و٦٠.

(٣) كسر الصنم ٣٠٧-٣٠٨

المسألة الثامنة: جوانب من الغلو في الأئمة(١)

ينكر البرقعي الغلو في الدين ويرى بأن الإسلام بريء من أشكال الغلو التي دخلت على المسلمين عموماً سواء عند الشيعة أو السنة، ويرى بأن من صور الغلو التي دخت في المذهب الإمامي:

١. **القول بأن الإئمة هم أسماء الله وصفاته.**

فقد أورد الكليني في الكافي كثير من الروايات التي تنصّ على أن الأئمة هم وجه الله وعينه ويده، ومنها:

عن أبي جعفر الباقر قال "..ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده.."(٢).

وعن أبي عبدالله الصادق:"إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار وبنا يترل غيث السماء، وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله".(٣)

في حديث آخر يروون عن الباقر:" نحن حجة الله ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده"(٤).

---

(١) "الغلو" لفظ عام يدخل تحته كثير من صور الانحرافات في باب الالوهية والربوبية كالقول بأن الأولياء يعلمون الغيب أو يتصرفون في الكون. فالغلو باب كبير يجمع صورا متفرقة، ولكنني سأذكر هنا بعض الصور التي لا تدخل في الأبواب التي أفردتها بالحديث.والله أعلم.

(٢) الكافي ١/١٤٣

(٣) الكافي ١/١٤٤

(٤) الكافي ١/١٤٥

كما يروون عن موسى الكاظم أنه فسّر (جنب الله) فقال: جنب الله: أمير المؤمنين، وقال: "وكذلك ما كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم"(١).

ويروون عن الصادق قوله: " نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا"(٢).

موقف البرقعي:

أولا: يضعف البرقعي هذه الروايات كلها(٣).

ثانيا: ينبه البرقعي على أنها تخالف القرآن الكريم.

فقد بين أنّ الله قد عين أسماءه، ومنها: (الرحمن) و(الله) و(الخالق) و (البارئ) و(المصور) ونحوها كما في قوله: ((قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ))[الإسراء١١٠] . وقال: ((هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ)) [الحشر:٢٤] ولم يقل الله إن أسمائي هي الأئمة أبداً.

---

(١) الكافي ١/١٤٥

(٢) الكافي ١٤٣-١٤٤/١

(٣) ضعف الحديث الأول لأن فيه محمد بن سنان الكذاب(كسر الصنم١٠٤). والثاني لأن رواته من الغلاة المشركين كما نقل عن المجلسي (كسرالصنم١٠٦). والثالث لأن رواته مجهولين(كسر الصنم. والرابع لأن من رواته حمزة بن يزيع الضعيف الذي روج لمذهب الواقفية بعد أخذه المال من البطائني، كما ذكر الممقاني (كسر الصنم ١٠٦) . والخامس: سنده مجهول كما ذكر المجلسي(كسر الصنم١٠٥)

ثم يبين البرقعي أن الأئمة لم يتكلموا بهذا، وأن الرواة الكذابون "قد نسبوا ذلك إلى الإمام ليُحكموا ضربتهم للإسلام ! والكليني أصبح ناشراً لهذه الخرافات ومقلدوه يقلدونه بلا علم"(١).

٢. تفضيل الأئمة على الأنبياء.

يرد البرقعي على بعض الإمامية الذين جعلوا منزلة الأئمة أفضل من منزلة الأنبياء(٢)، معتبرا هذا القول من وضع الرواة الخرافيين الذين أسسوا قاعدة الغلو في المذهب.

---

(١) كسر الصنم ١٠٥

(٢) يقول الدكتور القفاري:" وقد غدا هذا المذهب بعينه من أصول الاثني عشرية"، وممن قرر ذلك من علماء الإمامية :

١. الحر العاملي(صاحب الوسائل). فقد عقد بابا فقال: "باب أن النبي والأئمة الاثني عشر-عليهم السلام- أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم. وذكر ان الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى. انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة١٥١ ،١٥٤.

٢. المجلسي (صاحب الأنوار). قعد باباً بعنوان: "باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم". بحار الأنوار٢٦/٢٦٧.

٣. ابن بابويه القمي.(صاحب الاعتقادات). قال:" يجب أن يعلم أن الله عز وجل لم يخلق خلقا أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة... وأنه لولاهم ما خلق السماء والأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئا مما خلق صلوات الله عليهم أجمعين". اعتقادات ابن بابويه١٠٦-١٠٧.

٤. محمد بن الحسن الصفار(٢٩٠هـ) حيث عقد بابا في كتابه بصائر الدرجات سماه: باب أن الإئمة (ع) أفضل من موسى والخضر. انظر بصائر الدرجات ٢٢٩. ط المرعشي ١٤٠٤هـ بقم.

٥. هاشم بن سليمان البحراني. صاحب كتاب: تفضيل الأئمة على الأنبياء، وكتاب: تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل. انظر الذريعة١/١١١.الأعلام ٨/٦٦.

مناقشة البرقعي لأدلتهم

وقد استدل القائلون بأفضلية الأئمة على الأنبياء بآيات وأحاديث، أما الأحاديث فقد حكم عليها البرقعي بالضعف(١) ، وأما الآيات فمنها:

أ- قول الله تعالى -في إبراهيم عليه السلام- : ((قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا))[البقرة: ١٢٤].

فالمفضلون للأئمة يفسرون الآية بما رووه عن الصادق رحمه الله من قوله: "..وقد كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبياً وليس إماماً حتى قال(إني جاعلك للناس إماما).."(٢).فقد اعتبروا الإمامة مرتبة ثالثة خص الله بها إبراهيم بعد النبوة ثم الخلة ثم الإمامة(٣).

وقد بين البرقعي أن ما يروى عن الصادق ضعيف، ، وأن الآية لا تدل على مرادهم من وجوه(٤):

الأول: أن القرآن يدل على أن الأنبياء هم من الأئمة، كما في قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ))[الأنبياء: ٧٣]، وقوله تعالى : ((آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ[إلى قوله تعالى] وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ))[السجدة:٢٣-٢٤]

---

٦. روح الله الخميني. حيث قال: "وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل". الحكومة الاسلامية/٥٢/ ط: المكتبة الاسلامية الكبرى / طهران.

(١) كسر الصنم ١٢٧-١٢٨. [إلى قوله تعالى]

(٢) انظر الكافي ١/١٧٤-١٧٥.والحديث ضعفه المجلسي والبرقعي لأن فيه درست بن منصور وهشام بن سالم، وأبو يحي الواسطي . انظر: كسر الصنم١٢٨.

(٣) انظر تفسير الصافي للكاشاني١/١٨٦.ط:الاعلمي ببيروت.

(٤) انظر الوجوه مفصلة في كسر الصنم١٢٨-١٣١.

والقصد من الأئمة في هذه الآية سيدنا يعقوب وسائر أنبياء بني إسرائيل من ذرية إبراهيم.

الثاني: أن الإمامة تعني القيادة، وهذا واقع لكل الأنبياء ، سواء كان النبي إبراهيم أم يعقوب أو غيرهما ، لأن الأنبياء يقودون الناس للهداية عن طريق الوحي الإلهي.

الثالث: أن مقام النبوة لا ينال بالاكتساب، بل هو فضل من الله تعالى؛ بينما الإمامة مقام كسبي ينال بالسعي والعلم والعمل، كما قال تعالى – عن بعض المؤمنين-: ((وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾)) [الفرقان:٧٤] وهنا يقول البرقعي: "تدل هذه الآية أن أي عبد صالح من عباد الله إذا سعى بالعلم والعمل ووفقه الله فاز بمرتبة إمام المتقين ، فهل يستطيع أي إنسان مهما اتصف بالتقوى والصلاح أن يجاوز مقام الأنبياء ــ والعياذ بالله ــ ؟"

ثم يقرر رحمه الله بأن"أي مسلم إذا استطاع أن يكون عالمًا عاملاً فهو إماماً هادياً للناس، ولكن حتماً لا يصل إلى مقام النبوة وأنى له أن يفوق الأنبياء" (١)

٣. قولهم بأن الأئمة هم أركان الأرض، ولولاهم لساخت.

ومن مظاهر الغلو التي ردها البرقعي : قول الغلاة "إن الأئمة هم أركان الأرض"(٢)، وأن "الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت"(٣)، وقولهم:" لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر"(٤)، حيث اعتبر البرقعي هذا كله من الغلو في الأئمة.

---

(١) كسر الصنم١٣٠-١٣١.

(٢) في الكافي باب بعنوان : باب أن الأئمة هم أركان الأرض. الكافي١/١٩٦-١٩٨.

(٣) ذكر الكليني في باب أن الأرض لا تخلو من حجة أثرا عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله : أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال:لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت.الكافي١/١٧٩.

(٤) يروونها عن الباقر الكافي ١/١٧٩

موقف الإمامية المعاصرين من هذا القول

وحتى يتضح أن ما ينكره البرقعي -على من نعتهم بالغلاة- هو واقع عند بعض الإمامية اليوم؛ وحتى نؤكد ذلك نورد شيئاً من أقوال المعاصرين:

يقول آية **الله العظمى محمد الحسيني الشيرازي** :" إن زمام العلم بأيديهم عليهم السلام حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإماتة بيد عزرائيل، فلهم عليهم السلام التصرف فيها إيجاداً وإعداماً. **(فلولاهم لساخت الأرض)**،(**لكن قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى**)، فكما منح الله القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية منحهم القدرة على التصرف في الكون "(١).

ويقول: " فإذا فرض يوماً ما خلو العالم من الحجة، فسيفنى الكون وينعدم كل شيء، كما ورد في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها»."(٢)

ويقول محمد الفاضل اللنكراني:" فواجبنا جميعاً اليوم هو الاعتراف بأنّ إفاضة كافّة النعم الظاهرية والباطنية هي بواسطة وجوده المقدّس: (لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها)؛ ففي الحقيقة هو ولي النعم للبشرية جمعاء والشكر لهذه النعم هو إحياء ذكراه في كافّة شؤوننا الخاصّة والعامة، داخل البلاد وخارجها"(٣).

---

(١) من فقه الزهراء عليها السلام ١٢/١ ط الثانية دار الصادق ، بيروت.

(٢) انظر: كتاب الإمام زين العابدين قدوة الصالحين للشيرازي http://www.١٤masom.com/١٤masom/٠٦/mktba٦/book٠٨/٠٤.htm

(٣) انظر خطاب(نداء بمناسبة الخامس عشر من شعبان) تجده في موقعه http://www.lankarani.org/Arabic/neda/p٠٠٥.html .

ومن يقرر ذلك أيضا محمد تقي المدرسي(١). ومحمد سعيد الطبطبائي الحكيم(٢)، وجعفر مرتضى العاملي وغيرهم(٣).

فيتضح من هذا أن هذا الاعتقاد الغالي لا يزال له وجود في الساحة الإمامية، وإن كنا لا ننسب هذا إلى الجميع لوجود من لا يقبل بمثل هذه الدرجة من الغلو.

موقف البرقعي:

أولاً: يضعف البرقعي كل هذه الأحاديث لأنها من رواية الكذابين والمتهمين(٤).

ثانيا: يرى البرقعي أن هذه الروايات تخالف العقل والقرآن بشكل واضح، فالقرآن يثبت أن الله قد ثبت الأرض بما فيها من الجبال، كما قال تعالى: ((وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ))[النحل: ١٥](٥)، كما يثبت القرآن أن الله هو الذي يمسك والأرض، قال تعالى ((۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾))[فاطر: ٤١](٦).

---

(١) ليلة القدر معراج الصالحين للمدرسي –فصل محطة مسؤلية
http://www.almodarresi.com/books/٦٧٥/sq٠wgdhk.htm

(٢) انظر سؤال رقم ١١ في موقعه
www.alhakeem.com/arabic/mrg/mrg١/٠٠٢.htm - ٤٣k

(٣) انظر كتاب كربلاء فوق الشبهات – صفحة الاهداء

(٤) انظر تفاصيل تضعيف البرقعي في كسر الصنم ١٥٢-١٥٣.

(٥) كسر الصنم ١٥٣.

(٦) كسر الصنم ١٣٦-١٣٧.

أما الرواة " فيقولون في هذا الحديث إن الإمام ركن الأرض فلو لم يكن الإمام لاضطربت الأرض !" هنا يتساءل البرقعي "كيف كانت الأرض قبل خلق آدم وقبل قيام القيامة حيث لم يكن بشر ولا يكون ، لا إمام ولا مأموم ؟ ! "(١).

هذه بعض صور الغلو التي وقع بها مذهب الإمامية، وقد أجملت ردّ البرقعي عليها*، والله أعلم.**

المسألة التاسعة: موقف الشيعة من القرآن

أولا: نقده للقائلين بتحريف القرآن

يرى البرقعي بأن القرآن الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم محفوظ من التحريف والتبديل لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه ، كما قال جل وعلا: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾))[الحجر: ٩].

كما يقرر البرقعي أن القول بتحريف القرآن من الأقوال المنكرة التي أتى بها الرواة الكذابين، ويأسف البرقعي على اعتراف طائفة كبيرة من علماء الشيعة(٢) بما

---

(١) كسر الصنم ١٥٢-١٥٣

* للاطلاع على بعض صور الغلو الأخرى والتي رد عليها البرقعي أنظر :

١.ردّه على قولهم بأن الأئمة لهم أرواح خاصة (كسر الصنم ٢٠٧-٢٠٩و٢٧١-٢٧٢)

٢.ردّه على قولهم قولهم بأن العقول تحار في وصف شأن الإمام (كسر الصنم١٥٤)

٣.ردّه على قولهم بأن عصى موسى وأيات الأنبياء عند الأئمة (كسر الصنم ١٨٤).

(٢) ذكر المجلسي في كتاب(مرآة العقول)١٢/٥٢٥:أن خبر"إن القرآن الذي جاء به جبرائل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسام سبعة عشر ألف آيه" قال:لا يخفى أنّ هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواتر معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسا ، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر؟[أي كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا

نُسب إلى الصادق رحمه الله من طريق علي بن الحكم وهشام بن سالم أنه قال:(إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية)(١).

وهنا يقول البرقعي : "على القارئ أن يعلم أن القرآن المتواتر بين المسلمين من صدر الإسلام إلى عصرنا هذا لا تزيد آياته على ٦٢٣٦ آية ليدرك بسرعة أن هذه الرواية تريد أن تقول إن قرابة أحد عشر ألف آية قد حذفت من القرآن وسرقت و لم يعلم بها أحد إلا علي بن الحكم وهشام بن سالم وقد سمعا ذلك من الإمام هما فقط" . (٢)

وما حكاه البرقعي من نسبة القول بالتحريف لكثير من علماء الشيعة في زمنه، كان هو قول بعض الشيعة في زمن ابن حزم، فقد ذكر في كتابه الفصل هذا القول ونسبه إلى"قوم من غلاة الروافض"(٣)، ولكنه شاع بعد ذلك وانتشر.

ثانيا:نقده لكثرة التأويلات الفاسدة

إن المطّلع لما سطّره علماء الشيعة الإمامية في كتب التفسير عندهم، يجد أنها قد ملئت بكثير من التأولات الفاسدة التي تخالف السياق في أكثر الأحيان فضلا عن مخالفتها للعقل.

أخبار التحريف؟]. وانظر قول أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (انظر تفسيره ١/١٠) أبي القاسم الكوفي (٣٢٥هـ) انظر(كتابه الاستغاثة ٢٥) و أبي منصور الطبرسي في كتابه الاحتجاج(١/٣٧،٣٧٦،٣٧٠،٢٢٤) و الكشي في تفسير الصافي (١/٣٤،٣٣،٣٢) و نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية ٢/٣٥٧-٣٥٨ والنوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب.

(١) الكافي ج٢ باب فضل القرآن الحديث ٢٨.

(٢) كسر الصنم ٣٦٩

(٣) الأحكام لابن حزم١/٩٦ تحقيق احمد شاكر/ دار الآفاق الجديد/ بيروت /ط١/ ١٤٠٠هـ.

وقد كان موقف أبي الفضل من مثل هذه التأولات واضحاً، حيث بين أنها من وضع أولئك الرواة الضلال الذين أرادوا اللعب بعقول المسلمين. كما بين رحمه الله أن صنيعهم هذا هو من العبث والاستهزاء بكتاب الله(١) .

وقد تعجب البرقعي من كثير من علماء الشيعة الذين قبلوا تلك التأويلات كالمجلسي الذي وصفه بأنه "يؤول ويقبل الخرافات التي في الكافي"(٢).

أمثلة للتأولات الفاسدة وموقف البرقعي منها :

المثال الأول:

أورد الكليني في الكافي أثرا عن يونس بن يعقوب رفعه إلى أبي جعفر[الباقر] رحمه الله في قوله عز وجل ((كذبوا بآياتنا كلها)) يعني الأوصياء كلهم(٣).

وهنا يبين البرقعي أن هذا التأويل - المُفْتَرى على الباقر-فاسدٌ لأن الحديث في الآيات عن آل فرعون ، قال تعالى: ((وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾))[القمر: ٤١-٤٢] وهنا يستبعد البرقعي أن تكون الآيات التي كذب بها آل فرعون هم الأئمة. ثم يقول: "بالله عليكم إذا كانت هذه هي علوم الأئمة يعني قولهم إن أتباع فرعون كذبوا بإمامة الإمام الصادق فكيف تكون علوم الآخرين !!!"(٤).

---

(١) كسر الصنم ٢٧٣،١٥٧.

(٢) كسر الصنم ١٥٧.

(٣) الكافي ٢٠٧/١.

(٤) كسر الصنم ١٥٧

المثال الثاني :

عن بريد بن معاوية قال:قلت لأبي جعفر عليه السلام: ((قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾)).[الرعد:٤٤] قال: إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وسلم(١).

فقد بين البرقعي أن هذه الرواية تعني أن الكفار لما كذبوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا له لن نقبل رسالتك، قال الله لهم إن عليا وذريته يشهدون للرسول بصدق رسالته، وهنا يقول البرقعي: "هل يعقل أن يقول الكفار إننا لا نقبل رسالتك فيقول الله الحكيم لهم: اذهبوا واسألوا علياً وهو طفل في بيت رسول الله حيث تكفي شهادته"(٢).

المثال الثالث:

عن زرارة أو بريدة عن أبي جعفر عليه السلام :قال: لقد خاطب الله أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه. قال: قلت في أي موضع؟ قال: قوله: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)) فيما تعاقدوا عليه لئن أمات الله محمدا ألا يردوا هذا الأمر في بني هاشم ((ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ)) عليهم من القتل أو العفو((وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾[النساء: ٦٥]))(٣).

ففي نظر البرقعي أن من أقبح ما كذبه الرواة على الأئمة قولهم بأن المخاطب في قوله (جاؤوك) و (يحكّمونك) هو علي رضي الله عنه، بينما الخطاب للرسول بنص الآية.

---

(١) كسر الصنم ٢٢٩/١، وانظر تفسير القمي فقد فسرها بهذا٣٦٧/١.

(٢) كسر الصنم ١٨١

(٣) الكافي ٣٩١

وهنا يقول البرقعي: "ولست أدري كيف لا يخجل هؤلاء الرواة من ادعائهم هذا. وكأنهم لم يروا كلمة الرسول في الآية، وهذه الآيات تتعلق بالمنافقين حيث لم يسلموا لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فما علاقة هذا بغير المنافقين ؟ ! "(١)

ثالثا: نقده لبعد الشيعة عن القرآن

ينتقد البرقعي رحمه الله واقع الإمامية المتمثل في بعد كثيرٍ من أتباعها عن القرآن الكريم دراسة(٢) وتدبرا تحاكماً،ويلخص أسباب هذا الواقع في سببين:

السبب الأول: الروايات التي تقرر بأن الذين يفهمون القرآن هم الأئمة فقط.

ففي مرويات الكليني وغيره روايات كثيرة تقرر بأن القرآن كله متشابه [بمعنى غامض] وأنه لا يعلم تفسيره وبيانه إلا الأئمة وأما بقية الناس فنظرهم في القرآن قد يؤدي بهم للوقوع في الفتنة (٣).

ويرى البرقعي بأنّ"كثيراً من الناس قد تنحوا عن القرآن وابتعدوا عنه بسبب هذه الروايات المختلقة"(٤).

---

(١) كسر الصنم ٢٧٣

(٢) مما يدل على بعد الشيعة الإمامية عن القرآن قول آية الله العظمى الخامنئي: (مما يؤسف له أن بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرّة واحدة..لماذا هكذا؟ لأن دروسنا لا تعتمد على القرآن) ويقول أيضاً: (إذا أراد شخص كسب أي مقام علمي في الحوزة العلمية كان عليه أن لا يفسر القرآن حتى لا يتهم بالجهل ...بحيث كان ينظر إلى العالم المفسر الذي يستفيد الناس من تفسيره على أنه جاهل ولا وزن له علميا، لذا يضطر إلى ترك درسه..**ألا تعتبر ذلك فاجعة** .انظر ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية للدكتور جعفر الباقر- دار الصفوة ص ١١١

(٣) انظر بعض هذه الروايات في كتاب لكافي باب أن الراسجين في العلم هم الأئمة١/٢١٣ ففيه رواية عن جعفر الصادق" نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله" .

(٤) كسر الصنم ١٦٣

كما يرى بأن محصل هذه الروايات أن "القرآن آيات متشابهات ، ونحن لا نفهم معناها ولا تأويلها وطبقاً لهذه الروايات من الكافي فإن من يعلمها هو الإمام وحده، ولأننا لا نفهم تلك الآيات ولا ندري معناها فعلينا أن نغض البصر عن الآيات المتشابهات لأن الإمام قال لا يعلم تأويله أحد غيرنا ، ومن جانب آخر إن الآيات المتشابهات غير معروفة وكل آية يمكن أن تكون متشابهة، إذن لا بد أن نغض الطرف عن القرآن كله ، هذا المنطق الخطأ وهذه المغالطة هي التي جعلت القرآن بعيداً عن الناس ، وكان بُعد الناس عن القرآن الكريم تحت ظلال هذه الروايات المكذوبة (١)".

موقف البرقعي من استدلالهم.

استدلال القائلين بأن القرآن متشابه وأن فهمه محصور بالأئمة بقوله تعالى: ((هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾))[آل عمران: ٦-٧].

ويرى البرقعي بأن القرآن بيّن وواضح في مجمله لكل أحد، ويرد على هذا الاستدلال بما يلي:

١. أن الله وَصَف كتابه بأنه((آيات بيّنات))[العنكبوت:٤٩] ووصفه بأنه ((كتاب مبين)) [المائدة: ١٥] وأنه ((بيان للناس)) [آل عمران: ١٣٨]، ولهذا أمرنا الله بتدبره فقال((أفلا يتدبرون القرآن)) [النساء: ٨٢]، لهذا قرر أبو الفضل أنه"هل يمكن أن يترل الله آيات لا يفهمها أحد ثم يلزمنا بفهمها والعمل بها ويوجب العقاب على عدم فهمها والعمل بها ؟! إن هذا عين الظلم والاستبداد والله سبحانه متره عنه"(٢).

---

(١) كسر الصنم ١٦٣

(٢) كسر الصنم ١٦٣-١٦٤

ويقول:" يجدر القول أنه إذا كان دين الإسلام عاما فلابد أن يكون سهلا. والله تعالى كلامه أبين من كل بيان، وأعلم من كل علم وقد قال تعالى: (ولقد يسرنا القرآن)(١) .

٢. أن التأويل(٢) – الوارد في الآية- في نظر البرقعي بمعنى" التحقق الخارجي " الذي لا يعلم كيف سيقع إلا الله ، ويمثل البرقعي بقول الله تعالى- حكاية عن يوسف-: ((يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾))حيث "**يستطيع كل إنسان أن يفهم معنى الآيات وتفسيرها ، أما التحقق الخارجي للآية فلم يعرفه أحد حتى وصل يوسف إلى الملك والسلطة،** وجاء إخوة يوسف وأبوه وأمه وخضعوا لعظمته ، هنا قال سيدنا يوسف عليه السلام هذا تأويل رؤياي من قبل.

كما يمثل البرقعي على مراده بمثال آخر، وهو قول الله تعالى ((يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾))[النبأ] فيقول: "**كل أحد يعرف معنى هذه الآية، حيث ينفخ الصور يوماً ويأتي الناس أفواجاً، أما الوجود الخارجي للصور وتحققه في الخارج على أي كيفية تكون، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى**"(٣) .

---

(١) كسر الصنم ٢٥٢.

(٢) التأويل له معنيان في اللغة: الأول بمعنى العاقبة والمرجع والمصير. والثاني: بمعنى التفسير والبيان. وأما في الاصطلاح فيطلق على ثلاثة معان: الأول : بمعنى تفسير الكلام وبيان معناه، ومنه قوله تعالى: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا). والمعنى الثاني : ما يؤول إليه الكلام، أو حقيقة ما يقع عليه الكلام في الخارج، ومنه قوله تعالى: (هذا تأويل رؤياي). والثالث:هو صرف اللفظ عن ظاهره، والأخير هو الذي يراد في اصطلاح المتأخرين. تهذيب اللغة١٥/٤٥٨. الصحاح للجوهري ١٦٢٧/٤-١٦٢٨ .لسان العرب١١/٢٣-٣٣. ظاهرة التأويل وصلتها باللغة د. احمد عبد الغفار ط دار الرشيد.مجموع الفتاوى١٣/٢٨٨-٢٨٩.

(٣) كسر الصنم ١٦٤. اختلف أهل العلم في المتشابه المذكور في الإية: هل يمكن لأحد أن يعلمه، أو هو مما استأثر الله بعلمه؟ على قولين: الأول : أن المتشابه لا يعلمه إلا الله، وهؤلاء هم

٣. أن الآية تنفي علم المتشابه عن أحد سوى الله، لأن الواو في الآية إما أن تكون استئنافية أو عاطفة.

فإن كانت عاطفة صار معنى الآية: لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ويقول الله والراسخون آمنا به كل من عند ربنا ، مع أن الله لا يقول آمنا وكل من عند ربنا ، لأن الله ليس له رب حتى يؤمن به. وهذا المعنى يستبعده البرقعي.

وإن كانت استئنافية كان المعنى: لا يعلم أحد تأويل المتشابه. وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به لأنه من الله، وهذا ما يرجحه البرقعي(١).

٤. قول الكليني (الراسخون في العلم هم الأئمة) مخالف للقرآن واللغة وكلام الأئمة.

- فالقرآن: قد وصف علماء اليهود الذين يعرفون البشارة بمحمد بالراسخين في العلم كما في قوله تعالى:(لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك

الذين اختاروا الوقف في الآية على قوله: وما يعلم تأويله إلا الله)، وهذا مذهب الجمهور.ثم يختلف هؤلاء في معنى (المتشابه) على أقوال.

الثاني: أن تأويل التشابه مما يعلمه الراسخون في العلم، لأن الله لا يتعبد الناس بخطاب لا سبيل إلى فهمه. وهو مما صح عن ابن عباس ومجاهد، وبه وقال ابن قتيبة والنووي وابن تيمية وآخرون. والشيعة على هذا القول ولكنهم حصروا الراسخين بالأئمة-كما مر- وأما القائلون بذلك من أهل السنة فقد جعلوا ذلك عاماً في كل من رسخ في العلم، وعلى قول هؤلاء يكون كل ما في الكتاب يمكن فهم معناه، **وإن كان ثمة أشياء لا تعلم فهي في الكيفيات لا المعاني**، كالنفخ في الصور، والجنة وغيرها مما يعلم معناها ولا يعلم كيفيتها إلا الله، وأما الحروف المقطعة فإنها على الأقرب ليست كلمات ذات معان فلا تدخل في ما أمرنا بالتدبر فيه أصلا. انظر تفسير الطبري٣/١٨٣-١٨٦. معالم التنزيل للبغوي ٣/١٠-١١. تفسير القرطبي٤/١٢-١٤. فتح القدير للشوكاني١/٣١٥-٣١٧.التفسير الصحيح ١/٤٠٠. شرح صحيح مسلم للنووي١٦/٢١٨،مجموع الفتاوى١٧/٤٠٠.قواعد التفسير للشيخ الدكتور خالد السبت٥٢٠، ٦٦٢، ٦٦٩. موقف المتكلمين للغصن١/٣٩٠-٤١٢.

(١) كسر الصنم ١٦٤ .

وما أنزل من قبلك) فـــ"إذا قيل لعلماء اليهود أنهم الراسخون في العلم فيكون علمـــاء المسلمين من باب أولى راسخين في العلم"(١).

- وفي اللغة:"الراسخ في العلم يعني الذي يكون ثابتاً في العلم وراســـخاً في المـــسائل لا يتزعزع ولا يتحير"، "وهذا القدر غير محصور لأحد"(٢).

- كما استدل البرقعي -على عموم معنى الراسخين في العلم- بقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: (واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام الـــسّدود المضروبة دون الغيوب، والإقرارُ بِجُملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمـــدح اللّهُ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمّى تركهمُ التعمـــق في مـــا لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر على ذلك)(٣) .
فـــ"بناءً على قول سيدنا علي فإن من لا يدخل في الغيبيات معترفاً بعجزه وجهله هـــو من الراسخين"(٤) .

والخلاصة: هي أن البرقعي يقرر بأن القرآن كله بيّن وواضح، وليس في القرآن مـــا لا يعرف معناه، ولهذا أمرنا الله بتدبره والتفكر فيه كله.
كما يرى بأن التأويل المذكور في قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) تعني ما يـــؤول إليه الأمر، أي في الكيفية، وهذا التأويل مما لم نكلف به ولم يرتبط به عمل.

تنبيه:

ويجدر بنا أن نذكر أن من الإمامية من لم يوافق الرواة الغلاة في هذه المـــسألة،

(١) كسر الصنم ١٦٥.
(٢) كسر الصنم ١٦٥.
(٣) نهج البلاغة خطبة ٨٩.
(٤) كسر الصنم ١٦٥.

ومن أبرزهم الطوسي، حيث وقف على الروايات الواردة في النهي عن التفسير بغير الأثر -عند أهل السنة والشيعة-. ثم قال :" والذي نقول في ذلك أنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد، وقد قال تعالى: "إنا جعلناه قرآنا عربيا" وقال: "بلسان عربي مبين" وقال:"و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" وقال:"فيه تبيان لكل شيء" وقال" ما فرطنا في الكتاب من شيء" **فكيف يجوز أن يصفه بأنه عربي مبين، وأنه بلسان قومه، وأنه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء؟** وذلك متره عن القرآن .

وقد مدح الله أقواماً على استخراج معاني القرآن فقال:"لعلمه الذين يستنبطونه منهم"، وقال في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن، و لم يتفكروا في معانيه:"أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"، وقال إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي". **فبين أن الكتاب حجة، كما أن العترة حجة، وكيف يكون حجة ما لا يفهم منه شيء؟** وروي عنه عليه السلام أنه قال:"إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط"، وروي مثل هذا عن أئمتنا عليهم السلام، **وكيف يمكن العرض على كتاب الله، وهو لا يفهم منه شيء؟** وكل ذلك يدل على أن ظاهر هذه الأخبار متروك، والذي نقول به أن معاني القرآن على أربعة أقسام:[وهي باختصار كلامه]: قسم اختص الله بعلمه ومثل له بعلم الساعة. وقسم ظاهره مطابق لمعناه يعرفه كل من عرف اللغة ، مثل "قل هو الله أحد" ونحوها. وقسم مجمل بينه غيره ،مثل " وأقيموا الصلاة". وقسم لفظه مشترك، لا يقطع بأحد المعنيين ما لم يدل الدليل على ذلك(١).

وبهذا نعلم أن بعض علماء الإمامية لم يوافقوا الرواة الكذابين الغالين في قولهم بأن القرآن غامض لا يفهم، والله أعلم.

---

(١) التبيان١/٤-٧. وبنحو ذلك قال الطبطبائي في تفسيره (انظر:كتاب مطارحات قرآنية٥٥)

السبب الثاني : قول كثير من علماء المذهب: إن القرآن غير كافٍ للأمة.

مما لا شك فيه أن الله جل وعلا قد أنزل كتابه ليكون مصدراً كافياً لهداية الناس إلى كل خير، وصدهم عن كل شر، وليس في الوجود كتاب يصلح لأن يكون بهذه الصفة غير القرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

والعجيب أن غلاة الإمامية لم يكتفوا بالطعن في سلامة النص القرآني من النقص والزيادة، ولم يكتفوا أيضا بما ادعوه من أن القرآن لا يفهمه إلا الأئمة، بل زعموا أن القرآن غير كاف للهداية بل صرح بعضهم بأنه فتنة، وأن الكفاية لا تحصل إلا بكلام الأئمة -المختلط بكثير من الكذب- والذي يأبى علماء الإمامية أن ينقحوه ويخرجوا صحيحه من سقيمه، لتكون النتيجة: أن الحجة في المختلط بالكذب، وليس في القرآن.

وقد وقف البرقعي رحمه الله تعالى مع ما نقله بعض علماء الشيعة الإمامية عن محمد بن الحسن (المهدي الغائب) من قوله في الثناء على كتاب الكافي: "كاف لشيعتنا"، ثم يقول رحمه الله: كيف يكون كتاب الله الذي هو نور وهداية غير كاف للأمة، أما كتاب الكافي فيكون كافياً ؟ هل كتاب الكافي أحسن وأوضح وأكثر علما من القرآن؟ هل يقول مثل هذا الكلام أي مسلم يؤمن بالقرآن فضلاً عن الإمام؟(١).

كما بين البرقعي أن القرآن كافٍ لهداية للناس بدلالة القرآن وبما قاله الأئمة، فالقرآن جاء بأوصاف للقرآن؛ تبين مدى الكفاية فيه، ومن تلك الأوصاف(٢):

---

(١) انظر:كسر الصنم ٣٤-٣٥

(٢) انظر:كسر الصنم ٣٥-٣٦

١. أن الله حصر الهداية بالقرآن في آيات كثيرة،منها قوله ((قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ))[البقرة: ١٢٠].

٢. أن الله جعله سبب للهداية في آيات كثيرة، منها قوله على لسان خير المهتدين((وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾))[سبأ: ٥٠].

٣. أن الله صرح بأنه كاف للهداية،في مثل قوله ((أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ))[العنكبوت: ٥١].

٤. أن الله وصف الذين يعرفون أن القران كاف للهداية بالعلم في مثل قوله تعالى : ((وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾)) [سبأ: ٦] يقول البرقعي: "فالذين لا يعتبرون القرآن كافيا للهداية لابد أنهم سفهاء"

وغيرها من أنواع التصريحات الربانية في القرآن على كون القرآن كتاب هداية.

كما أن البرقعي استشهد ببعض ما جاء عن علي رضي الله عنه على أن القرآن مصدر كاف للناس. ومن ذلك :

- قول أمير المؤمنين:(كفى بالكتاب حجيجا وخصيما)(١).
- وقوله أيضا في التعليق على قوله تعالى: ((وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾))[الشورى: ١٠].قال علي رضي الله عنه :"فالرد إلى الله الرد إلى كتابه"(٢).

(١) كسر الصنم ٣٥. وانظر نهج البلاغة خطبة٨١

(٢) كسر الصنم ٣١. وانظر نهج البلاغة خطبه ٥٣.

وبهذا يكون البرقعي قد بين أن القرآن هو المصدر الكافي للهداية، خلافا لما أراده الغلاة من صد الناس عن القرآن وربطهم بالمرويات المختلطة بالزور والكذب الكثير.

رابعا: نقده لدعوى ظنية الكتاب

من المسائل المقررة في مذهب الشيعة الإمامية -لاسيما المتأخرين منهم- اعتقادهم ظنية دلالة النصوص القرآنية ما لم توافق قول الإمام(١)، ويروون في هذا عن علي رضي الله عنه أنه قال: "هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق"(٢).

موقف البرقعي:

اعتبر البرقعي هذه الدعوى مردودة بدلالة القرآن وبما جاء عن الأئمة رضي الله عنهم:

فالقرآن بيّن بوضوح أن الله تعالى جعل كتابه الحكم عند التزاع ، قال تعالى: ((وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ))[الشورى: ١٠] وقال: ((فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ))[النساء: ٥٩].(٣)

---

(١) أشد الفئات الإمامية تطرفا تجاه حجية القرآن هي فئة الإخباريين، حيث يقررون بأن ظواهر القرآن وبواطنه ليست حجة على الناس لأن علمها منوط بالأئمة والحجة في كلام الإئمة وتفسيرهم للقرآن، بينما يرى الأصوليون بأن ظواهر القرآن حجة -وإن كانت ظنية الدلالة- لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه. وممن صرح بظنية دلالة القرآن من الإمامية:ابن الشهيد الثاني في (المعالم ١٩٢) والمحقق البحراني في(الحدائق الناضرة١/٨٧) والواحيد البهبهاني في (الرسائل الفقيهة٢٢٤) والميرزا القمي في (قوانين الأصول٣٠٩) ومحمد تقي الحكيم في (الأصول العامة للفقه المقارن٢٤٣) وغيرهم.وانظر أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية١/١٧٢-١٧٣.

(٢) الفصول المهمة للحر العاملي ص٢٣٥.

(٣) انظر كسر الصنم ص١٢٥-١٢٦

كما بين البرقعي أن الله تعالى أخبر أن القرآن هو حجته بعد الرسل على كل النـــاس، سواء في ذلك العالم أو الجاهل أو الإمام أو المأموم. قال جلا وعلا: ((رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾)) [النساء: ١٦٥](١).

أما كلام الأئمة ففيه الكثير من التصريح بأن حجة الله تعالى على عبــاده قامــت بالقرآن. وليس بهم أو غيرهم. وقد استشهد البرقعي على ذلك بشيء من ذلك منها:

١. قول أمير المؤمنين-عن الرسول صلى الله عليه وسلم- :(أرسله بحجة كافية)(٢) يعني القرآن.
٢. تصريح علي رضي الله عنه بأن القرآن كاف للعباد، حينما قال: (كفى بالكتــاب حجيجاً وخصيما)(٣).

ولا يخفى على المتأمل أثر الفكر الاعتزالي الذي لحق الشيعة وغيرهم. في نشأة فكــرة ظنية النصوص التي نزل بها جبريل، وقطعية الدلالات العقليــة الــتي تختلــف فيهــا العقول(٤)، حتى وصل الحال ببعض متأخري المعتزلة إلى القول بأن التمسك بمجــرد ظواهر الكتاب والسنة يعد من أصول الكفر(٥).

---

(١) انظر كسر الصنم ٤٠ .

(٢) كسر الصنم ٣٥ . وانظر نهج البلاغة ،خطبة رقم ١٥٩

(٣) كسر الصنم ٣٥ .وانظر نهج البلاغة خطبة رقم ٨١

(٤) مع ملاحظة أن المعتزلة يقولون بثبوت النص القرآني خلافا لغلاة الإمامية الذين يطعنون في النص ويقولون بظنية الدلالة. انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار٦٠١-٦٠٢.

(٥) انظر شرح أم البراهين للسنوسي٢١٧،(مجموع الفتاوى٢/١٢٧، ٢٣٦.

نتائج عقائد المذهب تجاه القرآن في نظر البرقعي:

يرى البرقعي أن خلاصة العقائد التي روج لها الغلاة-بعد قولهم بالتحريف- تؤول إلى اعتقادين باطلين حيال القرآن، هما:

الأول : أننا لا نفهم القرآن، وأنه ظني الدلالة ما لم يوافق قول الإمام، فليس علينا النظر في القرآن.

الثاني : أن كلام الأئمة صعب مستصعب(١) ، يشق فهمه، والتصديق به- في بعض الأحيان- لما فيه من الغرائب والأقوال التي تحير العقول.

وتكون نتيجة هذين الاعتقادين ما يلي(٢):

١. أن الناس معذورون لأن الله قد حير الناس حين أنزل كتابا ظني الدلالة وغير واضح ما لم يوضحه الإمام، الذي يتكلم بكلام صعب على العقول، والله كما أخبر عن نفسه بأنه((لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا))[البقرة: ٢٨٦].

٢.-بحسب هذا الاعتقاد- يكون الله قد أحال الناس من الكتاب الذي وصفه بأنه سهل (ولقد يسرنا القرآن للذكر) إلى الصعب وهو كلام الأئمة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

يقول أبو الفضل رحمه الله:

" ولكن ما يثير العجب من علماء زماننا أنهم يقولون إن القرآن وآياته مشكل وظني الدلالة ولا بد أن يُعرض على أحاديث الأئمة ويجب قبول ما قاله الأئمة في أحاديثهم في تفسير القرآن ، مع أن الأئمة قالوا حديثنا صعب مستصعب والقرآن سهل وبيّن، حيث قال الله مراراً في كتابه العزيز : (ولقد يسرنا القرآن) (هدى للناس) (وبيان الناس) (وهدى وموعظة) (وهذا بلاغ للناس) (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة) وغير

---

(١) انظر الكافي باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب ١/٤٠١-٤٠٢.

(٢) هذه النتيجة هي من لوازم لقولهم، ويجب أن يعرف بأننا لا نقول بأنهم يقولون بهذه اللوازم، بل نستدل على بطلان اعتقادهم بلزوم قولهم لهذه اللوازم، لأن القول الحق لا يلزم عنه باطل، بخلاف الأقوال الباطلة فإن لوازمها الباطلة تدل على زيفها.

هذا كثير بحيث يستطيع أن يفهم القرآن أبسط الناس ، يعني يمكن أن يفهموه بالتدبر ، ولكن أحاديث الأئمة حسب قولهم لا يفهمها سوى الأنبياء والملائكة والمؤمن المتحقق فقط !.

إذن من أجل أن نفهم القرآن يجب أن نرجع إلى أحاديث الأئمة ، وهذا يعني الرجوع من السهل إلى الصعب ، وهذا أمر باطل ونكون كمن يبحث عن شيء في وضح النهار ثم يرجع إلى الذي يحمل بيده شمعة ليجده له. وأما الإشكال الوارد على هذه الروايات فهو إذا كان حديث آل محمد صعب ومستصعب إلى هذا الحد بحيث لا يفهمه سوى الأنبياء والملائكة فبقية الناس معذورون لأنه((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)) ولم يطلب الله إلى العامة فهم الشيء الصعب ، فيكون الناس معوقين عن ذلك"(١).

والخلاصة: هي أن البرقعي يقرر بأن القرآن محفوظ من التحريف–خلافا لمن قال به من الشيعة–، وأن القرآن هو حجة الله الواضحة البينة، التي لا تحتاج إلى قيّم من أجل أن يُفهم، وأن الرواة الغلاة وأتباعهم أرادوا إبعاد الناس عن القرآن حين ادعوا بأن القرآن صعب الفهم وظني الدلالة وأنّ الحجة في كلام الأئمة الذين لا يفهم القرآن غيرهم، وللأسف فقد نجحوا –كما يرى البرقعي– في إبعاد كثير من الإمامية عن القرآن.

---

(١) كسر الصنم ٢٧٩.

المسألة العاشرة: رأيه في الصحابة.

من المسائل الجوهرية في الخلاف بين طائفة الشيعة-بفروعها- وبقية المسلمين موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم ، ففي الوقت الذي يترل جميع المسلمين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في المترلة العالية التي ذكرها الله بقوله ((وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾)) [التوبة: ١٠٠] وفي مقابلهم فئة أخرى هي الأقل وهم المنافقون الذين أخبر الله عن نسبتهم في مجتمع المؤمنين آنذاك بـ(من التبعيضية)بقوله: ((وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ))[التوبة١١١] فيؤمن عموم المسلمين بأن الصحابة خير المسلمين وأنهم يتفاوتون في الفضل فيما بينهم، ولكن أقلهم مترلة خير ممن بعدهم لشرف الصحبة، خلافا لمن قال من الشيعة بأن أغلبهم كانوا من المنافقين ، أو أنهم ارتدوا بعد النبي إلا قليلا منهم.

البرقعي يناقش الإمامية في الصحابة(١)

أنكر البرقعي على مذهب الإمامية الطعن في أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واعتبر رحمه الله الصحابةَ خياراً عدولاً بدلالة القرآن والعقل والواقع وبدلالة ما جاء عن الأئمة من الثناء عليهم.

دلالة القرآن:

ففي القرآن يجد البرقعي كثيرا من الآيات التي تثني على أصحاب بحيث لا يمكن قبول الطعن الذي يدعيه الإمامية، ومنها:

---

(١) ناقش البرقعي مسألة الصحابة بشكل واضح و مركز في كسر الصنم ٢١٥-٢٢١ .

- قول الله تعالى: ((وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ))[التوبة ١٠٠]

- وقولـــــــه: ((وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾)) [التوبة: ٩٨].

- وقولـــــــه: ((ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾))[التوبـــــة: ٢١].

- وقولـــــه: ((وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾))[الأنفال: ٧٤].

- وقولـــه: ((لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾))[التوبة: ١١٧]

- وقولـــــه:((لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾...) حتى يصل إلى قول: ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ

فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾))
وغيرها من الآيات، التي يرى البرقعي أنها تثني على الصحابة الكرام بما لا يتفق مع الطعن فيهم بالنفاق أو الردة.

دلالة العقل

يعد البرقعي القول بردة الصحابة مخالف للعقل ، ويتسأل في هذا الصدد:"هل هؤلاء المهاجرون الأولون الذين رضي الله عنهم ووعدهم الجنة الخالدة والفوز العظيم فهل هؤلاء هم الذين اغتصبوا حق علي ؟... هل كان الله سبحانه يجهل ـــ نعوذ بالله ـــ أنهم سوف يفعلون ذلك ومع ذلك أمهلهم وتركهم يتمكنون ؟". و"إذا كانوا كفاراً ومرتدين فبمن تتعلق هذه الآيات التي تثني على المهاجرين والأنصار ؟ هل توفي كل هؤلاء المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أم أنهم خافوا من أبي بكر وعمر؟".
كما يسأل البرقعي من يتبنى القول بردة الصحابة، فيقول:"قولوا لنا : هل كان جيش أبي بكر سوى هؤلاء المهاجرين والأنصار؟ هل كان لأبي بكر أفواج من السافاك والحرس (الثوري) أم تراه جهز جيشاً من الخارج ، أم أنه ـــ نعوذ بالله ـــ اشترى جميع المهاجرين والأنصار بمبالغ كبيرة كان يرشوهم بها ؟. أم ترى كانت له قبيلة كبيرة في المدينة ؟".

والخلاصة هي أن البرقعي يستبعد" أن يكون الله سبحانه قد مدح المهاجرين والأنصار إلى هذا الحد ووعدهم المغفرة والجنة ثمَّ كان يجهل ـــ نعوذ بالله ـــ عاقبة أمرهم من أنهم سيرتدون كما يدعي الغلاة وأنهم سوف يغصبون حق علي ؟"(١) .

---

(١) كسر الصنم٢١٦-٢١٧

دلالة الواقع التاريخي

ومن دلائل التاريخ التي يشير لها أبو الفضل هي:

- وقوف الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم .
- هجرتهم معه إلى المدينة، تاركين وطنهم وبيوتهم كما أخبر الله عنهم.
- جهادهم معه بأموالهم وأنفسهم حتى في وقت شدّة الحر كما في الآيات.
- عدم تخلف أكثرهم عن الحج معه
- خروجهم في الجيوش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لنشر الدين.
- وقوف علي رضي الله عنه مع الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقديمه النصرة والمشورة(١).

وغيرها من الشواهد التاريخية التي لا ينسجم معها القول بردة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

رد البرقعي على أبرز استدلالاتهم

وقد وقف أبو الفضل عند استدلال الإمامية بالآية التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد حجه: (يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فبين البرقعي أن الإمامية زعموا أن المراد بالناس هم الصحابة الذين قدموا "تلك التضحيات في بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وفتح مكة، وغيرها وجاهدوا في كل تلك الحروب، وقدموا فداءً كبيراً من الأموال، والأنفس حتى فتحت مكة.. بعد هذا كله وفي آخر حياة الرسول، أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صحابته أنه سيحج بهم ليعلمهم مناسك الحج ، وحج رسول الله مع المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله عليهم في مواطن كثيرة من القرآن .. وفي طريق عودتهم إلى المدينة في غدير (خم) وهي موضع بين مكة والمدينة أنزل الله الآية الآنفة الذكر ﴿يا أيها الرسول ....﴾ وكأن الله تعالى يقول فيها لرسوله يا رسولي لا تخف من أصحابك لأنهم جميعاً كفرة ومرتدون ، وليسوا أهلاً للهداية والله يعصمك من شرهم . وبلغ أمر ولاية علي عليه السلام وخلافته. أنزل الله هذه الآية في حق أصحاب النبي، بدل أن يقول لهم إن

---

(١) كسر الصنم ٢٢١

الله تقبل أعمالكم وشكر سعيكم في حجكم ، ولكن قال لهم : بلغ يا رسول الله ما نزل إليك من ربك بشأن خلافة علي وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من هؤلاء الكفار المنافقين والله لا يهدي هؤلاء الكفار يعني أصحابك بهذا تم شرح الآية حسبما تأولها الكذابون الآن : لا بد أن نسأل : من هم الكفار في هذه الآية الذين يحفظ الله رسوله منهم ؟.
هل هم أصحابه الذين حجوا معه ، وبذلوا أرواحهم ، وضحوا معه بكل شيء ثم يوصفون بعد ذلك بأنهم كفرة ؟ أليس هذا بعيداً عن إنصاف الله وعدالته ؟ "(١).

أقوال الأئمة في الثناء على الصحابة:

لقد ورد عن الأئمة عليهم من الله الرضوان كثير من الروايات الدالة على ثنائهم على الصحابة، ومن هذه الروايات التي استدل بها البرقعي(٢):

أ. ما ذكره علي رضي الله عنه من مدحه لهم وحزنه على فراقهم ، حين قال: (أوّه على إخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموه وتدبروا الفرض فأقاموه وأحيوا السنة وأماتوا البدعة ، دُعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه)(٣).

ب. ما جاء عن الإمام الرابع علي بن الحسين(زين العابدين) من تمجيده إياهم، ففي دعائه الذي يروونه أنه يقول : (اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وأسرعوا إلى وفادته وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به ... اللهم وصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) خير جزاءك الذين قصدوا سمتهم وأتمروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم ... إلى آخر الدعاء)(٤) . يقول البرقعي : "إذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا جميعاً وكانوا غاصبين ، فلماذا يدعو لهم سيدنا السجاد وسائر الأئمة ويمجدونهم ؟"(٥)

---

(١) كسر الصنم٢٢٩

(٢) كسر الصنم ٢٢١. .

(٣) نهج البلاغة/ خطبته رقم ١٨٠

(٤) الصحيفة السجادية/ ص٤٢. الدعاء الرابع- الناشر: الهادي / قم.

(٥) كسر الصنم ٢٢١

موقف البرقعي من الخلفاء الأربعة.

يرى أبو الفضل رحمه الله أن الخلفاء الأربعة أول من يدخل في الآيات التي أثنى الله بها على الصحابة رضي الله عنهم(١). كما يرى أن أبا بكر رضي الله عنه هو أفضل الصحابة رضوان الله عليهم. فقد قال عن حادثة السقيفة:" لقد اجتمع هؤلاء الأخيار الذين أثنى الله عليهم في كتابه واختاروا أفضلهم لحفظ كيان الإسلام وطلباً لرضا الله"(٢) .

كما يعد انتخاب أبي بكر في السقيفة بسرعة كان قراراً صائبا من الصحابة، لأن الهدف "تدارك الفوضى التي أوشكت أن تقع ولحفظ الإسلام وتدبير الأمن والحيلولة دون تسلط الكفار والمشركين ، وتم تشكيل حكومة لسد الفرقة وحفظ هيبة الإسلام وكيانه . ولو لم يفعلوا ما فعلوا لقامت قائمة بعض الكذابين كمسيلمة الكذاب وآخرون آلاف من أمثاله ولتمكنوا من القضاء على الإسلام وهو لا يزال حديث العهد لأن أغلب الأعراب حول المدينة قد ارتدوا "(٣).

---

(١) كسر الصنم ٢١٦-٢١٧

(٢) كسر الصنم ٢١٧. وللمؤلف كلام يؤخذ منه أنه يقول بان افضل الصحابة هو علي، حيث قال: "صحيح أن عليا كان أعلم الصحابة وأفضلهم، ولكنه لم يعرف نفسه بالإمام المنصوص ، وهو في بعض كلماته اعتبر نفسه أحق بالخلافة من غيره.." (كسر الصنم٣٤٧). ولكن المترجم للكتاب د.عبد الرحيم قال في حاشيته: لما تكلمت مع المؤلف بهذا الأمر قال: لا يعلم أن علياً كان أعلم من غيره من الصحابة أو أفضلهم.إهـ. فلعل المؤلف يقصد بكلمته السابقة أن علياً يرى أنه أفضل الصحابة للخلافة ، أي أنه يرى أفضليته السياسية لا الدينية.والله أعلم.

(٣) كسر الصنم ٢١٦

فضل زوجات الرسول صلى الله عله وسلم

سبق وأن بينا أن البرقعي يرى بـأن قولـه تعـالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾))[الأحزاب٣٣] يـدل علـى "أن الله شاء الطهارة ورفع الرجس عن جميع أسرة النبي وأهل بيته سـواء في ذلـك زوجاته أو صهره أو بنته "(١). وهذا يكفي لرد من طعن في نزاهة زوجـات الـنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان تزكية البرقعي لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

المسألة العاشرة:الخرافات في المذهب.

يعتبر البرقعي رحمه الله تعالى دين الإسلام ديناً موافقاً للفطرة والعقل، بعيداً كـل البعد عن الخرافة. ولهذا أنكر رحمه الله كثرة الخرافات التي روّج لها الرواة الكـذابون الغلاة الذين لعنهم وفسّقهم الأئمة، وأدخلوها باسم المذهب.

يقول رحمه الله تعالى:" دين الله تعالى ليس فيه خرافات ولكن المـذهب ملـيء بالخرافات"(٢) .

ويرى البرقعي أن من أكبر أسباب انتشار الخرافة تصديق عوام الشيعة لكل مـا يقال من كلام إذا كان في صدره عبارة" قال الإمام" بحيث يعظمونه جدا ويتوهمـون أن الكلمات تحمل العلم والأسرار"(٣).

---

(١) كسر الصنم ٢٢٧

(٢) كسر الصنم ٣٩٨

(٣) كسر الصنم ٢٥٢

ويقول: "لقد دخل إلى الإسلام خرافات باسم الإمام، ونحن نعمم أن الخرافات في الدين لا يقبلها العقلاء والعلماء بل هي سبب تفرقهم، وقد دخلت هذه الخرافات على الغالب عن طريق وضع الحديث، وعن طريق الثقة بالمتقدمين، ولذا يجب تطهير ساحة الإسلام من أمثال هذه الشوائب"(١).

من صور الخرافة التي نبه عليها البرقعي:

١. **قولهم: إن علياً خرج من نقطة الباء في "بسم الله"(٢).**

يعد البرقعي رحمه الله هذا القول من الأقوال الخرافية جداً التي تدل على مدى تغلغل الخرافة في المذهب فيقول: " حقاً إن أفكاركم سامية !! إن الأوروبيين يصنعون من خردة الحديد القديمة الصواريخ والطائرات عبر القارات ويرسلون السفن الفضائية والقمر الصناعي إلى الفضاء ، ويذهبون إلى القمر ، وأنتم تصنعون من (الباء) في بسم الله ، بهاء الدين(٣) ، ومن نقطته علياً رضي الله عنه ! أليس هذا تلاعباً بآيات الله ! وإذا لم يكن تلاعباً فما هو إذاً ؟ إنّ كل ما اختلقه الرواة العوام من أصحاب الخرافة أصبح لنا مذهباً !!"(٤).

٢. **روايتهم : توجيه موسى الكاظم للناس وهو رضيع.**

فقد روى الكليني عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يسارّه طويلاً، فجلست حتى

---

(١) كسر الصنم ٣٩

(٢) أنظر الكافي ١/١١٤

(٣) يقصد حسين علي المازندراني الملقب بالبهاء(١٨١٧م-١٨٩٢م)، الذي تنتسب له الفرقة البهائية.انظر البهائية لإحسان إلهي ٤١-٤٢.موسوعة الاديان الميسرة١٤٥.

(٤) كسر الصنم ٩٧-٩٨

فرغ. فقمت إليه فقال لي: أدن من مولاك فسلم، فدنوت فسلمت عليه فرد علي السلام بلسان فصيح، ثم قال لي: إذهب فغير اسم ابنتك التي سميتها أمس، فإنه اسم يبغضه الله. وكان ولد لي ابنه سميتها بالحميراء. فقال أبو عبد الله [الصادق]: انته إلى أمره ترشد. فغيرت اسمها(١).

وقد أظهر البرقعي شدّة عجبه من مضمون هذه الرواية التي تعني أن "الإمام الرضيع أعلى من النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي لم يصبح نبياً إلا بعد سن الأربعين وهو بعد أن أصبح رسولاً لم يكن يعرف أسماء الحاضرين عنده ، ولكن هذا الطفل الرضيع يعرف أسماء الجميع وحتى البنت التي لم يرها ... والآن لاحظوا لماذا انتبه إلى ابنته واسمها ؟ . !

ذلك أن خاتم الأنبياء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : حميراء لأنها كانت حمراء الوجه والشعر ، وكانت جميلة ، وهذا الطفل ساءه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن الواجب عندهم العداء والبغض لعائشة فهو عدو لها منذ كان في بطن أمه وعد اسمها اسماً يبغضه الله .

أجل إن رسول الله لا يعلم الغيب ؛ في حين علم هذا الطفل الرضيع الغيب . هذا هو المذهب بل الدين الذي أتى به محمد بن سنان(٢) الكذاب المشهور لأمتنا المسكينة .

ويجب العلم أن هذا النموذج من الروايات يهدف إلى إيجاد البلبلة والتفرقة بين أهل

---

(١) الكافي ١/٣١٠ . . وقد ضعف البرقعي سند هذا الأثر لأنه من رواية محمد بن سنان ، وهو من الكذابين المعروفين ، ومن الغلاة كما يقول عنه علماء الرجال الشيعة، وفيه أيضا يعقوب السراج وهو ضعيف أيضاً كما يقول عنه ابن الغضائري. انظر كسر الصنم ٢٣٩.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن سنان الزهري(٢٢٠هـ) اختلف فيه علماء الإمامية فقال المفيد وغير واحد من:ثقة. وضعفه الطوسي والنجاشي ، وقال الغضائري غال لا يلتفت إليه ، وقال الفضل بن شاذان إنه من الكذابين المشهورين، والعجيب أن المجلسي قال: لا نجد في أخباره غلواً أصلاً، بل يظهر منها كونه من أصحاب الأسرار. انظرالارشاد٢/٢٤٨. رجال النجاشي ٣٢٨.منتهى المقال٦٥-٧٦.

السنة والشيعة، ويفيد أعداء الإسلام"(١).

٣. القول بأن الإمام لا يكون جنباً وأنه لا يتثاءب وينظر من ورائه كما ينظر أمامه وتفوح من غائطه ريح المسك.

فقد أورد الكليني أثراً عن الباقر أنه قال: للإمام عشر علامات: يولد مطهراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعا صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجود كرائحة المسك والأرض موكّلة بستره وابتلاعه...)(٢).

وبعد أن يستبعد البرقعي أن يكون هذا من كلام الإمام؛ يتعجب قائلا :"لماذا وضعوا مثل هذه الأخبار في أحسن كتبهم المذهبية؟ هل يريدون تشويه صورة الإسلام بهذه الخرافات؟ وإذا كان الإمام لا يمر بحالة الجنابة فكيف يكون منه أولاده ؟! أما من عقل لهؤلاء الرواة ؟ وهل هذه المتاهات هي المذهب الجعفري ؟" (٣).

٤. القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم رضع من ثدي أبي طالب

أنكر البرقعي ما رواه الكليني عن الصادق رحمه الله أنه قال: لما ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث أياما ليس له لبن، فألقمه أبو طالب ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبنا فرضع منه أياما حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها(٤).

٥. كما أنكر البرقعي ما حكاه الكليني عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال: إن لله مدينتين، إحداهما في المشرق، والأخرى في المغرب، عليهما سور من حديد وعلى كل واحدة منهما ألف ألف مصراع، وفيها سبعون ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها، وأنا

(١) كسر الصنم ٢٣٩-٢٤٠

(٢) الكافي ١/٣٨٨-٣٨٩.

(٣) انظر كسر الصنم ٢٧١

(٤) الكافي ١/٤٤٨. وانظر تضعيف البرقعي للأثر في كسر الصنم ٣٠٠.

أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيري وغير الحسين أخي(١).

وقال البرقعي : والآن إذا قال أحد أنه في عصرنا قد كشفت مدن المشرق والمغرب بالطائرات والسفن الفضائية ولم توجد مدينة كهذه فيبدو أن هؤلاء الرواة توغلوا بالكذب واختلقوا هذه الأشياء الخرافية ليشغلوا المسلمين ومن يكذب بها ولا يوقن بها يكفرونه[٢] فوراً(٣).

٧.القول بأن بنات الأنبياء لا يحضن، كما هو وارد في الكافي عن أبي الحسن رضي الله عنه قال: إن فاطمة صديقة شهيدة، وإن بنات الأنبياء لا يطمثن(٤).

وقد وضّح البرقعي أن هذه الرواية تشتمل على خرافة تناقض الكمال البشري لأن عدم وجود الحيض نقص في البدن ولا يعد من الفضائل فضلا عن أن البنات الأخريات للنبي صلى الله عليه وسلم ونساؤه كن يحضن.(٥)

٨. وعن إدريس الأودي قال: لما قتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل، فقالت فضة لزينب: ياسيدتي إن سفينه[مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم] كسر به في البحر فخرج إلى جزيرة فإذا هو بأسد، فقال:يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله، فهمهم بين يديه حتى وقفه على الطريق والأسد رابض في ناحية، فدعيني أمضي إليه وأخبره ما هم صانعون غدا، قالت فمضت إليه فقالت: يا أبا الحارث فرفع رأسه، ثم قالت: أتدري ما يريدون أن يعملوا غدا بأبي عبد الله عليه السلام؟

---

(١) الكافي ٤٦٢/١

(٢)هكذا في الأصل والصواب: يكفروه.

(٣) كسر الصنم ٣٠٥

(٤) الكافي ٤٥٨/١.

(٥) انظر كسر الصنم ٣٠٤.

يريدون أن يوطئوا الخيل ظهره. قال : فمشى حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام، فأقبلت الخيل فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد لعنه الله: فتنة لا تثيروها، انصرفوا، فانصرفوا.

فقد بين البرقعي أن هذا الخبر يخالف القرآن والحس، لأن فيه أن فضة علمت ما يريد الجيش، وهذا من علم الغيب الخاص بالله، كما يسأل البرقعي :أين الجزيرة التي ذهبت لها فضة وهي في كربلاء -وهي لا توجد فيها جزيرة واحدة-، وأخيرا يشكك البرقعي في كون فضة ممن حضر كربلاء ذلك الوقت أصلاً(١).

٩. ورد في(باب: أن الجن يأتونهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمورهم)(٢) أخباراً وقصصاً يرى البرقعي أنها مثل تلك التي تروى في المقاهي، حيث روي ابن جبل وسعد الاسكاف أنهم شاهدوا أقواماً كأشباه الزط يخرجون من عند الأئمة(٣) ، وأن الإمام أخبرهم أن هؤلاء من الجن يسألون ويخدمون الأئمة(٤).

و يرى البرقعي رحمه الله أن من أصعب الأشياء تصديق أخبار هذا الباب لا سيما الخبر السادس ونصه :عن أبي جعفر :بينما أمير المؤمنين على المنبر، إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فهم الناس أن يقتلوه، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام أن كفوا، فكفوا وأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر فتطاول، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام ، فأشار أمير المؤمنين إليه أن يقف حتى يفرغ من خطبته، ولما فرغ من خطبته أقبل عليه فقال: من أنت؟ فقال[الثعبان]:عمرو بن عثمان خليفتك على الجن ، وإن أبي قد مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك وقد

---

(١) كسر الصنم ٣٠٨

(٢) انظر الكافي ١/٣٩٤

(٣) في خبر ابن جبل رآهم يخرجون من عند الصادق، وفي خبر الاسكاف رآهم يخرجون من عند الباقر.

(٤) انظر كسر الصنم ٢٧٥

أتيتك يا أمير المؤمنين فما تأمرني به؟ وما ترى؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أوصيك بتقوى الله وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن، فقلت له[جابر يقول للباقر]: جعلت فداك فيأتيك عمرو وذاك الواجب عليه؟ قال: نعم(١).

وهنا يوجه البرقعي سؤالين مهمين يبينان بطلان هذه القصة الخرافية، وهما:

أولا: "لماذا عندما تحولت عصا موسى إلى حية بيده عرف بذلك كل الناس وامتلأت الكتب بخبره، في حين أتت حية إلى مسجد الكوفة بحضور ألوف الناس ومع ذلك لم يتحركوا ولم يخافوا ولم يطلع على ذلك أحد إلا عمرو بن شمر وجابر الغالي المذهب؟"

ثانيا: لماذا لم يخف الناس عندما رأوا خليفة الجن وينقادوا له ويرضوا بحكمه؟(٢).

والخلاصة هي أن البرقعي يرى بأن الدين منزه عن الخرافات التي امتلأت بها كتب المذهب الإمامي، جراء تسلط الرواة الكذابين الذين ترك لأخبارهم المجال لتسود بها صحف أحسن الكتب الإمامية كالكافي ونحوه.

هذه بعض صور الخرافة التي أنكرها البرقعي وقد ذكرت شيئا منها مع موقف البرقعي منها(٣).

أثر الخرافات على تفكير الناس

مما لا شك فيه أن الخرافة إذا سيطرت على العقول فإنها **ستنحرف بها عن الفهم الصحيح للحقائق الدينية والكونية، بحيث يتعطل عقل الإنسان عن التحليل الصحيح للحقائق الشرعية والظواهر الكونية الطبيعية.**

---

(١) الكافي ٣٩٦/١.

(٢) كسر الصنم ٢٧٦

(٣) لمزيد من الأمثلة انظر في كسر الصنم: ٢٦٩ و ٢٧٤ و ٢٩٩و ٣٠٩ و ٣١٢ و ٣٢٦-٣٢٧.

وقد حكى البرقعي شيئا من تجربته المرّة مع الناس وهو يجاهد في سبيل فتح عقولهم ليرو الحقائق كما هي، ولكنه كان يصطدم بالأوهام والخرافات التي كانت قد ترسخت في عقول من حوله.

ومن المواقف التي ذكرها:

الموقف الأول:

قال: "لما كنت في الخامسة والثلاثين من عمري سافرت إلى شيراز في فصل الشتاء ، ووصلت مع الغروب إلى (آباده)[١] ذهب الناس فيها لشدة البرد إلى داخل المقهى ، ولاعتزامي الصلاة سألت عن المسجد فدلوني عليه وذهبت إليه وصليت فيه وكان عدد المصلين كبيراً ، وكانوا قد شربوا الشاي وهم بانتظار خطيب يأتي إليهم من (اقليد) .

فاغتنمت الوقت وصعدت المنبر وبينت لهم شيئاً من الحقائق الإسلامية وقد سروا بكلامي ، وكنت أخشى أن تتحرك السيارة ويفوتني الموكب فيها فاختصرت مقالي وعندما خرجت من المسجد ودخلت تواً إلى الشارع رأيت المسافرين كلهم في السيارة ينتظرونني ، وقالوا يا سيد لماذا عطلتنا ، وعندما دخلت السيارة تحركت مباشرة والناس في المسجد ، وهم إذ سروا لكلامي كانوا يقولون فيما بينهم إنه ينبغي عليهم تكريمي وضيافتي عندهم ليستمعوا إلى المزيد من أقوالي وإرشاداتي ، وراحوا يبحثون عني في الشارع وأطراف المسجد فلا يجدونني ، وكانوا يقولون لبعضهم يا ويلتنا ! هذا السيد هو إمام الزمان حتماً ، لقد جهلناه و لم نعرف قدره ، ولكن هيهات لقد ذهب عنا وليتنا تمسكنا بزناره وطلبنا منه العون والبركة ، ثم بدأوا بالبكاء والنياحة وضرب الخدود والصدر وقد وصل الخبر إلى شيراز وصار كلام الناس في

---

(١) مدينة بين شيراز وأصفهان

المجالس هو ذهاب إمام الزمان إلى آباده ولكننا سكتنا و لم نتجرأ على إظهار الحق"(١).

الموقف الثاني:

يحكي البرقعي واقعة أخرى تدل على أثر الخرافة على عقول الناس من حوله فيقول:

"وفي عصرنا هذا حدث أن تركوا الناقة التي حملت حملاً في الشارع في مشهد خراسان وذهبت الناقة داخل صحن الإمام الرضا فأحاطها الناس وأحدثوا صخباً وقالوا أن الناقة أتت لزيارة الإمام وبدؤوا يجزون شعرها تبركاً بها وآذوها بذلك حتى ماتت.

وبعد ذلك جاء أحد علماء الشيعة ومجتهديهم إلى بيتي وسألني : ماذا تقول في هذه المعجزة وأن الناقة أتت إلى الزيارة هل تنكر هذا ؟ فسألته : لماذا تراها أتت تلك الناقة بالذات و لم تأت غيرها ؟ وهنا أجابني ذلك المجتهد : إن هذه الناقة كان شيعية وبقية النوق سنية. !"(٢).

إن هذه المواقف التي حكاها البرقعي تبين بجلاء مدى تأثير الخرافات والخزعبلات على عقول الناس، وكيف تحول العقل من مصدر لفهم الحقائق الشرعية والكونية كما شاءها الله تعالى إلى مصدر للأوهام ومركز لصرف الحقائق عن وجهها الصحيح.

وأخيراً يجب علينا جميعا أن نعلم أن الفرق بين الغيب والخرافة شعرة، ذلك أن الفاصل هو أن ما صح الخبر به وجب الإيمان به وما لم يصح من الأخبار والروايات فإنه مطروح.

ومن جهة أخرى فإن الفرق بين المعجزات والكرامات-التي نؤمن بها- وبين الخرافات التي نرفضها، هو ما يلي:

---

(١) كسر الصنم ٢٥٠ وفي موضع آخر هو ٣١٩-٣٢٠

(٢) كسر الصنم ٣٠٩

١. أن المعجزات والكرامات تكون مما جاء النص بوقوع جنسها عى يد بعض الأنبيـــاء والأولياء أو من شاء الله وقوعها على يده.

٢. أن تقع على يد من يستدل بها على الهداية للصراط المستقيم، فأما ما يقع على يد من يضل الناس فإنه من باب الدجل والشعوذة فهي استدراج له أو فتنة لمن يصدقه .

٣. أن تكون مما يقبله العقول السليمة وإلا لناقض وقوعها مقصود الإعجاز، إذ المـــراد إخضاع البشر للرسالة المُؤيدة بذلك الخارق، ولهذا سماه الله في القرآن (آيات) لأنـــه يريد أن تكون علامة ودليلا على رسالته.

ولعل مما يوضح ذلك أن الله يؤيد كل رسول بجنس ما يقبل كل قوم وقوعه بـــل مـــا يتعاظم قومه بالعلم به كتأييد الله موسى عليه السلام بالعصا و تحول لون يده مما هـــو من جنس علم السحر بل أعظم لأنه مما لا يطيقه السحرة.

أما الخرافات فعلامتها كذب الناقل أو غلوّه، مع رفض العقل السليم -الذي لم يألف الخرافات والأوهام-.

ويجب العلم أن دعاة الرسالات السماوية -سواء المرســلين أو الأنبيـــاء أو ســـادات أتباعهم- لم يجعلهم الله فوق البشر بحيث يعيشون حياة كلها خوارق وكرامات بـــل هم كما وصف سبحانه خيارَهم بأنهم: (بشر مثلكم)، ولهـــذا كانـــت الخـــوارق في حياتهم طارئة ، فموسى عليه السلام أيده الله تعالى بتسع آيات وصالح بالناقة وعيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وإخباره بما يدخرون في بيوتهم..وهكذا.

ومن هنا نعلم أن من علامات الانحراف في مذهب الإمامية؛ الإفراط في صياغة حيـــاة مليئة بخوارق للأئمة[١]، أو ما يسمونها بالمعاجز، بحيث يفضي الحال بالمتبع للمذهب إلى رفع الأئمة فوق مستوى البشر، وللأسف هذا حال كثير من عامة الـــشيعة — لا سيما الجهال والبسطاء-.

---

(١) ويكفي في ذلك الاطلاع على (كتاب مدينة المعاجز)لهاشم البحراني.

أبرز الملاحظات على البرقعي[1]

المتأمل لتجربة البرقعي في التحول والإصلاح يجد فيها معالم منهجية بارزة تتلخص في كونه طرح التقليد جانبا، وفتح لنفسه باب النظر والبحث في كل مسائل الاعتقاد، وقد حدد لنفسه المرجع الأول الذي يزن به جميع الأقوال والروايات ألا وهو القرآن الذي يعتبره البرقعي هو الحق المطلق.

ومن خلال هذا المنهج الذي رسمه البرقعي لنفسه استطاع أن يكتشف الخطأ في كثير من المسائل التي نشأ عليها، بل وكان يدافع عنها في يوم ما، وهذا إن دل فإنما يدل على أمرين:

الأول: التجرد الذي تحلى به البرقعي طلباً للحق- هكذا نحسبه ولا نزكي على الله أحداً- وهو ما يظهر للمطلع ، رجوعه عن معتقدات كان يدعوا لها، ويدافع عنها في يوم ما.

الثاني: الشجاعة النفسية والعلمية التي استطاع بها البرقعي أن يكسر الحاجز الصعب على كل مقلد، وبالذات في المذهب الشيعي الإمامي، حيث ينشأ الناشئ على التقليد وإغلاق مصدر الفهم والوعي في النفس بحيث لا يعارض ولا يجادل كما هو الحال عند عامة الاتجاه التقليدي الإمامي الغالب على الساحة الشيعية في تلك الفترة، مما يجعلنا نسجل للبرقعي مدى النصر الذي حققه على نفسه أولا عندما تغلب على التقليد والجمود الذي نشأ عليه.

ولكن تجربة البرقعي -شأنها شأن تجارب البشر- لم تخلو من ملاحظات عقدية، أسجل منها ما وقفت عليه، وهي:

---

(١) من الصعوبة أن أسجل حُكماً دقيقاً على البرقعي في بعض المسائل لا سيما وأن الذي توفر لي دراسته من كتبه هو كتاب وحد، وهو -مقارنةً بكثرتها- قليل جداً ، ولذا فإن هذه الملاحظات هي من خلال ما ظهر لي في كتابه كسر الصنم مع العلم بأنه قد انتهى من الكتاب عام ١٣٩١هـ وعمره يقارب الستين وعاش بعد ذلك ما يقارب أكثر من عشرين عاماً.والله أعلم.

١. موقفه من الاحتجاج بخبر الآحاد

يذهب البرقعي إلى أن خبر الآحاد ليس بحجة في الاعتقاد، فيقول:" لابد أن يوضح لهم [يعني الشيعة] أن العقيدة لا يمكن أخذها من خبر، خاصة أن جميع علماء الشيعة ومحققيهم قالوا وكتبوا على أن خبر الواحد ليس بحجة، ولا يصح للاعتقاد"(١).

وما ذهب إليه البرقعي هو مذهب المعتزلة(٢)والخوارج(٣) وكثير من متكلمي الأشاعرة (٤)وبعض الفقهاء(٥) وهو قول عامة الشيعة.

وقد اعتمد أصحاب هذا القول على أن خبر الواحد لا يفيد العلم وأن مسائل الاعتقاد يقينية فلا يطلب فيها إلا القطع، وعليه فإنه لا يقبل خبر الواحد عندهم في الاعتقاديات إلا إذا جاء الآحاد موافقاً للعقل، وحينها يستدل به تعضيدا لا استقلالا(٦).

ويكفي لبيان خطأ هذا المذهب(٧) أن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تواتر عنه إرسال الرسل والدعاة آحاداً، ليبلغوا دعوة الله تعالى وأول ما يدعون إليه

---

(١) كسر الصنم ٣٩و ٤٤

(٢) انظر الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لابن خياط ١٢٠. مراجعة: محمد حجازي، الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار٦٩٠ تحقيق:عبد الكريم عثمان،ط١،عام ١٣٨٤ مكتبة وهبة بمصر.

(٣) انظر الإحكام لابن حزم ١٤٥

(٤) انظر البرهان للجويني٥٩٩. وانظر أساس التقديس ٢١٥

(٥) انظر شرح الكوكب المنير٢/٣٤٨-٣٥١، الإحكام لابن حزم ١/١١٩.

(٦) انظر شرح الأصول الخمسة ٧٦٨و٧٧٠.

(٧) للتوسع في الرد راجع قواطع الأدلة للسمعاني ٢/٢٦٤-٢٩٣ تحقيق د.عبد الله الحكمي،ط١، ١٤١٨،بدون ناشر. وموقف المتكلمين للغصن١/١٦٦-١٨٥ و ١٩٨-٢٠٢ مختصر الصواعق٢/٣٥٩-٣٦٠و ٤١٢.

أمور الاعتقاد، ولو كان خبر الواحد لا يفيد العلم فإن إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم الآحاد لأولئك الكفار ليس بحجة كافية، وهذا باطل قطعاً(١).

ولذا ذهب بعض من المحققين إلى أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن، وهذا مذهب أكثر الفقهاء والمتكلمين(٢).

ولعل من أقرب الأقوال فيما يخص العمل بالآحاد في باب العقائد هو أن يقال بأن ما كان من أخبار الآحاد "قاطعا في الإثبات قطعنا بموجبه، وما كان راجحا -لا قاطعا- قلنا بموجبه،فلا نقطع في النفي والإثبات إلا بدليل يوجب القطع، وإذا قام دليل يرجح أحد الجانبين بينا رجحان أحد الجانبين، وهذا أصح الطرق"(٣).وهذا يرجع إلى تفاوت أخبار الآحاد، من حيث عدد الرواة لها، ووجود القرائن وغيرها، والله أعلم

ولعل ما حمل البرقعي على اعتماد هذا المذهب هو ما رآه من كثرة الأحاديث المكذوبة، بحيث لم يرى حلاً أمامه إلا الاعتماد على القرآن والمتواترات للسلامة من اعتقاد الكذب، وهذا وإن بررنا به موقف البرقعي إلا أننا لن نقبله ما دام يخالف الصواب.

٢. تفسيره للصفات بأنها عين الذات الإلهية.

يرى البرقعي أن صفات الله تعالى التي أثبتها لنفسه هي في الحقيقة عين ذات الله تعالى، ولهذا يقول مثلا: "علم الله وسائر صفاته هي عين ذاته".(٤)

والأقوال في هذه المسألة أربعة(٥):

---

(١) انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي بن حسن ١٢٨.

(٢) انظر الإحكام للآمدي ٣٢/٢ ، الإحكام لابن حزم ١٠٨/١ ، شرح الكوكب المنير٣٤٨/٢.صون المنطق للسيوطي ١٦٠-١٦١

(٣) درء التعارض٣٨٣/٣-٣٨٤.

(٤) كسر الصنم ١٤٧و ٢٧٠

(٥) انظر في هذه المسألة: مجموع الفتاوى٣٣٦/٣و(٩٦/٦) و١٦٩/١٧). درء التعارض (٢٨١/١) و (٢٣٠/٢-٢٣١) و(٣٧/٥-٥٠). وشرح العقيدة الطحاوية٩٧-٩٩، لوامع الأنوار

الأول: أن الصفة غير الذات أو الصفة غير الموصوف، وهذا قول المعتزلة والكرامية. قالوا: إن إثبات الصفات للذات يلزم منه تعدد القدماء(١).

الثاني:أنها ليست هي الذات ولا هي غيره و يقولون بإثبات قديمين هما الذات والصفات.وهذا هو القول الذي استقر عليه الأشاعرة(٢).

الثالث: أنها عين ذاته.وهو قول الشيعة(٣).

الرابع:أن لفظ "الغير" فيه إجمال، فلابد من التفصيل، فيقال: إن أراد بكون الصفات غير الذات الانفصال بينهما بحيث يجوز وجود أحدهما مع مفارقة الآخر – زماناً أو مكاناً- فهذا معنا باطل، لأن الذات لا يمكن أن تنفك عن الصفات، فلا يتصور ذات بلا صفات.

وإن أراد بأنها غير الذات كونها زيادة على عين الذات- أو ما يعبر عنه بأنه ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر- فهذا معنًى صحيح(٤).

يقول ابن أبي العز الحنفي:" ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له. وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو. وإذا كان لفظ الغير فيه إجمال فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل فان أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها فهذا غير صحيح وان أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة فهذا حق ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها و إنما يفرض الذهن ذاتا وصفة، كُلاًّ وحدَه، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فان هذا محال ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن

البهية للسفاريني٢١٧-٢١٨، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود٣/١٠٩١-١٠٩٤،

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ١٩٥-١٩٧.لوامع الأنوار البهية للسفاريني١/٢١٧

(٢) التمهيد للباقلاني ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) انظر كتاب مفاهيم القرآن لجعفر الهادي ١٣-١٤.

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١٧/١٦٠ودرء التعارض١/٢٨١.

الموجود، وان كان الذهن يفرض ذاتاً ووجوداً يتصور هذا وحده وهذا وحده لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج"(١).

٣. القول بنفي آلة السمع والبصر.

يقول البرقعي:" وأما الله فسميع وبصير بذاته ومتره عن آلة السمع والبصر"(٢).

وهنا لابد أن نوضح أن ما ذكره البرقعي من إثبات السمع والبصر حق لأن الله تعالى أثبت لنفسه ذلك فقال: (وكان الله سميعاً بصيراً)[النساء: ٥٨]، وقال: ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها))[المجادلة: ١]، وعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(أيها الناس، أربعوا(٣) على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً) رواه البخاري ومسلم(٤). وهذه النصوص كلها تدل على صفتين من صفات الكمال الذاتية للخالق وهما صفة السمع والبصر، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة.

ولكن قول البرقعي بنفي آلة السمع والبصر وقوله بأن الله سميع بذاته يعود إلى ما قرره قبل ذلك من أن صفات الله هما عين ذاته ، وقد بينا ما يخص هذا الاعتقاد قبل قليل، لكن بخصوص هذه المسألة وهما صفتا السمع والبصر لابد أن نوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم جلاّ هذا الأمر فقال: (إن الله ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية) متفق عليه (٥)، ففي هذا الحديث نجد

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٩٨.

(٢) كسر الصنم ١٠٤.

(٣) أي ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه،وأنتم تدعون الله وليس بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب. شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/٢٦.

(٤) صحيح البخاري.كتاب التوحيد-باب وكان الله سميع بصيرا-١٣/٣٨٥ح٧٣٨٦. صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار٤/٢٠٧٦ ح٢٧٠٤.

(٥) صحيح البخاري كتاب الأنبياء،باب (واذكر في الكتاب مريم)ح٣٤٣٩.ومسلم في

أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل علامةً فارقةً بين الرب الموصوف بأكمل الجمال، وبين الدجال الموصوف بالقبح والضلال، وهي وجود العَوَر في وجه الدجال وضده في حق الباري سبحانه، و"العور عرفاً: عدم العين وضد العور ثبوت العين"(١)، قال الإمام الدارمي رحمه الله: وفي تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليس بأعور) بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور)(٢).

كما بين البيهقي رحمه الله: أن"السميع من له سمع يدرك به المسموعات والبصير من له بصر يدرك به المرئيات، وكل منهما في حق الباري صفة ذاته"، ثم رد رحمه الله على من قال سميع بمعنى عليم بأحاديث منها ما حدث به أبو يونس، سليم ابن جبير مولى أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة، يقرأ هذه الآية ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها))إلى قوله تعالى ((سميعا بصيرا))[النساء: ٥٨] قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه قال أبو هريرة . رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ويضع إصبعيه قال ابن يونس قال المقرئ يعني ((إن الله سميع بصير)) يعني أن لله سمعا وبصرا.رواه أبو داود(٣). ففي هذا الحديث لم يرد الرسول صلى الله عليه وسلم التشبيه ولكن أراد تحقيق إثبات السمع والبصر.

وبهذا يتضح أن الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة هو أن الله تعالى وصف نفسه الشريفه بأنه سميع بصير وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بأن له عينين شريفتين لا يشبه بشيء منهما أو غيرهما أحداً من خلقه، كما لا يشبه بذاته أحداً من خلقه ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))[الشورى١١].

كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته.كلاهما عن ابن عمر.

(١) فتح الباري١٣/٤٠١، وانظر القاموس المحيط٥٧٣.

(٢) رد الدارمي على بشر المريسي ٤٨- ط دار الكتب العلمية- تحقيق الفقي.

(٣) سنن أبي داود (٤٧٣٠) كتاب السنة-باب في الجهمية، قال ابن حجر بسند قوي على شرط مسلم. (الفتح١٣/٢٨٥).

ومن المعلوم أن خطأ البرقعي في هذا الباب -أعني باب الأسماء والصفات- من الخطأ القائم على التأويل الذي يُعْذر به عند جمهور أهل السنة والجماعة(١). لأن هذا الباب مما "لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية ولا الفكر"-كما قال الشافعي رحمه الله(٢)-ولكن بالسمع، ولذا قال ابن قتيبة رحمه الله:"قد يغلط في بعض الصفات أقوام من المسلمين فلا يكفرون بذلك"(٣)، وقال ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته، لا يكون صاحبه كافرا إذا كان مقرّا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه"(٤)، والأدلة والأقوال الدالة على قبول العذر بالتأويل في هذا الباب كثيرة(٥).

هذه هي أبرز ما وقفت عليه من الملاحظات على البرقعي، وهي في الحقيقة صغيرة أمام الركام الهائل من الانحرافات التي استطاع البرقعي بنفسه -بعد معونة الله- أن يتجاوزها، فرحمه الله تعالى وغفر له.

---

(١) خلافا لابن جرير الطبري رحمه الله الذي كان يري كفر من جهل صفة من صفات الله، وبه قال الأشعري أولا ثم رجع عنه، كما حكى النووي عنهما. انظر شرح صحيح مسلم ٥/٥٩٨-٥٩٩.دار الفكر.

(٢) فتح الباري ١٣/٤٠٧.دار المعرفة.

(٣) فتح الباري ٦/٥٢٣.دار المعرفة

(٤) مجموع الفتاوى٧/٥٣٧.

(٥) انظر الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه لعبد الرزاق معاش٤٠١-٤٠٧.

الفصل الثاني:

أحمد الكسروي

المبحث الأول: ترجمته

اسمه:

هو أحمد مير قاسم بن مير أحمد الكسروي ، ولد في تبريز عاصمة أذربيجان عام ١٢٦٧هـ تقريبا، وبحسب ما ذكر أحد الكتّاب فإنه من أسرة يعود نسبها إلى أهل البيت([١]).

حياته وأعماله:

تلقى تعليمه الشرعي في إيران ، وصار يؤم المصلين في أحد قرى أذربيجان([٢])، كما أنه وأخذ في التعلم بنهم، حتى أجاد عدة لغات هي: اللغة العربية، والتركية، والإنجليزية، والأرمنية، والفارسية الحديثة، والفارسية القديمة (البهلوية) ومن أعماله:

- عمل أستاذاً في جامعة طهران.
- تولى عدة مناصب قضائية ، فتولى عدة مرات رئاسة بعض المحاكم في المدن الإيرانية.
- أصبح في طهران أحد كبار مفتشي وزارة العدل الأربعة.
- ثم تولى منصب المدعي العام في طهران .
- عمل محرراً لجريدة (برجم) الإيرانية.

اغتياله:

ما أن انتهى الكسروي من تأليف كتابه"التشيع والشيعة" حتى تعرض لمحاولة الاغتيال، حيث ضرب بالرصاص من قبل مجموعة في طهران، فدخل المستشفى، وأجريت له عملية جراحية، و تم شفاؤه .

ثم أخذ خصومه يكيدون له، ويحيكون له المؤامرات من الإيقاع به، فقد رموه بمخالفة الإسلام ، و رفعوا ضده شكوى إلى وزارة العدل ، ودعي للتحقيق معه، و في

---

(١) أنظر مقال :استنساخ الحضارات داخل إيران للكاتب "نجاح محمد علي" في صحيفة الزمان ١/١/٢٠٠٢.

(٢) المرجع السابق

آخر جلسة من جلسات التحقيق ضرب بالرصاص مرة أخرى ، و طعن بخنجر ، فمات على إثر ذلك، و كان في جسمه تسعة و عشرون جرحاً، وقد عاش سبعاً و خمسين سنة.

ويُذكر أن الذي قام بإطلاق النار عليه هو "نواب صفوي"، سنة ١٩٤٦م([1]).

مؤلفاته:

١. (آيين)أي: دستور، أو دين، وقد نشر فيه أفكـــاره الأساسية،سنة ١٣١١هـــ.

٢. صوفيكاري (كتاب في نقد الصوفية)

٣. بهائيكري (كتاب في نقد البهائية)

٤. شيعيكري .(كتاب في نقد الشيعة)

٥. التشيع والشيعة.

كما كان للكسروي مقالات كثيرة في مجلة (بيمان) وجريدة (برجم).

---

(١) انظـــــــــــــــــــــر: جريـــــــــــــدة (الزمـــــــــــان) العـــــــــــــدد ١٣٨١ التـــــــــــاريخ ٢٠٠٢ – ١١ –
http://www.ahwazstudies.org/arabic/azizi١٠.htm

المبحث الثاني: آراء الكسروي

من الممكن لأي قارئ لما كتبه الكسروي أن يعلم أن الكسروي قد غلب عليه طابع الثورة -بكل ما تحمله الكلمة من معنى-أعني الثورة على المذهب الإمامي، وهذا ما يتضح في أمرين:

الأول: غلبة الحدّة على خطابه.

الثاني: عدم الانضباط والتوسط في اتخاذ بعض المواقف.

فكما أن الثورات الثقافية تتميز بالقوة وعدم اتخاذ المواقف المنضبطة في كثير من الأحيان لأنها تنحى منحى ردة الفعل، فكذلك الكسروي قد أخذ طابع الثورة في نقده، أكثر من كونه ناقداً موضوعياً منضبطاً بالضوابط العلمية.

ولعل شدة الانحراف، وحالة التخلف الفكري، والإغراق في الخرافة التي سادت في زمن الكسروي بشكل صارخ؛ هي التي دفعته لمثل هذه الحالة وهذا الخطاب المتسم بردة الفعل، وليس يضيرنا شيئا إذا وقفنا على ما قال الكسروي ما دمنا ملتزمين بأن نأخذ الحق من أفكاره، وأن نرد عليه ما سيظهر لنا من أخطائه ولو كانت في حق من نختلف معهم؛ أعني الإمامية.

ويمكن تلخيص أفكار أحمد الكسروي، بما يلي:

المطلب الأول:

مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

يرى الكسروي بأن تأمل الناس لمعالم ربوبية الله تعالى وسننه في الكون من أهم الأمور التي غفل الناس عنها.

ويتحدث الكسروي عن بعد الناس عن النظر في سنن الله في الكون، التي تدل على عظمة الله تعالى؛ فيقول: "ومن جهالة العامة أنهم لا يحسبون من الله إلا كلُّ أمرٍ خارق للعادة أو شاذ لا يقع إلا نادراً، فتروهم يرون الأشجار في الربيع فلا يتعجبون، ولا

يحسبونه من قدرة الله. ولكنه إن أزهرت شجرة في الخريف أخذهم المزة فتروهم يحركون رؤسهم وهم يقولون: "انظروا إلى قدرة الله"(١).

ويذكر الكسروي أن هذا الطابع هو الذي أورث الشيعة -في زمنه- طابع الركون وانتظار الفرج من الله بأن يخرج الإمام المهدي ليصلح الأحوال، من غير أن يفكروا في السعي لإصلاح حالة الذل والهوان التي سادت في إيران إذ ذاك، بإعمار الأرض بالعلوم والصناعات الحديثة.

كما يذكر الكسروي بأن الفكر السلبي بلغ ببعض معاصريه من الإمامية إلى درجة معارضة كل من يسعى في سبيل الإصلاح "معتقدين أن صلاح العالم مفوض من الله إلى محمد بن الحسن العسكري، وليس للآخرين".

والحق أن ما ذكره الكسروي مهم في تصحيح التصور الإسلامي ، لأن الداء الذي أشار إليه كان منتشراً بين طوائف من الأمة، لأسباب أهمها بعض التصورات الخاطئة التي توغلت باسم المهدي، أو بسبب الفهم الخاطئ لمعنى التوكل على الله.

غير أن العصر الذي تلا فترة الكسروي قد شهد تطوراً في الساحة الشيعية في مفاهيم من أهمها مفهوم الإصلاح الديني، حيث تغلب الاتجاه الحركي-بشتى تياراته المتباينة- والذي يعد من أبرز رموزه الخميني في إيران، والخالصي(٢) في العراق على التيار الذي ينتقده الكسروي، وهو ما نتج عنه تطورات كبيرة جديرة بالبحث.

---

(١) التشيع والشيعة ١٢٢

(٢) ستأتي ترجمه مفصلة له في الفصل الخاص بالخالصي. ص ٣٧٢

المطلب الثاني:
مسائل تتعلق بتوحيد العبادة

يرى الكسروي بأن الإسلام جاء ليعلم الناس التوجه إلى الله وحده بالعبادة ، وترك عبادة من سواه(١).

وفي هذا السياق ينبه الكسروي إلى ما يعده من المنكرات التي فشت؛ وهو عبادة القباب والأولياء، فيقول:

"وآخر منكراتهم ما هو رايج فيهم [يعني الإمامية] من عبادة القبب، فقد شادوا على قبر كل واحد من أئمتهم، في خراسان أو العراق أو الحجاز قبة من الذهب أو الفضة، وبنو مباني، ونصبوا خدّاماً، فيقصدها الزائرون من كل فج عميق، فيقفون أمام الباب متواضعين ويستأذنون متضرعين، ثم يدخلون فيقبلون القبر، ويطوفون حوله، ويبكون، ويبتهلون ويسألون حاجات لهم، فهل هذه إلا العبادة؟!"(٢).

ثم يذكر الكسروي أن هؤلاء إذا نُصحوا يدافعون بقولهم: إننا لا نعتقد أن الأئمة آلهة ولا نزورهم لنعبدهم، بل نعتقدهم عباداً مقربين عند الله، ونزورهم لكي نستشفعهم في حاجاتنا.

ويصف الكسروي هذه الحجة بأنها داحضة، ثم يقول: "إن الله لا حاجة إلى الاستشفاع عنده ، وليس الله تبارك وتعالى كأحد من ملوك الأرض حتى يستشفع أحد عنده(٣)، ثم إن هذا الجواب عين جواب المشركين، فإن القرآن يحكي لنا أنه لما كان

---

(١) المرجع السابق ٢٤

(٢) المرجع السابق١٤٣

(٣) يجب أن يقال بأن الكسروي إن أراد إنكار الشفاعة أصلاً، فهذا خطأ يخالف ما ثبت في القرآن والسنة، وإن إراد إنكار اتخاذ الوسطاء بين الله وخلقه في الدعاء وطلب الحاجات في الدنيا فهذا صحيح.

النبي يلوم المشركين من قريش ويقول لهم : أتعبدون ما تنحتون. أجابوه قائلين: هؤلاء شفعاؤنا عند الله"(١).

كما يبين الكسروي أن من أسباب رواج هذه الانحرافات اعتقاد كثير من الشيعة بأن الأئمة أحياء وأنهم قادرون على كل شيء، وهو ما يعده الكسروي انحرافاً في التوحيد(٢).

ويستدل الكسروي في رده على هذه الاعتقادات بذكر حادثة؛ وهي دخول جيش عبد العزيز بن سعود بن محمد الذي يصفه الكسروي بالوهابي عام ١٢١٦هـ، فقد استولى جيشه على النجف وكربلاء وقتل كثيراً من الشيعة وهدمت القباب التي على قبور الأئمة، وأخذت الأموال التي وضعت في مزاراتهم(٣).

ومع أن الكسروي أظهر أسفه على القتل والسلب الذي وقع إلا أنه استخلص من هذه الواقعة دلائل كبيرة، هي

أوّلاً: "أن تلك القبور والقبب لا تقدر عن دفع الضرر عن نفسها فكيف تدفعه عن الآخرين.

---

(١) المرجع السابق ١٤٣-١٤٤

(٢) المرجع السابق ١٤٨.

(٣) وقد أرخ لهذه الحادثة عثمان ابن بشر النجدي في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) فقال:"إن سعود سار بالجيوش المنصورة و الخيل العتاق المشهورة ، من جميع حاضر نجد و باديها، و الجنوب و الحجاز و تهامة و غير ذلك، و قصدوا أرض كربلاء و نازل أهل بلد الحسين، فحشد عليها المسلمون، وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة، و قتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، و هدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين، و أخذوا ما في القبة و ما حولها، و اخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت و الجواهر، و أخذوا جميع ما وجدوا في البلد من الاموال والسلاح واللباس و الفرش و الذهب و الفضة و المصاحف الثمينة و غير ذلك مما يعجز عنه الحصر و لم يلبثوا فيها الا ضحوة و خرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الاموال، و قُتل من أهلها قريب ألفي رجل، ثم ان سعودا ارتحل منها فجمع الغنائم و عزل أخماسها، و قسم باقيها على المسلمين غنيمة للرجل سهم وللفارس سهمان". عنوان المجد: ٢٦١

الثاني: أن الأمور لا تجري إلا بأسبابها الظاهرة فإن النجف كان لها سور، ودافع عنها أهلها فسلمت من الضرر، وكربلاء لم يكن لها سور ولم يدافع عنها أهلها فأصيبت بتلك الأضرار الفادحة"(١).

والخلاصة هي أن الكسروي يقرر بأن العبادة يجب أن لا تصرف إلا لله وحده، وأن ما انتشر من طلب الحاجات من الأئمة والصالحين هو ضرب من ضروب الشرك التي جاء الإسلام بإبطالها.

المطلب الثالث: الغلو في الأئمة

من المسائل التي كان لها حض في مناقشات الكسروي؛ موضوع الغلو، فقد بين رحمه الله وغفر له أن من أهم مظاهر الغلو التي دخلت المذهب الإمامي ما يلي:

١. القول بأن الله تعالى خلق العالم لأجل الأئمة.

٢. القول بأن الله قد فوض للأئمة أمر الكون.

٣. القول بأن الله قد خلق الأئمة قبل أن يخلق العالم بآلاف السنين.

٤. القول بأن بقاء الأرض والسماء حاصل بوجودهم.

٥. أنهم يرزقون(٢).

٦. نسبة علم الغيب إليهم.

٧. القول بحلول الله في الأئمة(٣).

٨. القول بأن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة.

ويرى الكسروي بأن هذه المظاهر وغيرها من أشكال الغلو مما يهدمه القرآن، فيقول " فيتعجب المتعجب من أن النبي مع جلالة قدره كان يتواضع ويقول

---

(١) المرجع السابق ١٤٧-١٤٨

(٢) النقاط السابقة في المرجع السابق ١٢٥

(٣) المرجع السابق ٩٦-٩٧

((قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ))[الكهف ١١٠] والقرآن يخاطبه قائلاً ((مَا كُنتَ تَدْرِى))[الشورى ٥٢] ..وهؤلاء أخلافه تعالوا وتشدقوا بهذه الأقاويل. وأين هذا من ذاك؟"(١).

ولكن الكسروي يقف وقفة إنصاف ليبين أن كثيراً من علماء الشيعة في زمنه – عدا الشيخية كما يقول– قد أحجموا عن الاعتقاد بأن الأئمة خالقين ورازقين وأن أمور العالم مفوّضة إليهم ، وأن كثيراً من علماء الشيعة في وقته كانوا يتبرؤون من هذا الكلام، ويقول أيضا: "نعم إنهم قد ذكروا الأخبار وملؤوا بها كتبهم، بيد أنهم أوّلوها و لم يقرّوا للأئمة غير كونهم علة غائية للخليقة، خلق الله العالم لأجلهم، و لم يقبل الأخبار على علاّتها إلا الشيخية.."(٢).

وهذا النص من كلام الكسروي يجب أن ينظر بتمعن لأنه يعد رصداً مهماً في توصيف تلك الفترة.

ومما ينتقده الكسروي على المذهب الإمامي : إفراطهم في جعل القرآن مادحاً لعلي، فيقول "وقد أفرطوا في ذلك إفراطاً لا مزيد عليه، فترون أنهم جعلوا القرآن كديوان شاعر مادح هاج، فكل آية فيها بشارة أو ذكر نعيم جعلوها في علي، وكل آية فيها إنذار، أو ذكر عذاب جعلوها في عمر وأبي بكر.."(٣).

تقديس البقع التي يدفن فيها الأئمة.

يرى الكسروي بأن من الأخطاء التي وقع فيها كثير من المنتسبين للمذهب الشيعي تقديس الديار والبقع التي يدفن فيها الأئمة، وقد زاد ذلك التقديس ببدعة أخرى ينبه إليها الكسروي ألا وهي الاهتمام بنقل الموتى إلى كربلاء والنجف بسبب ما روّج له بعض فقهاء المذهب في فضائل ذلك، كقولهم أن

(١) المرجع السابق ١٢٦

(٢) المرجع السابق ١٢٦-١٢٧

(٣) المرجع السابق ٨٩

الميت إذا دفن في واحد من المشاهد أمن عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وأنه إذا كان يوم القيامة فتح من قبره باب إلى الجنة، يدخلها من غير حساب(١).

كما استنكر الكسروي فتوى الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء بجواز نبش وإخراج الميت كله أو بعضه لنقله إلى أرض كربلاء أو النجف، ويؤكد الشيخ جعفر رأيه بقوله: "ولولا قيام الإجماع و السيرة على عدم وجوبه لقلنا بوجوبه في بعض الحال"(٢).

كما ينقل الكسروي فتوى الملا محمد علي الاردوبادي(٣) بجواز كسر عظم الميت ووضعه في كيس صغير من أجل إخفاء الجنازة عن موظفي الجمارك، ويقول: "إن نقل الجنائز أمر قريب الوجوب"(٤).

ولا شك بأن ما استنكره الكسروي في محله، لأن الإسلام جاء بما يحفظ للإنسان كرامته حياً وميتاً، ومنها أنه قد نهى عن إيذاء الميت كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم"كسر عظم المؤمن الميت ككسره حيا"(٥).

---

(١) المرجع السابق ١٥٠

(٢) المرجع السابق ١٥١

(٣) لم أجد له ترجمة، ولكن قال الكسروي بأنه منن معاصريه.

(٤) المرجع السابق ١٥١ نقلا عن كتاب الدعاة الحسينية للاردوبادي.

(٥) رواه أبو داود (٣/٥٥٤) ابن ماجه (١/٥١٦) أحمد (٦/٥٨، ١٦٨)

المطلب الرابع:
رأيه في عقيدة الإمامية في الإمامة

تناول الكسروي الحديث عن عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية بشكل واضح، ويمكن أن نلخص ذلك بما يلي:

أولا: الخلافة بالشورى وليست بالنص.

يرى الكسروي بأن منصب الخليفة عند المسلمين يثبت بالشورى وليس بالنص، ويعتبر الكسروي قول الإمامية بأن الإمام لا يكون إلا بالنص الإلهي جاء في سياق التطور الإمامي الذي انتهى بانفصال الشيعة عن جماعة المسلمين، وانتكاس الشيعة من قواد للثورات في العصور الأولى إلى جماعة معتزلة للجهاد والإصلاح فترة طويلة من التاريخ(١).

ويرى الكسروي بأن لفظ "الإمام" كان يشير في عرف المسلمين إلى من يتقدم على الآخرين ليقودهم أو يرشدهم، وأن المسلمين كانوا يسمون الخلفاء والفقهاء أئمة بهذا الاعتبار، حتى استحدث بعض الشيعة للإمام مفهوم النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم والقول بالنص(٢).

وقد ناقش الكسروي أشهر أدلة الإمامية مبيناً أن قولهم بأنهم في سبيل تقرير قولهم أوجبوا على الله تعالى أن يجعل إماماً؛ قائلاً: "وليس للناس أن يسنوا على الله سنة ويكلفوه بها"(٣).

---

(١) انظر:التشيع والشيعة ٥٢

(٢) انظر: المرجع السابق ٥١

(٣) المرجع السابق ١١٠

كما بين أن قوله تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ))[النساء٩٥] تدل على نقيض ما يريد الإمامية، وهو وجوب طاعة من تولى من المسلمين ممن اختاره المسلمون لدخوله في قوله (منكم) ويسأل الكسروي:لِمَ لَمْ يُسمِ الله علياً فتكون الآية صريحة لا تحتمل الخلاف؟"(١).

كما أن قوله تعالى: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ..))[المائدة٥٥] التي تسمى آية التطهير، لا تدل على القول بالإمامة في نظر الكسروي، لأنه يكذّب سببَ النزول الذي تستدل به الشيعة الإمامية، ولأن الآية في نظره وردت بلفظ(الذين) وهي صيغة جمع لا تصلح أن تكون في واحد(٢).

ويرى الكسروي بأن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت مولاه فعلي مولاه) لا تعلق له بالإمارة والخلافة، وكل ما فيه أنه أمر بالتوصية بالولاء لعلي رضي الله عنه(٣).

رأي الكسروي في أدلة عقيدة الإمامة.

١. عدم تنصيص القرآن على اسم علي(٤).

٢. اجتماع الصحابة على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه.

حيث يستبعد الكسروي أن يجتمع الذين حموا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وناصروه ونشروا الدين من بعده على التخلي عن الإمامة لو كانت من حقائق الدين.

---

(١) انظر:المرجع السابق١١١

(٢) انظر:التشيع ١١٢-١١٣.

(٣) انظر: التشيع ١١٣.

(٤) انظر: التشيع ١٠٩

كما يتساءل الكسروي: أي نفع كان لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟(١).

٣. قول علي رضي الله عنه: (إنما الشورى في المهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً فهو لله رضىً"(٢).

٤. عدم ذكر الحسن رضي الله عنه أي نص على إمامته في جميع رسائله التي أرسلها لمعاوية(٣).

٥. ذب أحد أكبر العلويين وهو زيد بن علي(٤) عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما(٥).

٦. تأييد كثير من العلويين لبعض الخارجين على بني أمية والعباسيين، مثل تأييدهم للنفس الزكية وغيره ممن سبق عرضهم(٦).

٧. موت الحسن العسكري-وهو الإمام الحادي عشر- بلا عقب(٧).

والخلاصة هي أن الكسروي يرى بأن الإمامة التي يعتقدها الإمامية لا تدل عليها النصوص، وأن إيجاب وجود الإمام عقلاً هو من الإيجاب على الله وهو مما لا يليق بالبشر أن يتفوهوا به، وأن الرأي القائل بأن الإمامة بالشورى هو الموافق للقرآن وكلام علي ومواقف كبار العلويين.

---

(١) انظر:التشيع ١١٤.

(٢)انظر: التشيع ١١٥

(٣) انظر التشيع ١١٥

(٤) سبقت ترجمته ص ٥٦

(٥) انظر التشيع ١١٥

(٦) انظر فيما سبق ١٤٤

(٧)انظر التشيع ٦٩

المطلب الخامس: رأيه في المهدي

لم يوافق الكسرويُّ المذهبَ الإمامي على القول بولادة محمد بن الحسن الذي تعتقد بأنه المهدي، بل ذهب إلى تأييد القول بأن الحسن مات بلا عقب، وأن عثمان بن سعيد السيمري -وهو أول النواب- هو أول من ادّعى وجود الابن المخفي(١).

ويذكر الكسروي بأن موت الحسن العسكري بلا عقب أحدث انقساماً كبيراً في ذلك الوقت.

غير أن الكسروي ذهب إلى إنكار فكرة المهدي من أصلها؛ معللاً ذلك بأنه من موروثات الزرادشتية(٢) التي دخلت إلى الفكر الإسلامي عن طريق الفرس الذين أسلموا، وهذا ما سيتم نقاشه-بإذن الله- في مبحث الملاحظات على الكسروي.

المطلب السادس: عقيدته في الصحابة

اتجه الكسروي اتجاهاً حسناً في نظرته إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مصرّحا بمخالفتة لمذهب الإمامية في هذه المسألة ، حيث عدّ القدح في الصحابة من أقبح الأعمال، فقال : "وبلغ منهم المعاداة إلى أن صاروا يبغضون سائر أصحاب النبي صلى

---

(١) التشيع ٦٨

(٢)ديانة تأسست في بلاد فارس في القرن السادس قبل الميلاد علي يد زرادشت بن يورشب، وتسمى المجوسية لأن قبيلة المجوس من الفرس هم أول من تبع الزرادشتية، ومن عقائدهم: الإيمان بإله النور والخير (أهورامزدا)وإله الشر(أهرمان) المؤمنون يجب عليهم نصرة إله الخير، والنار مظهر من مظاهر إله النور ولذا يعبدونها، ويؤمنون بالنبوات وبالآخرة. انظر: موسوعة الأديان ٢٧٩-٢٨١، وكتاب الصابئة والزرادشتية للدكتور أسعد السحمراني ٤٣-٦١

الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، وينسبونهم إلى الارتداد بحجة أنهم كانوا قد بايعوا الخلفاء الثلاثة.." ثم يرد الكسروي على الإمامية فيقول"ولا ريب أن ذلك من أشنع أعمالهم، فإن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار صدّقوا النبي حين كذّبه الآخرون، ونصروه بأقوالهم وأنفسهم فكانوا كراماً عند النبي صلى الله عليه وسلم ولاسيّما الشيخين"الصديق والفاروق"، وما نسبوه إليهم من مخالفة وصية النبي ونزع الخلافة من يد علي وغير ذلك فلم يكن إلا زوراً وبهتاناً.."(١).

كما يبين الكسروي بأن مكانة أبي بكر وعمر عنده بقول: "إن الشيخين لما وليا الخلافة سارا بالمسلمين أحسن سيرة، وأبديا من السياسة والعدالة والتقوى ما قد حفظه التاريخ، وراج الإسلام في زمنهما كثيراً، فمن الشناعة أن يقدح أحد فيهما أو يجوز اللعن عليهما، أو ينسبوا إلى الارتداد إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم قد بايعوهما"(٢).

غير أن الكسروي مع تزكيته للصحابة، وما أبداه من الاحترام للمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، إلا أنه قد خلط ذلك بشيء من التهم والنقائص التي كان يظن وجودها في بعضهم، وهذا ما سنقف معه بشيء المناقشة في الملاحظات بإذن الله.

---

(١) التشيع ١٣٧

(٢) التشيع ١٣٧-١٣٨. وانظر: ٨٩، ١١٤.

المطلب السابع:
موقفه من الخرافة

انتقد الكسروي كثرة الخرافات التي تنتشر في كتب المذهب الإمامي باسم المعجزات أو الفضائل.

وقد مثل الكسروي لتلك الخرافات بما يلي:

١. القول: بأن الشيعة خُلقوا من طينة خاصة(١).

٢. العلاقة الحميمة بين الأئمة والجن.

وفي هذا السياق يمثل الكسروي بكثرة الروايات التي تخبر أن الأئمة كانوا يكلمون الجن ويتعاونون معهم، مثل خبر مجيء ملك الجن"زُعفر"مع جنده يوم كربلاء لنصرة الحسين وامتناع الحسين من الإذن لهم في الحرب معه(٢).

كما يشير الكسروي إلى جانب آخر، وهو ما يروى من الأساطير التي تبين العلاقة بين الأئمة والحيوانات، مثل القصة التي تذكر أن لبوة وشبل وذئبة دخلوا على علي رضي الله عنه في المسجد وحوله أصحابه ، فكلمهم بكلام لم يفهمه أحد، فسأل عمر : لما أتت هذه السباع وما كانت تريد؟ فقال علي : إن الأسد لم يعش لها شبل، فجاءتني تلتمس العمر لشبلها الذي ولدته أخيرا، فأجبت ملتمسها، وأمرت الذئبة بحضانة الذئبة بحضانة الشبل وتربيته، فإن اللبوة قد دنا أجلها وستهلك بعد أيام.

فلما سمع عمر ذلك حدثته نفسه أن يرسل إلى محل الأسد ليرى أتموت الأسد أم لا؟ فعلم علي بما ينوى بغضاً وحسداً، ولكي يثبته في نيته قال: يجب أن ترسل رجلا لكي يدفن الأسد. فقال عمر: وهل يدفن السبع؟. فقال علي: نعم لأنها كانت من شيعتنا. ومضت على ذلك أعوام حتى صار الإمام خليفة وسار إلى الكوفة، ففي يوم

(١) انظر: التشيع ١٣٥. وانظر الكافي ٢/٤. بحار الأنوار ٢٥/١٢-١٣.

(٢) انظر: التشيع ١٣١

بينما كان في المسجد إذ بذئبة وأسد دخلا ووقفا أمام الإمام، فقالت الذئبة: يا أمير المؤمنين، جئت لأردّ الأمانة، فإني ربيت الشبل الذي أمرتني بحضانته وها هو أسد رئبال، فشكرها الإمام، ثم كلم الأسد وأسر إليه بأسرار(١).

وهذه القصة وأمثالها من الخرافات والاساطير التي لا تمت لحقيقة بصلة، ولذا أنكرها الكسروي ، وهي بلا شك مما يجب أن يتره عنه الدين الإسلامي.

المطلب الثامن :
موقفه من المآتم وما يصاحبها من الأعمال

يعد الكسروي إقامة المآتم وما يصحبها من رفع الأصوات بالنحيب والعويل وضرب الصدور والرؤوس من الأمور القبيحة البعيدة عن الإسلام الصحيح.

ويقول الكسروي:" مما لا ريب فيه أن الحسين قتل مظلوما مخدوعا، ولكن أي جدوى لتكرار البكاء والنحيب وإقامة المآتم عليه بعد مضي ألف وثلاثمائة عام؟؟"(٢).

كما يبين الكسروي وجهة نظره في تلك الراويات التي يرويها الإمامية عن بعض الإئمة في فضل البكاء على الحسين نحو قولهم: "من بكى أو تباكى وجبت له الجنة"(٣)، فبين الكسروي أنها روايات باطلة(٤) .

كما نبه الكسروي على حقيقة وهي أن ما يردد في مجالس العزاء الحسينية هي مما يغذي الأحقاد على أهل السنة من خلال تصويرهم بصورة الراضي عن مأساة الحسين رضي الله عنه(٥).

---

(١) التشيع ١٣١

(٢) التشيع ١٤١

(٣) بحار الانوار ٢٨٨/٤٤.

(٤) التشيع ١٤٣

(٥) التشيع ١٤٢

المبحث الثالث
موقف الإمامية من الكسروي

المؤيدون للكسروي

يتحدث بعض المعاصرين للكسروي عن الضجة الكبيرة التي أحدثتها أفكاره القوية التي كان يطرحها في مجلة"بيمان"(١)، ثم في جريدة "برجم"(٢)، ومن ثم انتقل الكسروي لتقديم أفكاره في مجموعة من الكتب.

وقد وجدت الآراء التي يدوا لها الكسروي صدى كبيرا بين المثقفين وفئة الشباب بالذات، وهم الذين وصفهم أحد معاصري تلك الفترة بقوله: "فأحاط به الآف منهم، وقاموا بنصرته، وبث آرائه، ونشر كتبه، وأخذوا على عاتقهم حراسته من كيد أعدائه"(٣).

كما أن الكاتب نجاح محمد علي يقول: "ويعرف بأن قلمه واسلوبه في الكتابة سحر الشباب في تللك الفترة"(٤).

وقد انتشرت أفكار الكسروي حتى وصلت إلى بعض الأقاليم المجاورة، ولعل سبب تأليف كتاب التشيع والشيعة يكشف عن شيء من هذا، وهو أن شابا كان من عائلة إيرانية تقيم في الكويت انحاز إلى أفكار الكسروي، فأخذ ينشر أفكاره، ويتحدث بها بين شيعة الكويت، فقام بعض الكويتيين بالكتابة إلى الكسروي طالبا منه أن يكتب لهم أفكاره بالعربية ليعرفوها، فكتب كتاب التشيع والشيعة في أسبوعين(٥).

---

(١) وهي مجلة شهرية فارسية ظلت تصدر في حياة الكسروي لمدة سبع سنوات، ثم منعت.

(٢) وهي صحيفة يومية فارسية صدرت في حياة الكسروي لمدة أحد عشر شهراً ثم منعت.

(٣) انظر مقدمة كتاب التشيع والشيعة للكسروي-المقدمة من وضع إدارة صحيفة برجم الفارسية.

(٤) صحيفة الزمان. ٢٠٠٢/١/١ (مقال :استنساخ الحضارات في إيران)

(٥) انظر: التشيع ٢٦-٢٧

خصوم الكسروي.

وقف أمام الكسروي فئات متعددة، منها فئات متدينة وجدت في أفكار الكسروي تجديداً لبعض المفاهيم التي تنافي كثيراً من أسسها.

كما كان في صف المعارضين له فئات تتبنى النحلة الفلسفية، كالمتعصبين لعمر الخيام وغيره، لأنهم وجدوا الكسروي يعارض الصيغ الفلسفية التي عقّدت الدين وأخرجته عن روح الإسلام(١).

وقد سجّل الكاتب يوسف عزازي رأي الاتجاه التقليدي في الوسط الإيراني حين صنّف الكسروي بأنه "علماني قومي"(٢)، وأما الكاتب علي آل محسن فقد ذكر وجهة نظر أخرى هي أن الكسروي "كان متحررا من كل قيود الدين ، و لم يكن ضد مذهب الشيعة وعقائده فحسب ، بل كان ضد الدين ومبادئه ، وقد حمل على التشيع بما هو دين لا بما هو مذهب مخصوص ، ولهذا لم يظهر منه أي ميل لمذهب أهل السنة أو غيره من المذاهب الإسلامية ، بل قام بتأييد الحزب الشيوعي في إيران.."(٣).

وقد رأى خصوم الكسروي أن أخطر ما صنعه الكسروي هو فتح الباب للطعن في الحوزة العلمية وأفكارها ، وهذا ما يؤكده يوسف عزازي بقوله: "إن أهمية كسروي لم تأت من إنشائه دينا جديدا بل من بحوثه وكتاباته التي أثرت علي أجيال مختلفة، إذ فقد حياته بسبب نقده اللاذع لمؤسسة علماء الدين الشيعة وأدائهم التاريخي."(٤)، ومما يزيد الأمر

---

(١) انظر: التشيع ٢٦

(٢) انظر: جريدة (الزمان) العدد ١٣٨١ التاريخ٤/١١/ ٢٠٠٢ ، مقال: المثقفون في إيران بين الدين والعلمانية - نشاط حذر للعلمانيين تحت ستار اصلاحي واهن
http://www.ahwazstudies.org/arabic/azizi١٥.htm

(٣)كتاب لله ثم للحقيقة لعلي آل محسن ٢٩/١ تجد الكتاب على موقع شبكة الشيعة العالمية
http://www.shiaweb.org/books/llah_llhaq/pa٣.html

(٤)انظر: جريدة (الزمان) العدد ١٣٨١ التاريخ ٢٠٠٢ - ١١ - ٤ ، مقال: المثقفون في إيران بين الدين والعلمانية - نشاط حذر للعلمانيين تحت ستار اصلاحي واهن

وضوحاً هو أن كتاب "كشف الأسرار" للخميني هو في الحقيقة رد على كتاب "أسرار الألف عام للكسروي"(١)، وقد وإن كان الخميني لم يسم الكسروي باسمه إلا أنه وصفه بالخبيث لأنه دعا الناس إلى يوم إحراق كتب الأوراد ككتاب مفتاح الجنان وغيره(٢).

هؤلاء هم أبرز خصوم الكسروي. والله أعلم.

---

http://www.ahwazstudies.org/arabic/azizi١٥.htm

(١) انظر: http://www.alwelayah.net/shuhda/sierah/iran/.٢١htm

(٢) انظر: كتاب تفسير البسملة للخميني ٧٧

http://www.alquran-network.net/tafsirbook/tafsirbasmallah.htm

المبحث الثالث:
أبرز الملاحظات على الكسروي

من خلال ما مضى يتبين أن الكسروي قام بثورة فكرية في وقت مبكر من القرن الأخير، ونحن وإن كنا نثمّن له رجوعه عن كثير من الباطل، وشجاعته في بيان الحق، إلا أن هذا لا يعفينا من ذكر أخطاء بارزة وقع فيها الكسروي غفر الله له، نتيجة لأمور:

١. إفراطه في الاعتماد على العقل.

٢. أثر ردة الفعل تجاه الانحراف الكبير الذي رآه في مجتمعه.

٣. أثر ردة الفعل للأفكار الدخيلة على إيران، ومنها الإلحاد والمادية.

٤. قلة علمه في جوانب مهمة.

وهذا ما يدفعنا للتنبيه على أبرز الملاحظات التي وقع فيها الكسروي:

أولا: بناء تصورات خاطئة عن بعض الصحابة.

سبق أن مر معنا موقف الكسروي من قدح الإمامية في ديانة أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سلم بما يصل إلى اللعن والحكم بالردة عليهم.

ومع أن الكسروي يثني على ديانة الصحابة ويذكر لهم جهادهم ونصرهم للنبي صلى الله عليه وآله سلم، إلا أنه تبنى مواقف خاطئة و تصورات مغلوطة عن بعض خيار الصحابة.

وعلى سبيل المثال: يتبنى الكسروي القول بأن عثمان رضي الله عنه كان كَلِفاً بأقاربه، وأنه ضعيف الرأي، وأن أقاربه من بني أمية قد استحوذوا عليه، وعدلوا به عن محجة العدل(١).

كما تبنى الكسروي القول بأن عائشة كانت تحسد علياً ، وأنها كانت توغر الناس عليه لذلك(١).

---

(١) انظر: التشيع ٣٢

كما أنه يطرح فكرة أن علياً كان لا يعرف السياسة والتدبير. ويحاول تبرير ذلك باختلاف الأمور على علي رضي الله عنه(٢).

وكذلك يصف الكسروي طلحةَ والزبيرَ بأنهما نكثا بيعتهما لعلي رضي الله عنه(٣).

ويزعم الكسروي بأن الحسن بن علي رضي الله عنه بُويع دون أن يُشاور ويُمحص، وأن الذين بايعوه قضوا على أنفسهم لأن الحسن في نظر الكسروي "كان ضعيف الرأي. يحب راحة نفسه، ويصعب عليه تحمل أعباء الأمور"(٤).

ولهذا يمتدح الكسروي الذين عارضوا الحسن عندما تنازل لمعاوية بالخلافة(٥).

كما أنه يذكر أن معاوية قد أسلم كرهاً، ويقطع بأنه لم يكن مؤمناً بالنبي، وأنه أمر بلعن علي من فوق المنابر(٦).

ويؤكد الكسروي أن ذِكْرَه لهذه التهم، لا تلغي جهاد هؤلاء ولا الطعن في إيمانهم،-باستثناء معاوية الذي يطعن في أصل ديانته.

ولو ذهبنا نفتش عن السبب الذي دفع الكسروي لمثل هذه التهم، فإننا لن نجد إلا تصديق الروايات التاريخية الضعيفة التي تنتشر في وسط الشيعة بدرجة كبيرة بحيث يوحي استفاضتها بصحتها.

والواجب أن نقول أننا نعلم أن الصحابة ليسوا معصومين من الوقوع في الخطأ، ولكننا لا نقبل أن ينسب لهم ما ليس فيهم زوراً وبهتاناً.

فعثمان رضي الله عنه لم يول من بني أمية إلا خمسة، وقد عزل منهم اثنين(١)، وأما الولاة الذين لا ينتسبون لبني أمية فهم ستة عشر واليا(٢)، فكيف يقال بأنه كان كَلِفاً بتولية أقاربه من بني أمية.

---

(١)انظر التشيع ٣٣

(٢)انظر التشيع ٣٦

(٣)انظر التشيع ٣٣

(٤)انظر التشيع ٣٧

(٥)انظر التشيع ٣٩-٤٠

(٦)انظر التشيع ٤١، ١٣٨

وعلي رضي الله عنه كان على درجة عالية من الفقه والفطنة والتدبير، إلى درجة أن عمر بن الخطاب كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبا الحسن(٣).

كما أن عائشة رضي الله عنها لو كانت تحسد علياً رضي الله عنه، لما روت فضائل علي رضي الله عنه ومن أعظمها حديث الكساء كما في صحيح مسلم(٤).

وأما طلحة والزبير رضي الله عنهما فلم ينكثا بيعتهما، وإنما خرجا مع عائشة للمطالبة بقتل قتلة عثمان، فلما أوضح لهما القعقاع-رسول علي إليهم- رأي علي في تهدئة الفتنة ثم السعي في القصاص مالوا إلى رأي علي رضي الله عنهم جميعاً، ولكن الخوارج أثاروا القتال الذي كان يكرهه علي وعائشة وطلحة والزبير، حتى لا يجتمع الصحابة عليهم(٥).

---

(١) ولى عثمان خمسة من بني أمية، هم: معاوية، وعبد الله بن أبي السرح، والوليد بن عقبه، وسعيد ابن العاص ، وعبد الله بن عامر، وقد عزل عثمان الوليد، وولى مكانه سعيد ثم عزله أيضا. انظر حقبة من التاريخ ٦٩.

(٢) وهم: أبو موسى الأشعري، والقعقاع بن عمرو، وجابر المزني، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السلمي، وحكيم بن سلامة، والأشعث بن قيس، وجرير البجلي، وعتبة بن النهاس، ومالك بن حبيب، والنسير العجلي، والسائب بن الأقرع، وسعيد بن قيس، سلمان بن ربيعة،خنيس بن خبيش. انظر حقبة من التاريخ ٦٩

(٣) الإصابة في حياة الصحابة لابن حجر٧/٥٩.

(٤) رواه مسلم ٧/١٣٠

(٥) ذكر ابن كثير أن عائشة سألت القعقاع: ماذا تقول أنت؟ فقال: إن هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا-أي أُخذوا-[أي قتلة عثمان]، فإن أنتم وافقتمونا فعلامة خير، وتباشير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أنتم أبيتم إلأ مكابرة هذا الأمر واعسافه كانت علامة شر، وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا لبلاء فتتعرضوا له فيصرعنا البلاء وإياكم، وأيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه...فقالوا[أي عائشة وطلحة والزبير] قد أصبت وأحسنت فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك فقد صلح الامر. فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضي من

كما أن الحسن رضي الله عنه قد بويع بعد أن صلى على أبيه برضى الناس، ويدل عليه ما جاء أن ابن عباس هو من دعا الناس إلى بيعة الحسن، وقال لهم: (إن أمير المؤمنين توفي وقد ترك لكم خلفاً فإن أحببتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد على أحد) فبكى الناس وقالوا : بل يخرج إلينا[1]. وكان أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة-وكان والي علي على أذربيجان- ولكن الحسن لم يكن محبّاً للقتال، ويميل إلى جمع كلمة المسلمين. ولما كان الحسن بظاهر المدائن، قُتل قيس بن سعد. فثار الناس في النهب. وجرح الحسن. فلما رأى الحسن تفرق جيشه عليه مقتهم، وكتب عند ذلك لمعاوية، فتم التنازل لمعاوية، وسمي ذلك العام عام الجماعة، وكان الأجدر بالكسروي أن يمتدح الحسن رضي الله عنه على ما حصل على يده من حقن الدماء، وجمع كلمة المسلمين، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)[2]، ولأنه بلا شك من الخلفاء الراشدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم : (الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا)[3]. وإنما اكتملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه لأنه تنازل لمعاوية في أول ربيع من سنة إحدى وأربعين، وهذا تمام الثلاثين من موت النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما معاوية فيكفي أن يقال بأن الحسن ما كان ليضيع الأمة ويتنازل بالخلافة لرجل مطعون في ديانته.

وبالعموم فإننا وإن كنا لا نعتقد العصمة في الصحابة جميعا، إلا أننا لا يمكن أن نقبل أن يطعن بهم أحد بالباطل، كما أننا نتوقف عن ذِكر مساؤهم وعيبوهم إجلالا

رضيه.

وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء...إلى آخر الخبر. انظر البداية والنهاية ١٠/

(١)شرح نهج البلاغة ٨/٤، مروج الذهب ٤٤/٢

(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٤٦) (٧١٠٩). وأحمد(٣٧/٥-٣٨)

(٣) رواه أحمد ٢٢٠/٥-٢٢١. أبوداود رقم ٤٦٤٦. والترمذي رقم ٢٢٢٦. وابن حبان ١٥٣٤.

لأمر نبينا صلى الله عليه وآله سلم ونهيه عن الوقيعة بهم، وتقديرا لمنزلتهم وجهادهم في سبيل نشر الدين والذود عنه، بل نستغفر لهم ونسأل الله أن يُسلّم قلوبنا نحوهم كما قال تعالى: ((وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾))[الحشر ١٠].والله أعلم

ثانيا: تصوره الخاطئ عن بعض أئمة آل البيت.

من أبرز الملاحظات على الكسروي أنه يقدم تصوراً مغلوطا عن بعض سادات آل البيت، ولعل سبب ذلك تصديق الكسروي لكثير مما نسب إليهم من الروايات المكذوبة.

وعلى سبيل المثال : يعد الكسرويُّ الأمامَ الصادق هو المؤسس لفكرة النص على الإمامة، وأنه أول من نسب علم الغيب للأئمة، وأنه مخترع القول بالولاية التكوينية، وأنه لولا الأئمة لساخت الأرض ، وغيرها من مظاهر الغلو.

ويخلص الكسروي إلى نتيجة مفادها: أن الصادق أحدث محدثات كثيرة، وأن التشيع-في معناه الإمامي- إنما هو من مبتدعاته. كما يتهم الكسروي الصادق بأنه كان صاحب أهواء وأغراض وأنه حاول إفساد الأمر على النفس الزكية لما خرج على المنصور.(١)

كما ينسب تهمة الابتداع أيضا للإمام موسى الكاظم وعلي الرضا(٢).

وبطلان هذه التصورات عن جعفر الصادق وموسى الكاظم وعلى الرضا وغيرهم واضح، إذ لم يكن هؤلاء كما تصوّرهم روايات الغلاة والكذابين، بل كانوا على جادة الحق، ويكفي في براءتهم لاسيما الصادق رسائله التي كتبها للأمصار يذم فيها الذين يكذبون عليه، ويعلم براءته منهم كما سبق.

---

(١) انظر:التشيع ٤٦-٥١

(٢) انظر: التشيع ٦٥-٦٦

وقد قال ابن تيمية: "جعفر بن محمد من أئمة الدين باتفاق أهل السنة"(١).

كما حكى ابن تيمية أن جعفرا وكثيرا من سادات آل البيت من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمان والتقوى وأنهم بريئون مما نسبه لهم الغلاة(٢).وقال أيضا: "ما كُذب على أحد ما كذب عليه"[يعني جعفر الصادق](٣).

ونتيجة لسوء ظن الكسروي بالإمام الصادق ومن بعده من الأئمة، فقد ذهب إلى تحليلات وتفسيرات خاطئة لبعض الأحداث؛ منها: أنه تأوّل قولَ جعفر الصادق لأهل المدينة لما أخبروه بنية الخروج مع "النفس الزكية" فقال لهم الصادق: "لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد" فقد رأى الكسروي أن الصادق أراد بهذا العذر أن يُخفي عن العلويين رأيه في الإمامة ويبرر به تخلفه(٤).

ولو تعقّل الكسروي وأحسن الظن بالإمام لوسعه أن يقول بأن الصادق أبدى رأيه في توقيت الخروج، أو أنه رأى أن الخروج لن يزيد إلا من التسلط وزيادة الظلم على آل البيت، ولعل الأول أقرب لأن ابن خلدون ذكر أن الصادق وأبا حنيفة كانا يريان أن بيعة النفس الزكية أصح من بيعة المنصور(٥)، ولأنه ترك اثنين من أبنائه (وهما موسى وعبدالله) يشاركان مع النفس الزكية، مع أن محمداً (النفس الزكية) أراد إعفاءهما لكن جعفراً أصرّ على ذلك(٦)، وروى الأصفهاني أن الصادق بكى بعد مقتل النفس الزكية

---

(١) منهاج السنة النبوية٢/٢٤٥

(٢) المرجع السابق٢/٤٦

(٣) المرجع السابق٢/٤٦٤

(٤) التشيع ٦١.

(٥) انظر:تاريخ ابن خلدون(٣/١٩٠). وروى الطبري أن الإمام مالك استفتي في الخروج مع محمد وقيل له:إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين. فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته. تاريخ الطبري(٤/١٥٧٩).

(٦) انظر: تاريخ ابن الاثير د/٢٥٥-٢٥٧. مقاتل الطالبيين ٢٢٣

وأخوه إبراهيم وقال: "رحم الله ابني هند(١) إنهما إن كانا لصابرين كريمين، والله لقد مضيا ولم يصبهما دنس".

ومع أنه قد جاء أن الصادق استأذن النفس الزكية في عدم الخروج إلا أنه قال بعد موت النفس الزكية: "ما آسى على شيء إلا على تركي إياهما لم أخرج معهما[يعني النفس الزكية وأخاه إبراهيم]"(٢).وكل هذا مما يزيدنا تفنيدا لمزاعم الكسروي غفر الله له.

ثالثا: قوله في المهدي

يميل الكسروي إلى نفي فكرة المهدي من أساسها(٣)، ويعدّها من خرافات الزرادشتيه(٤) التي نقلها الفرس الذين أسلموا معهم للمسلمين.

وظاهر أن الكسروي تجاهل كل النصوص الواردة، ولم يتعرض لها بالتصحيح أو التضعيف، وبنى فكرته على أساس النفي، ثم أتى بتحليله لطريقة دخول الفكرة إلى الساحة الإسلامية.

وعلى هذا يسع أي أحد أن ينفي أي شيء لا يروق له من الدين ثم يتعلل بأنه من الثقافة المشتركة بين المسلمين وأي ديانة أخرى، وهذا أسلوب ساقط في الإثبات والنفي، لأن جميع الناس يملكون نسبة من الحق مع تفاوت فيها، إذ لا يوجد أحد يمثل الباطل المطلق في كل آراءه أبدا، وكفى بإبليس شاهدا فإنه يقر بربوبية الله واستحقاقه التعظيم وأنه المتصرف في الأمور؛ بدلالة إعراضه عن القسم بغير الله في قوله: ((فبعزتك لأغوينهم..))، وطلبه حاجته من الله حين قال: ((أنظرني إلى يوم يبعثون))، فكيف يقال بمن هو أقل شرا من إبليس.

---

(١) يعني والدة النفس الزكية، وهي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن المطلب ابن أسد بن عبدالعزى بن قصي. انظر مقاتل الطالبيين ٢٠٦

(٢) مقاتل الطالبيين ٢٢٣

(٣) انظر فيما سبق ص ٢٢١

(٤) يؤمن الزرادشتيه بظهور "ساوشيانت"أو "أشيزريكا" وهو الرجل المخلص في آخر الزمان. انظر موسوعة الاديان(دار النفائس)٢٨٠

وهكذا اليهودية والنصرانية بل والبوذية وغيرها تتضمن كتبهم الدعوة إلى بعض الحق، فلا يسوغ أن يرد ذلك الحق إذا وافق شرعنا.

وكذلك يقال مع الزرادشتيه، فإننا إذا تجاوزنا مسألة المهدي نجدها تقر في عقائدها بالنبوات ،وبنهاية العالم، وبالمعاد الأخروي(١)، فلا يسوغ أن نرد شيئاً لكونه من شرائع الزرادشتية، بل يقال: ما ثبت في شرعنا أثبتناه وقطعنا به بحسب قوة ثبوته، ثم إن موافقة بعض الملل لنا فيه مما يستأنس به فقط.

وهكذا يقال في مسألة المهدي؛ إنّ من ردّ الأحاديث ورآها غير ثابتة سنداً، أوردنا له حكايةَ كثيرٍ من أهل العلم التواترَ المعنوي على ذلك وناقشناه بكل موضوعية(٢)، فيلزمه تفنيد حكاية الثبوت أو التواتر، وإلا لزمه قبول ذلك والإيمان به.

رابعا: إنكاره نزول عيسى عليه السلام.

أنكر الكسروي نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، مشيراً إلى أن ذلك من معتقدات النصارى في المسيح(٣).

ولا يخفى أن أسلوب الكسروي هنا شبيه بأسلوبه في إنكار فكرة المهدي، إلا أن إنكاره لرفع عيسى عليه السلام ثم نزوله آخر الزمان أشد خطأ لأن ثبوت نزول المسيح لأنه آكد، لأنه ورد ذكره في النص القرآني، إضافة للأحاديث المتواترة(٤)، وأما المهدي فلم يرد في القرآن وإنما تكاثرت الأحاديث فيه حتى رأي كثير من أهل العلم تواترها.

---

(١) انظر: كتاب (الصابئة الزرادشتية اليزيدية) للسحمراني ٤٧-٦٢.وموسوعة الأديان(دار النفائس)٢٨٠

(٢) انظر حكاية بعض العلماء لتواتر أحاديث المهدي في كتاب"المهدي المنتظر"-رسالة دكتوراة- د.عبد العليم البستوي ٤٠-٥٩

(٣) التشيع ٢٥، ٤٦

(٤) انظر أقوال العلماء في تواتر نزول المسيح في كتاب "أشراط الساعة" للوابل٣٤٢-٣٥٤

يقول تعالى: ((ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون)) إلى قوله تعالى ((وإنه لعلم للساعة)) وفي قراءة ((وإنه لَعَلم للساعة))[الزخرف٥٧-٦١] قال القرطبي: أي علامة وأمارة على قيام الساعة(١).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله سلم: (والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب..)الحديث. رواه الشيخان(٢).

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله:"ونؤمن بأشراط الساعة ، من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء..."(٣).

وممن حكى تواتر نزول المسيح عليه السلام: الإمام الطبري(٤)، وابن كثير(٥)، وصديق حسن خان القنوجي(٦)، والغماري(٧)، ومحمد أنور شاه الكشميري(٨)، وغيرهم.

خامسا: نفي أن يكون للنبي معجزة غير القرآن.

ذهب الكسروي إلى نفي أن يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم معجزةً غير القرآن، فهو يقول:"فمما لا ريب فيه أن النبي لم يأت بمعجزة غير القرآن، وحق القول بأنه لم يكن يحتاج إلى معجزة (غير القرآن)...بيد أن المسلمين في الأزمنة المتأخرة لم يرضوا بما

---

(١) تفسير القرطبي ١٦/١٠٥

(٢) البخاري رقم ٣٤٤٨. مسلم رقم:٢٤٢

(٣) العقيدة الطحاوية ٣١

(٤) انظر:تفسير الطبري ٣/٢٩١

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٧/٢٢٣

(٦) انظر :الإذاعة ١٦٠

(٧) انظر :عقيدة أهل الاسلام في نزول المسيح عليه السلام ٥

(٨) انظر كتابه: التصريح بما تواتر في نزول المسيح.

قد رضي به نبيهم، ورأوا من الواجب أن يذكروا له معجزات كما ذكر لموسى، فجعلوا يضعون قصصا، ويخترعون معجزات، من شق القمر، والصعود إلى السماء..."(١).

وما ذهب إليه الكسروي خطأ لا يوافق عليه، لعله نتج عن الإفراط في تحكيم العقل، لأن ثبوت معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن جار مجرى التواتر إجمالا، كما أن بعض المعجزات المعينة ثابتة بالتواتر،ومنها:

- كالاسراء والمعراج: قال تعالى: ((سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝))[الإسراء ١]

فقد حكى الكتاني تواتر حديث الاسراء والمعراج، ونقل ذلك أيضا عن الحافظ العراقي(٢).

- حادثة شق الصدر النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في أحاديث كثيرة منها حديث أنس رضي الله عنه في صحيح مسلم(٣) وفيه : (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق قلبه..)الحديث.

وقد حكى تواتر هذه الحادثة ابن حجر والكتاني والقرطبي في المفهم(٤).

- انشقاق القمر، كما في قوله تعالى: ((ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝))[القمر ١]

وقد حكى تواتر انشقاق القمر كل من القاضي عياض، وابن عبد البر، والتاج السبكي، وابن حجر العسقلاني، والمناوي، والكتاني(١).

---

(١) التشيّع ١٣٣

(٢) انظر:نظم المتناثر ٢٠٧-٢٠٩

(٣) مسلم رقم ٢٦١

(٤) انظر: نظم المتواتر ٢٠٩-٢١٠

والخلاصة هي أن ما أنكره الكسروي ثابت، ورأيه في هذه المسألة بعيد عن الصواب.

سادساً: إنكاره الاستشفاء بالقرآن.

يرى الكسروي بأن الاستشفاء بالقرآن والدعاء من عصيان الله، والخروج عن أمره، وعن سبب اختيار هذا القول يقول الكسروي: "إن الله جعل لكل داء دواء، وقدر شفاء الأمراض في المداواة، ومما لم يكن ولن يكون شفاء الأمراض بالدعاء..."(٢).

ولعل التوجه العقلاني عند الكسروي هو الذي حمله على إنكار ما ثبت في الكتاب والسنة ، بل وحتى التجربة.

فإن الله تعالى قد قال: ((وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ))[الإسراء: ٨٢].

كما علم النبي صلى الله عليه وسلم أمته الاستشفاء بالرقى القرآنية وغيرها، في أحاديث كثيرة(٣).

والخلاصة هي أن الكسروي أراد أن يبين أن الإسلام جاء باتخاذ الأسباب، ولكنه أغرق في المحسوس، ونسي أن أقوى الأسباب الاستشفاء هو التوجه إلى الله تعالى بالدعاء وتلاوة كلامه على محل الداء.

وأخيراً:هذه أبرز الملاحظات على أحمد الكسروي، وهي أخطاء وقع فيها الكسروي إما من جهة علمية، أو من جهة اعتماده على العقل في الدفاع عن الإسلام، والمنصف يقدّر للكسروي اندفاعه في سبيل إلغاء الخرافة والغلو الذي كان سببا لتخلف المسلمين وتفككهم، لكن هذا لا يعني التغافل عن مثل هذه الأخطاء التي سبق التنبيه عليها، ولعل

---

(١) انظر نظم المتناثر ٢١١-٢١٢

(٢) التشيع ٢٤

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٤/١٦٨-١٨٨

قوة انتشار الخرافة والغلو مع عدم وجود كتب ممحصة في المذهب الإمامي قادته إلى رؤية خاطئة في توصيف العلاج.

ومهما يكن فإن جهد الكسروي يعدّ تجربة يجب أن لا تُهمل، لأن حياته وجهوده تكشف عن حقائق كبيرة، من أهمها أن الناس مهما أغلق عليهم بمغاليق الخرافة والغلو، فإن خروج بعضهم من أغلالها غير مستبعد، كما أن إنكار الكسروي لبعض المتواترات والأمور المشروعة، أمر قد يكرره بعض من يسعى إلى إخراج الناس من الأوضاع المتردية، فيميل إلى إلغاء بعض المفردات الشرعية التي اختلطت ببعض الانحرافات، وهو أمر يدل على أهمية العلم المبني على أصول صحيحة، وهذا ما كان ينقص الكسروي، والله أعلم.

الفصل الثالث:

محمد الياسري

المبحث الأول: ترجمته[1]

اسمه ونسبه:

محمد بن إسكندر الياسري، وكان أبوه يلقب بسيد كاظم، من أسرة اليواسر المعروفة التي يرجع نسبها إلى النسل العلوي.

نشأته:

ولد الياسري في أواخر الستينيات الميلادية الماضية في مدينة الحلة، ونشأ بها، وهذه المدينة وإن كانت لا تعد من المدن المقدسة لدى الشيعة ولكنها تعتبر من أهم المدن التي كان لها دور كبير في نشر التشيع بين قبائل الجنوب(٢).

وكان أبوه السيد إسكندر الياسرى معروفاً في مدينة الحلة وله احترامه بين الناس، كما كان الشيعة يقصدونه لكتابة الحجب وفك العقد وشفاء المرضى وهذا أمر شائع أوساط العراقيين في السادة الهاشميين.

تعلمه:

تعلم الياسري العلوم الحديثة حتى حصل على الهندسة وعمل بعدها في منشأة التصنيع الحربي.

كما أنه تعلم في الحوزة العلمية لمدّة لعدّة سنوات، تردد فيها على كل من "السيد حسين بحر العلوم(٣) وسماحة الشيخ بشير الباكستاني(١) وكذلك سماحة الشيخ الغروي وسماحة

---

(١) استفدت كثيراً من ترجمة الياسري من بعض المقربين منه قبل وفاته.

(٢) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث للنفيسي ٦٩.

(٣) من أبرز مراجع الشيعة المعاصرين، وقد توفي في النجف في ظروف غامضة في شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، ويتهم بعض الأطراف النظام البعثي في مقتله. انظر: ٢٠٠١/٦/٦-٢٤-٣. http://www.aljazeera.net/news/arabic/htm

الشيخ البرجوردي(٢)" (٣)، لكن من المهم أن نعلم أن الياسري لم يتعلم كثيرا في الحوزة العلمية إذ لم تدم مدّة تعلمه أكثر من سنوات كما يصرح بذلك بعض من يعرفه جيّداً، فليس من الموضوعية أن ندرس أفكار الياسري على أنه كان عالما إمامياً، ولا حتى من طلبة العلم المتقدمين في الطائفة، لكنه مثقف ديني دفعه تدينه وإخلاصه في حب آل البيت إلى أخذ شيء من العلم الجعفري، ثم ممارسة البحث بنفسه عن الحق، وهذا لا ينفي أن يكون كلامه نافعا فإن الحق يقبل من كل أحد.

مؤلفاته:

الذي وقفت عليه مما كتب:

١. مذهبنا الإمامي الاثني عشري بين منهج الأئمة والغلو
٢. المنهاج أو المرجعية القرآنية.
٣. القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة.

وفاته:

بعد أن نشط الياسري في إرشاد من حوله إلى ما تبين له من الآراء، تعرض لكثير من المضايقات والأذى، وقد كان حذرا جدا حتى أنه لم يكن ينام في غرفة لها نافذة-أخذا بأسباب التوقي من الاغتيال-، كما كان لا يسير إلا مسلّحاً، إلا أنه قُتل أخيرا على أيدي بعض المتعصبين أثناء رجوعه من صلاة الفجر بسيارة صهره، إذ أطلق عليه النار ثلاثة أشخاص، فمات رحمه الله تعالى مباشرة سنة ١٩٩٧م.

والوكالة الشيعية للأنباء :
http://www.ebaa.net/khaber/archev/khaber.htm٣١/khaber٠٣١

(١) أحد المراجع المعاصرين المقلدين في العراق.

(٢) هو أحد مراجع التقليد العراقيين، اغتيل في النجف سنة ١٩٩٨م عن عمر يناهز السابعة والستين. انظر: http://iraqcenter.com/esdarat/bayanat/archive.html٢/٣_

(٣) مذهبنا ٣.

المبحث الثاني: تحول الياسري

نشأ محمد الياسري رحمه الله تعالى من أول حياته وهو يدين بالولاء للأئمة على صورة هي أقرب ما تكون إلى الرجل العامي الشيعي منه إلى العالم الشيعي.

ومع أنه كان قد درس في الحوزة العلمية لسنوات قليلة، وأنه كان إماماً لجامع ويدرس الناس فيه، إلا أنه لم يكن يؤمن ببعض الاعتقادات الضالة التي يعتقدها الغلاة في المذهب، ليس عن قصد مخالفة لأحد، ولكن شأنه شأن كثير من العامة المقلدين الذين يقلدون بعض علماء المذهب، مع إحسان الظن بهم، معتقدين أنهم لا يخالفون منهج أهل البيت القائم على احترام القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

غير أن لقاء الياسري برجل من أهل السنة اسمه: (محمد بن حَجّي كريم) كان يعتبر بداية لمرحلة جديدة للياسري، ولأهميته فسأنقله عن الياسري-كما حكاه-كاملاً، فيقول:

"إن بداية كتابة هذا البحث[أي كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية[1]] كانت عن طريق حضوري مؤتمراً إسلامياً في بغداد التقيت فيه صديقاً قديماً وكان من أهل السنَّة بدأني بالسلام قائلاً: كيف حال السادة الياسرية قلت: الحمد لله وهل تعرفني؟ فقال: ألست سيد محمد ابن سيد كاظم[2] من حي الزهراء في النجف؟ قلت: بلى، ومن فضيلتكم؟ فقال: أنا محمد ابن حجي كريم جيرانكم في المنطقة عام ١٩٧٥، عرفته فقبَّلته وسألته عن حاله وأهله فقال: أنا مدرس وأنت أراك ترتدي العِمّة؟ فقلت: درست في الحوزة العلمية وأنا الآن إمام جامع وأدّرس الطلاب أيضاً. التقيت به عدة لقاءات في المؤتمر ثم دعاني إلى بيته في مدينة صدام في بغداد، كان متحمساً لدرجة الانفعال عندما يتكلم عن حال الأمة الإسلامية والمسلمين في الوقت الحاضر، يحمل هدفاً

---

(١) وهو أول أول خطوة للياسري نحو البحث بنفسه.

(٢) سيد كاظم هو اسم آخر لوالده السيد اسكندر مشتهر به في منطقته.

كبيراً وأمنية عظيمة وهي توحيد الأمة الإسلامية، وكان هذا أعظم ما أتمناه، قال لي: لكم يحزنني أن أرى المسلمين وفي العراق خاصة متفرقين بسبب تأثير أعداء الإسلام. قلت: لماذا لا يقوم علماء الدين الإسلامي في العراق أولاً بخطوة أولية للتقريب بين وجهات النظر ثم توحيد المسلمين على المدى البعيد؟ قال: بدأت بالأصعب. قلت: لماذا؟ قال: السبب في علمائكم ومراجعكم الذين أسسوا مذهبكم وشيدوه، فقلت: هذا اتهام باطل، إن علماءنا ومراجعنا يعتمدون على روايات أئمة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام بأسانيدهم الخاصة، فقال: لو توفرت شروط صحة رواية ما عن الإمام علي رضي الله عنه أو الحسن أو الحسين أو الباقر أو غيرهم من أئمة الإسلام لأخذنا بها وعملنا بها ولكن هذه الروايات مكذوبة وملفقة تنسب زوراً وبهتاناً إلى الإمام علي رضي الله عنه وذريته والدليل على أن هذه الروايات أكاذيب أن معانيها تخالف كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصول الدين الإسلامي وأن من أخرجها ورواها رجال يطعنون بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار بل وحتى بالإمام علي رضي الله عنهم وأن أصحاب المراجع والأصول المعتمدة تلقفوا عقائد عبد الله بن سبأ اليهودي وزادوها غلوا ثم نسبوها للإمام ولذريته صلى الله عليه وسلم وهم منها براء ونحن متأكدون من براءة الإمام علي وذريته رضي الله عنهم من هذه الروايات تماماً. فقلت له مهدئاً لانفعاله: إن كل من يريد أن يتعرف على عقيدة طائفة فلا بد له من أن يرجع إلى أمهات كتب تلك الطائفة ومراجعها وأصولها المعتمدة في الحديث والتفسير حتى يكون منصفاً في الحكم وعادلاً في الاستنتاج لأن عليها مدار عقائد تلك الطائفة، ولهذا السبب عليك أن تعكف على دراسة أمهات الكتب والمراجع المعتمدة عندنا نحن الشيعة الإمامية الاثني عشرية في الحديث والتفسير بأسانيدها عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام لأننا لا نقبل إلا كلام المعصومين الموجود في هذه الكتب، فقال لي: وهل درست أنت هذه المراجع والأصول المعتمدة عندكم وتأكدت من عدم وجود مطاعن بكتاب الله القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه وتلاميذه وأصحابه من المهاجرين والأنصار؟ فقلت له: الحقيقة لا ولكني سوف أبحث وأحقق فيها وأبرهن لك على أنك واهم وعلى خطأ كبير وأنه لا يوجد ولا دليل واحد على ما قلت وذكرت من وجود مطاعن في

أصولنا ومراجعنا المعتمدة بكتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو صحابته من المهاجرين والأنصار وسوف أقدم البحث هدية لك.. فقال لي اتفقنا... وهكذا بدأت أبحث بجد ونشاط تاركاً التعصب جانباً واضعاً أمام عيني الوصول إلى الحقيقة لا غيرها. في ليلة اليوم الذي قررت فيه المباشرة بالعمل بصدق وإخلاص رأيت في المنام جدي أمير المؤمنين عليه السلام يضع يده اليمنى على رأسي والطريق أمامي يشع نوراً عظيماً فاستيقظت مستبشراً وبدأت العمل نشطاً وكانت أول خطوة هي تجميع المصادر والمراجع والأصول المعتمدة في الحديث والتفسير، والحمد لله فقد كانت هذه المصادر موجودة في مكتبة السيد الحكيم قدّس الله سره..." (١).

ومن خلال ما ذكر الياسري يمكن اعتبار أهم الأسباب التي دفعته إلى المرحلة الجديدة ترجع إلى أمرين:

أولا: نقاشه مع ابن حجي.

ثانيا: رؤيته لعلي رضي الله عنه.

والحقيقة أن هذا الموقف الذي ذكره الياسري يحتوي على أمور يجب أن لا تمر دون تأمل واعتبار، وهي:

١. وجود حوار مباشر بين الياسري(الشيعي) وابن حجي كريم(السني)، وهذا الحوار ليس فيه تعرض لشخصية الآخر، بل فيه ضيافة واحترام.

٢. أن التطلع إلى"وحدة المسلمين" هي نقطة التقاء بين ابن حجي والياسري.

- فابن حجي "سنيّ" ارتسمت صورته في ذهن الياسري من خلال كلامه وأسلوبه بأنه "يحمل هدفاً كبيراً وأمنية عظيمة وهي توحيد الأمة الإسلامية".
- والياسري "شيعيّ" كان كما يقول: "وكان هذا أعظم ما أتمناه" يعني وحدة المسلمين.

(١) القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص ٥

وهذا ما يعني أهمية هذين المرتكزين في نجاح الحوار بين أبناء الأمة في الوصول إلى نتيجة حميدة، لاسيما غير المعاندين -كما سيأتي في الباب الثالث- .

٣. أن الياسري لم يكن يعلم بأن المذهب يطعن في القرآن أو يخالف التوحيد أو يكفّر الصحابة، مع أنه تردد على الحوزة العلمية، ويعيش في محيط شيعي متدين.

وإذا اعتبرنا الياسري عيّنةً "عشوائية"- كما هو في العرف الإحصائي- فإن النتيجة هي وجود شريحة قليلة أو كثيرة من هذا النوع في المجتمع الشيعي. وهو ما يدلّنا على خطأ من حكم بتعميم هذا القول على جميع الشيعة، والله أعلم.

المبحث الثالث: آراء الياسري

يقوم مشروع الياسري الإصلاحي وأفكاره التي سعى لتقديمها على أساس واحد، وهو بيان أن عقيدة الأئمة من آل البيت هي العقيدة الصحيحة الموافقة للقرآن الكريم، وأن في المنتسبين للأئمة من حرّف هذه العقيدة النقية قصداً، من خلال نسبة الروايات الباطلة لأعلام أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ولهذا اعتمد الياسري في توضيحه للاعتقاد الصحيح على بيان العقيدة الإسلامية كما دل عليها القرآن أولا، ثم مقارنة ذلك بما وافقها من الروايات عن الأئمة عليهم السلام، وبيان ما خالفها من الروايات المكذوبة عليهم(١)، وهو ما سيتضح من خلال ما يلي:

المطلب الأول:
مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

يرى الياسري بأن الله وحده هو المنفرد بصفات الربوبية التي وصف بها نفسه في القرآن، كالملك والرزق والخلق والنفع والضر وغيرها، كما يبين الياسري بأن الغلاة قد خلعوا بعض صفات الربوبية على الأئمة من آل البيت، ومن ذلك:

أ- نسبة علم الغيب

يبين الياسري بأن القرآن قد دل على أن الله وحده هو المختص بعلم الغيب(٢)، كما يرى بأن الأئمة عليهم السلام قد وافقوا القرآن على ذلك، بل وحاربوا كل

---

(١) انظر كتاب مذهبنا الامامي الاثني عشري بين منهج الأئمة والغلو للياسري ١٣

(٢) انظر هذه الآيات في كتاب: مذهبنا ٢٠، المنهاج٥٤.

فكرة تقوم على أساس نسبة علم الغيب إلى غير الله، ومن تلك الروايات التي يستدل بها الياسري[1]:

١. قيل لأبي الحسن عليه السلام: (إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب فقال: سبحان الله، والله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت، ثم قال: لا والله ما هي إلا رواية من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].

٢. عن أبي بصير قلت لأبي عبدالله عليه السلام: (إنهم يقولون، فقال الإمام عليه السلام: وما يقولون؟ قلت: يقولون: تعلَمُ قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء وقال عليه السلام: سبحان الله سبحان الله، والله ما يعلم هذا إلا الله)[3] .

٣. وعن أبي عبدالله عليه السلام: (عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الدار هي)[4].

وبهذه الآثار وغيرها يستدل الياسري على أن الأئمة قد وافقوا القرآن الكريم في بيان اختصاص الله بعلم الغيب، خلافاً للغلاة الذين يعتقدون بأن الأئمة يعلمون الغيب، كما في الروايات الأخرى التي مثل لها الياسري بما يلي[5]:

---

(١) انظر مذهبنا ٥٣-٥٤.

(٢) رجال الكشي/ ٤٩٢.

(٣) رجال الكشي/ ١٩٣

(٤) أصول الكافي ١/ ٢٥٧

(٥) مذهبنا ٨٠-٨١.

١. عن الإمام علي عليه السلام: (إن الله عرف الخلق اقتدار الأئمة عليهم السلام على علم الغيب من خلق ورزق وأجل وعمل وعمر وحياة وموت، وعلم غيب السموات والأرض)(١) .

٢. عن الباقر عليه السلام: (والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، إن الإمام ليعلم ما في يومه وشهره وسنته)(٢).

٣. عن أبي عبدالله عليه السلام: (إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما سوف يكون) (٣).

وهنا يصرح الياسري بموقفه من دعوى الغلاة مبينا أن ذلك من الشرك وادعاء الأنداد لله تعالى، وهو ما تبرأ منه علي رضي الله عنه بقوله عن الإمام علي عليه السلام: (اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً)(٤)

ب. نسبة التصرف في الكون للأئمة

يرى الياسري بأن نسبة التصرف بالكون للأئمة خلقا أو رزقاً أو إحياءً أو إماتةً، أو القول بأن الأئمة ينفعون أو يضرون من الافتراء على الله، والشرك به تعالى.

ويقرر الياسري بأن الأئمة كانوا يؤكدون ما ثبت في القرآن من اختصاص الله وحده بصفات الربوبية، والبراءة من أقوال الغلاة، ويستشهد بقول زين العابدين رضي الله عنه

---

(١). وانظر :الاحتجاج للطبرسي ١/ ٣٥٦

(٢)مذهبنا ٨٠. وانظر:رجال الكشي ص ٣٠٤

(٣) مذهبنا ٨٣. وانظر: أصول الكافي ١/ ٢٦١ ــ بحار الأنوار ٢٦/ ٢٨

(٤) مذهبنا ٣١، بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٤.

حين قال: (إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق)(١)، وقوله أيضا: (ما أكذبكم وما أجرأكم على الله، نحن من صالحي قومنا وبحسبنا (يكفينا) أن نكون من صالحي قومنا)(٢).

ويعد الياسري هذه الكلمات التي يقررها الأئمة رضي الله عنهم التوحيد الخالص مخالفة للشرك الذي أتى به الغلاة المفسدون في مروياتهم ، والتي يذكر الياسري منها(٣) :

- رواية الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء)(٤).
- قول داود بن كثير الرقي(٥): (حج رجل من أصحابنا فدخل على أبي عبدالله عليه السلام فقال: فداك أبي وأمي، إن أهلي قد توفيت وبقيت وحيداً، فقال أبو عبدالله عليه السلام: أفكنت تحبها؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: ارجع إلى مترلك فإنك سترجع إلى المترل وهي تأكل شيئاً، قال: فلما رجعت من حجتي ودخلت بيتي رأيتها قاعدة وهي تأكل)(٦).

---

(١) مذهبنا ٥٤. وانظر: (رجال الكشي/ ١٩٢).

(٢) مذهبنا ٥٥. وانظر: (الصلة بين التصوف والتشيع ١/ ١٤٨ لكامل مصطفى الشيبي).

(٣) مذهبنا ٧٧، ٨٣، ٨٤.

(٤) أصول الكافي ص ٤٠٧.

(٥) هو أبو خالد أو أبو سليمان دواود بن كثير الرقي، مولى بني أسد، من أصحاب موسى الكاظم، ذكر الكشي بأن الغلاة يذكرون بأنه من أركانهم، وأنهم يروون عنه المناكير من الغلو(رجال الكشي٤٠٢-٤٠٧) وقال النجاشي: ضعيف جدا. وقال الغضائري:إنه كان فاسد المذهب ضعيف الرواية لا يلتفت إليه. ومع ذلك فقد لجأ بعض علماء الامامية إلى تزكيته كالمفيد والحائري.انظر منتهى المقال٣/٢٠٩-٢١٣.

(٦) بصائر الدرجات ص ٢٩٤. المناقب ٤/٢٣٩

- رواية محمد بن راشد عن أبيه عن جده قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام فقال: سلني ما شئت، فقلت: إن أخاً لي مات في هذه المقابر فتأمره أن يجيئني: اسمه أحمد، فقال الإمام عليه السلام: (يا أحمد ! قم، فقام من قبره وهو يقول أتيته)(1).
- ورواية الكشي عن الصادق أنه قال: رأيت المعلي بن خنيس(2) حزيناً كأنه ذكر أهله فمسحت على وجهه فأصبح مع أهله ثم تركته حتى نال ما نال الرجل من أهله، ثم أحسست وجهه فعاد كما كان عندي في المدينة)(3).

وبالعموم فإن الياسري يرى بأن من زعم بأن الأئمة يعلمون الغيب أو يشاركون الله بشيء من الخلق والرزق أو النفع والضر أنه داخل في قول أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)(4).

والخلاصة هي أن الياسري رحمه الله يعد نسبة علم الغيب أو الخلق أ و الرزق أو غيرها من صفات الربوبية مخالفا للتوحيد الذي يقرره القرآن ويرسخه الأئمة في مروياتهم الموافقة للقرآن.

---

(1) وانظر: بحار الأنوار ٤٧/ ١٣٧

(2)انظر أقوال علماء الشيعة فيه في هذا البحث ص ٤٢٤

(3)مذهبنا٨٢. انظر: الكشي ١٧٧ ـــ ٣٢٤

(4) مذهبنا ٥٥. وانظر: (بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٤)، (رجال الكشي/ ١٩٢).

المطلب الثاني:
مسائل تتعلق بتوحيد العبادة

يؤكد الياسري بأن من أصول الإسلام العظمى عموما وفي مذهب أئمة آل البيت خصوصا إفراد الله وحده تعالى بالعبادة، وذلك بأن يتوجه المؤمن لربه وحده بكل العبادات دون سواه(١).

ويذكر الياسري في هذا الصدد أنّ الأئمة قد بينوا أن توحيد العبادة لا يصح من المؤمن ولا يقبل إلا بتحقيق أمرين:

الأوّل: أن يفرد العبد ربه بكل العبادات.

الثاني: أن يعبد الموّحد ربه بالطريقة التي شرعها الله لعباده في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس بالأهواء أو البدع التي يخترعها الناس بغير دليل(٢).

ويذكر الياسري في هذا الصدد بعض أقوال الأئمة، التي تدل على هذين الأصلين العظيمين، ومن ذلك قول أبي الحسن الرضا رحمه الله: (طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن قلبه بما أعطي غيره)(٣).

كما يستدل بقول الصادق رضي الله عنه: (الإيمان لا يثبت ولا يكون إلا بإخلاص العمل)(٤).

---

(١) مذهبنا ٦.

(٢)مذهبنا ص٣، ٤٧. ويلاحظ أنّ هذه الشروط التي ذكرها الياسري رحمه الله هي نفس الشروط التي يذكرها أهل السنة في شروط قبول الأعمال. أنظر: تفسير البغوي ٤/٤٦٩ ، قواعد الأحكام ١/١٢٤، النونية مع شرح الهراس٢/١٢٩، مدارج السالكين٢/٩٥، أعلام السنة المنشورة٣٣-٣٤

(٣)مذهبنا ٣٨. وانظر: ٢ / ١٦، وسائل الشيعة ١/٤٣، بحار الأنوار٧٠/٢٢٩ ، و٨٤ / ٢٦١ .

(٤) مذهبنا ٣٨.

مخالفات الغلاة في توحيد العبادة.

يذكر الياسري بأن الغلاة خالفوا توحيد العبادة الذي كان عليه الأئمة عليهم رضوان الله في صور متعددة، من أبرزها:

1. **صرف أشياء من العبادات لغير الله.**

وهنا ينبّه الياسري إلى أن القرآن قد دل على أن كل العبادات يجب أن لا تصرف إلا لله، ويدخل في ذلك عبادات القلب والجوارح.

ويرى الياسري بأن هذا ما دل عليه قول أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل: (من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً)(١).

وقد مثّل الياسري لبعض هذه العبادات التي يجب ألا تصرف إلا لله، ومن أهمها:

١. *الاعتصام والتوكل بالله وحده.*

التوكل: هو تفويض الأمر أو الاعتماد(٢) ، وهو في نظر الياسري مما يجب أن لا يكون إلا على الله وحده بدلالة آيات من أبرزها(٣): قوله تعالى: ((فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾)) [سورة آل عمران١٥٩]

وقوله: ((وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾)) [سورة النساء٨١]

وقوله: ((وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾)) [سورة المائدة٢٣]

---

(١) مذهبنا ٤٠. انظر: الكافي : ٢/٢٩٥، بحار الأنوار : ٧٢ /٢٨٨، وقريب من هذا الحديث رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" رواه مسلم ، وفي رواية ابن ماجه: "فأنا منه بريء وهو للذي أشرك" . صحيح مسلم رقم ٢٩٨٥. سنن ابن ماجه رقم ٤٢٥٥

(٢) انظر مدارج السالكين٢/١١٣-١١٧.كتاب المكاسب للمحاسبي (ملحق بكتاب المسائل) ١٢١-١٢٥

(٣) انظر المنهاج٤٦

((إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)) [سورة الأنفال٢]

كما أن الياسري يقرر بأن الأئمة قد وافقوا القرآن حينما امروا بالتوكل على الله وحده، وعدم تفويض الأمور إلى غيره، ومن ذلك ما يذكره الياسري عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال :(أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السموات والأرض ومن فيهن؛ إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات والأرض من يديه، وأسخت الأرض من تحته، و لم أبال بأي واد هلك)(١).

وعن علي بن الحسين عليه السلام–وقد سأله رجل– هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا(٢).

٢. الاستعانة بالله.

يعد الياسري الاستعانة من العبادات الشريفة التي صرح القرآن بأنه ينبغي أن لا تصرف إلا لله بدلالة آيات على رأسها قوله تعالى: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝)) [الفاتحة: ٥].(٣)

٣. الخوف(٤).

(١) مذهبنا ٣٩. وانظر: الكافي: ٦٣/٢ ، جامع السعادات: ٢٢٣/٣.

(٢) مذهبنا ٣٩. وانظر: الكافي: ٦٣/٢ ، جامع السعادات: ٢٢٣/٣.

(٣) المنهاج٥١.

(٤) الخوف ينقسم إلى نوعين–من جهة كونه عبادة أو لا– :النوع الأول :الخوف الطبيعي،

يرى الياسري بأن الخوف من العبادات القلبية التي يجب أن لا توجه إلا لله تعالى، حيث أن الله تعالى بين ذلك في آيات كثيرة(١) منها:

قوله تعالى ((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾)) [سورة آل عمران١٧٥]

وقوله تعالى: ((ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾))[سورة الأحزاب٣٩]

وقوله تعالى: ((أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾)) [سورة الزمر٣٦]

وقوله : ((فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى)) [البقرة١٥٠]. وغيرها من الآيات التي يقرر الياسري بأنها تدعوا إلى إفراد الله بخوف العبادة.

وليس بغريب أن ينبه الياسري على هذا الجانب لأن واقع بعض الناس يشهد بوقوع شريحة يخافون من معاقبة الأولياء لهم لأسباب متعددة(٢).

والنوع الثاني: الخوف تألهً وعبادةً. يقول السعدي رحمه الله: "اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة وتارة يقع طبيعةوعادة، وذلك بحسب متعلقاته، فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي يغفره الله، لأنه شرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب ... وإن كان الخوف طبيعيا كمن يخشى من عدو أوسبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهر: فهذا النوع ليس عبادة وقد يوجد في كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان.." انظر القول السديد(ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي٣/٣٤-٣٥).

(١) ذكر الياسري كثيرا من الآيات، اقتصرت على بعضها. انظر المنهاج٣٢.

(٢) على سبيل المثال: تعد أضرحة الأئمة والأولياء مراكز مهمة لأخذ الأقسام على العقود

ويلاحظ القارئ الكريم أن الياسري رحمه الله تعالى ركّز على جانب العبادات القلبية ولم يهملها، وهذا دليل على فقهه ومعرفته رحمه الله.

٤. الدعاء

يؤكد الياسري بأن القرآن مع كثير من أقوال الأئمة متفقة على أن الدعاء عبادة، وأنه يجب أن لا يوجّه إلا لله تعالى.

وقد عقد الياسري في كتابه المنهاج بابا عنوانه"الدعاء لا يوجه إلا لله وحده" و ذكر فيه أكثر من عشرين دليلا قرآنيا على ذلك من أبرزها:

قوله تعالى: ((قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾))[سورة الجن٢٠]

وقوله تعالى: ((فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾))[سورة الجن١٨]

المالية والتجارية واتفاقات القبائل وغيرها في العراق، وكلما كانت القضية أهم اختير لها الضريح الأعظم، ويعد ضريح العباس بن علي في كربلاء من أعظمها تأكيدا للقسم بين القبائل، فإن السائد عند عوام الشيعة أن العباس كان شديدا، ويعبرون عنه بقولهم "راسه حار" ويريدون بأنه لا يتغاضى عن إثم رجل يقسم باسم العباس أو في حرمه كاذبا، وعلى سقف مقام العباس صورة رجل يقولون-في الروايات الكربلائية- بأنها صورة لرجل أقسم بحرمة العباس كاذبا. كذلك يقولون عن الشخص "نسي العباس" ويريدون أنه رجل غير ورع، بحيث فارقه التقوى فكذب حين أقسم بالعباس.

جدير بالذكر بأن مما يجعل بعضهم يزددا خوفه من العباس أن النظرية الإمامية عند العامة تقول بأن الانبياء والائمة معصومون ورحماء ولا يؤذون البشر، أما العباس فهو ليس إمام إضافة إلى شدّته وصرامته.

كما أن القصص التي تذكر في معاقبة الإولياء لمن ينتهك حرمة أضرحتهم كثيرة جداً، وبالعموم فإن هذه الخرافات من الأمور التي يحاول الياسري وخوئيني والخالصي ومحمد حسين فضل الله وغيرهم من دعاة الإصلاح في المذهب الشيعي -على تفاوت فيما بينهم- أن يصفّوا المذهب الإمامي منها . انظر : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث للنفيسي ٧٤-٧٥.

وقوله: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾)) [سورة الزمر٣٨]

وقوله: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾))[سورة البقرة١٨٦]، وغيرها من الآيات(١).

ويعدّ الياسري منهج الأئمة عليهم السلام متوافقا مع القرآن في بيان أن الدعاء من العبادة ، فقد ذكر عن الباقر رضي الله عنه أنه بين ذلك بقوله: "إن الله عز وجل يقول: ((إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾))[غافر٦٠]، قال عليه السلام: (هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء)(٢).

---

(١) انظر: كتاب المنهاج ٥٣

(٢)الكافي ٢/٤٦٦. ومثله :

- قول الصادق رحمه الله تعالى في تعقيبه على الآية نفسها: قال الصادق عليه السلام: «هي واللّه الدعاء قد أمر اللّه سبحانه بالدّعاء ووعد بالإجابة وهو لايخلف الميعاد، وتوعّد بالنّار على تركه فقال: إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين)) انظر: عدة الداعى لابن فهد الحلى. ص٤٩ تجده على الموقع التالي:http://www.hadith.net/persian/products/magazine/mirath/٠١/٠٠٢-٠٢.htm
- وقول الصادق رحمه الله: ادع ولا تقل قد فرغ من الأمر، فإن الدعاء هو العبادة. ثم تلا الآية (إن الذين يستكبرون عن عبادتي..). الكافي٢/٤٦٧.
- وقوله الصادق عليه السلام–لما سئل عن رجلين أحدهما أطال القرءة في الصلاة والآخر أطال الدعاء– فقال: الدعاء أفضل أما سمعت الله يقول ((إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))[غافر٦٠] هي والله العبادة هي والله أفضل(ثم كرر القسم على ذلك

ويرى الياسري بأن الأئمة قد أكدوا على إفراد الله تعالى بالدعاء ، فهو يرى بأن علياً رضي الله عنه قد بين أن أفضل الأسباب للفلاح التوجه إلى الله مباشرة دون وسائط حين قال: (وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله)(١).

كما يبيّن الياسري منهج علي رضي الله عنه الموافق للقرآن في توحيد الله بالدعاء حينما استدل بقول علي أيضا : (وألجيء نفسك في الأمور كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز)(٢).

يقول الياسري: "إن الأنبياء والرسل والأولياء إذا أصابهم ضر أو ابتلاء أو مصيبة في الدنيا والآخرة؛ فهم يلجؤون إلى الله وحده لا شريك له، ويتضرعون إليه ويدعونه وحده، ويسألونه وحده ويتوكلون عليه ويستعينون به وحده، فكل هذه الأمور هي عبادة، ووظيفتهم هي تعليم الناس أن يفعلوا كل هذه الأمور لله وحده لا شريك له"(٣).

والخلاصة التي يريد الياسري بيانها هي أن القرآن وكلام أئمة آل البيت متفقان على الأمر بإفراد الله وحده بالعبادة، وأن ذلك الدعاء هو رأس العبادة كما بين جعفر الصادق رحمه الله تعالى، خلافاً لما يذهب إليه الغلاة في المذهب.

مرارا) انظر التهذيب للطوسي٢/١٠٢.

(١) نهج البلاغة/ ٩٣٦

(٢) نهج البلاغة/ ٩١٠

(٣) مذهبنا ٣٣.

٥. شرك الطاعة

يقرر الياسري رحمه الله أن من أركان توحيد الله الذي هو إفراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقط بالطاعة المطلقة، لهذا قال رحمه الله: " الطاعة المطلقـــة لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقط"(١)

والأدلة القرآنية التي يسوقها الياسري في كتابه المنهاج على هذا الأصل كثيرة منها: قوله تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾)) [النساء٥٩]

وقوله تعالى: ((ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ))[سورة التوبة٣١]

وقد ساق الياسري تفسير أبي عبد الله الصادق رحمه الله لقوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم...) حيث قال: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا حراماً وحرموا حلالاً فأطاعوهم على ذلك، فعبدوهم من حيث لا يشعرون)(٢).

كما ساق قول الصادق عليه السلام: (من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده)(٣).

وقريب من هذه الروايات التي يذكرها الياسري عن الصادق رحمه الله ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية عدي بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ: ((اتخذا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ..)) فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: (أليس

---

(١) المنهاج٢٢.

(٢) الكافي:٢ / ٣٩٨.

(٣) الكافي: ٢/٣٩٨.

يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه) فقلت: بلى، قال: (فتلك عبادتهم)) رواه أحمد والترمذي(١).

وقد لخص الياسري ما يريد بيانه في هذا المسألة بقوله: "إن الطاعة هي العبادة كما في الرواية[أي رواية الصادق السابقة] والعبادة هي الطاعة".(٢) وبالتالي فإن الطاعة يجب أن لا تصرف بإطلاق إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا شك بأن من اطلع على كتب التفسير وشروح الحديث عند الإمامية يجد كثيرا منها يتفق مع ما ذكره الياسري من حيث المبدأ(٣)، ولكن الاختلاف يكون في أمرين من جهة التطبيق وهما:

الأول: هل الأئمة كالرسول صلى الله عليه وآله سلم في وجوب طاعتهم مطلقاً؟

الثاني: هل تقليد العامي للمجتهد في ما يعلم مخالفته للنص يعد داخلا في شرك الطاعة؟

وللإجابة على الأول يجب علينا أن نستحضر أن الإمامية يعتقدون بأن من وظائف الإمام حماية الشريعة، كما يجب أن نستحضر أنهم يقولون بعصمة الأئمة، وبالتالي فإنه لا يخطيء، وعليه فإن طاعته واجبة بإطلاق، ولو كان ظاهر أمره يخالف القرآن، لأن الإمام- في تصورهم- لن يأمر بما يخالف الشرع لعصمته، ولأن دلالة القرآن -لدى عامتهم- ظنية ما لم توافق تفسير الإمام وبيانه، وهو ما يصرح به كثير من علماء الطائفة الإمامية(٤).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف يجيب هؤلاء على الآية وتفسير الصادق رحمه الله لها ؟

---

(١) أحمد (المسند ٤/٢٥٧، ٣٧٨). الترمذي رقم ٣٠٩٤

(٢) مذهبنا ٤٧.

(٣) يقول الطبرسي في تفسيره: "وروي عنه (**صلى الله عليه وآله**) أن معنى اتخاذهم أربابا أنهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما أمر الله تعالى، وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبدالله (**عليهما السلام**)، فسمى الله ذلك اتخاذهم إياهم أربابا من حيث كان التحريم والتحليل لايسوغ إلا الله تعالى. وهو قول أكثر المفسرين" التبيان٥/٢٠٦.

(٤) انظر ما سبق ص١٨٢

هنا يجيبنا الفيض الكاشاني -بإجابة كثير من علماء الإمامية-فيقول: "وأما طاعة الرسل وأوصيائهم فهي في الحقيقة طاعة الله لأنهم عن الله يأمرون وينهون"(١).

والحقيقة أن ثمة جانباً آخر غفل عنه أمثال الكاشاني من الإمامية وهو أن الرسول وأئمة آل بيته الشريف عليهم الصلاة والسلام، قد بينوا أن المرجع إلى الكتاب والسنة الصحيحة فقط، وليس لأحد آخر سواه، فقول علي رضوان الله عليه -يوصي المسلمين- بقوله: "وصيّتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً، ومحمد صلى الله عليه وسلم فلا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين وأوقدُوا هذين المصباحين"(٢) ولم يقل اتبعوا غيرهما.

كما قال أيضا رضي الله عنه: "استعَملَنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله"(٣)-ولم يقل رضي الله عنه استعملنا بطاعة أي أحد آخر-، وغيرها من النصوص الكثيرة التي تدل على علو منزلة علي رضي الله عنه في الإتباع.

نعم لو نقّح علماء الشيعة روايات الأئمة سندا، وأخرجوا ما يخالف القرآن والسنة الثابتة من جهة المتن، ثم قال أحد من الشيعة أنا أتبع هذا الصحيح، فإن الخلاف سيكون لفظيا تقريبا، شأنه شأن المقلدين في سائر المذاهب.

ولكن هيهات وآثار الأئمة محكوم عليها بين الطائفة بعدم التنقيح، بل والافتخار بأنهم ليسوا كأهل السنة عندهم كتب نقح أصحابها الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وأن الروايات متروكة لمن يسمونهم "مجتهدين" يختارون منها ما يشاؤون، وما على العامي إلا التقليد.

والخلاصة هي أن الياسري رحمه الله تعالى يرى بأن العبادات سواء منها القلبية كالإخلاص والصدق و والتوكل والاستعانة والخوف أو العملية كالدعاء وغيره يجب أن لا تكون إلا لله تعالى.

---

(١) تفسير الصافي ٢/٣٣٧.

(٢) نهج البلاغة نهج البلاغة ٣٥٩(مؤسسة المعارف خطبة رقم١٤٧)

(٣) نهج البلاغة ص٤٥٠.

المطلب الرابع :
الغلو في الصالحين

موضوع الغلو من المواضيع الأساسية التي ناقشها الياسري رحمه الله تعالى بإفاضة، مبينا موقف الإسلام منه، وسلامة طريقة آل البيت من صوره التي أدخلها المفسدون. كما بين الياسري القواعد التي وضعها الأئمة لرد مشروع الغلاة الرامي لإدخال الغلو في الإسلام باسم آل البيت.

أسباب الغلو:

يرى الياسري أن روايات الأئمة تدل على أن أسباب الجاهلية والغلو تعود إلى ما يلي:

١. اتباع الأهواء.

٢. اتباع الشهوات والشبهات.

٣. التعلق بالدنيا.

كما يبين الياسري بأن الوسط الاجتماعي الذي يجد الغلو فيه مرتعاً صالحاً؛ للانتشار هو المجتمع الطبقي، الذي يقوم على تقسيم الناس إلى طبقات بعضها أرفع من بعض، كالطبقة الحاكمة، وطبقة رجال الدين، وطبقة العامة وغيرها[١].

نشأة الغلو في الإسلام ووسائل انتشاره:

يرى الياسري بأن الإسلام لما انتشر في البلدان التي ينتشر فيها الغلو كدول النصارى والفرس والمجوس؛ صعب على أعداء الدين هناك أن يقاوموا قوة الإسلام، فاتخذوا

(١) مذهبنا٦-٧.

أسلوباً آخر هو كما يقول الياسري: "دخلوا الإسلام تقية. وتظاهروا به وأدخلوا عقائدهم الغالية في الدين الإسلامي، وأظهروها بمظهر إسلامي"(١).

والهدف الذي وضعه هؤلاء المفسدون هو-كما يحدده الياسري- هو : "تدمير الدين الإسلامي وتدمير وسائل وأسباب بقائه وانتشاره"(٢)

ويوضح الياسري الوسائل التي اختارها المفسدون لتحقيق هدفهم بقوله:-

"اختاروا شخصيات إسلامية لها مكانة كبيرة في نفوس المسلمين وقلوبهم وجعلوهم شعاراً وراية لتمرير عقائدهم الغالية الشركية ودسها في الإسلام، ومن هذه الشخصيات التي كانت لها مكانة كبيرة في نفوس وقلوب المسلمين شخصيات أئمة أهل البيت عليهم السلام"(٣).

كما يرى الياسري بأن المفسدين لجؤوا إلى هدم وسائل بقاء الدين، وهي:

١ - القرآن كتاب الله العظيم المحفوظ.

٢ - سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- حملة الرسالة الإسلامية وجنودها الذين أوصلوا القرآن والسنة النبوية للناس كافة وهم المهاجرون والأنصار وأئمة أهل البيت عليهم السلام(٤).

يقول الياسري: "لقد حاول الغلاة إخفاء أهدافهم ومقاصدهم عن طريق اعتماد المبادئ الإسلامية ذاتها كمادة لعملهم؛ فكان القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ميادين لنشاطهم وحركتهم، وكانت قاعدتهم الأساسية هي إما التحريف اللفظي أو التحريف المعنوي لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يلصقون تحريفهم بأئمة أهل البيت عليهم السلام عن طريق روايات يخترعونها ويلفقونها"(٥).

---

(١) مذهبنا ٧.

(٢) مذهبنا ٨

(٣) مذهبنا٧-٨.

(٤) انظر: مذهبنا ٨.

(٥) مذهبنا ٨.

محاربة الأئمة للغلو:

يذكر الياسري في هذا الصدد أن الأئمة قد أدركوا كثرة الكذب الذي نشط المفسدون في اختراعه ونسبته إليهم، وهو ما دعا الأئمة لوضع القاعدة المشهورة عنهم وهي عرض جميع مروياتهم على القرآن الكريم، ورد ما يخالفه منها، وهو ما يعده الياسري قاعدةً أسسها الأئمة لحفظ الناس من الانحراف، ولهذا يقول: " إن هذه القواعد التي تركها لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام تشكل ثروة علمية عظيمة وغالية يجب على كل مسلم يدعي حب أهل البيت عليهم السلام أن يتمسك بها قولاً وعملاً وتبليغاً وتعليماً وخاصة نحن الشيعة الإمامية؛ فنحن أحق بهذا الأمر العظيم وأولى به" (١).

لكن الياسري لم يخف شدّة أساه على كتب المذهب التي كثر فيها المرويات المكذوبة التي تخالف القرآن، فقال:" والذي يحزننا أن هذه الروايات المكذوبة ملأت كتبنا ومراجعنا المعتمدة"(٢).

---

(١) مذهبنا ٩. وقد سبق عرض هذه الروايات عنهم في ص ٩٨، ٢٩٦.

(٢) مذهبنا ٩.

من صور الغلو

يذكر الياسري بأن من صور الغلو التي أتى بها الرواة الكذابون:

١. **القول بأن علياً رضي الله عنه أعلى درجة من الأنبياء والمرسلين.**

فقد أنكر الياسري قول محمد علي الموسوي:" إن الأئمة عليهم السلام أهدى من جميع الأنبياء، وأعلم الخلق من الأولين والآخرين عموماً، ومن الأنبياء والأوصياء خصوصاً"(١)،فقد عقّب الياسري على ذلك بأن هذا القول من الغلو الذي يوافق روايات الغلاة.(٢)

٢. **القول بأن تعيين الإمام علي أهم من بعث الرسول صلى الله عليه وسلم** لأن تركه نقض للفرض وهدم للبناء، كما ينقله الياسري عن آية الله الخراساني(٣).

٣. **القول بأنه لولا الأئمة لما خلق العالم.**

فقد روى ابن بابويه القمي: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للإمام علي عليه السلام: لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، وأمر الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً لنا(٤).

وهذه الرواية يعدها الياسري مخالفة لما أخبرنا الله به، من "أنه ما خلقنا إلا من أجل عبادته والخضوع والاستسلام له وحده والانقياد لأوامره"(٥).

٤. **القول بأن الأئمة يشاركون الله في الحساب يوم القيامة.**

ومثله القول بأن الأئمة يدخلون من يشاؤون الجنة ويدخلون من يشاؤون النار.

وهذا ما أوردته روايات الكذابين التي يذكرها الياسري، ومنها:

---

(١) انظر: ضياء المنصفين لمحمد علي الموسوي ص ٣٧.

(٢)انظر: مذهبنا٩٣.

(٣) انظر: مذهبنا ٩٢. نقلا عن "الرسالة المعجزة والإسلام ص ١٠٧"

(٤) نقله ابن بابويه القمي في كتابه علل الشرائع ١/٥.

(٥) مذهبنا ٩٣.

ما رواه ابن بابويه في الرواية القائلة : "إن الله أعطى علياً الجنة والنار. فيُدخل من يشاء ويخرج من يشاء عنها"(١).

ومثلها الرواية القائلة: (إن الأئمة عليهم السلام موكلون من الله بحساب شيعتهم)، ثم قرأ: ((إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم))[الغاشية ٢٥](٢).

ومثلها كذلك ما رواه سليم بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا علي، من استظل بفيئك كان فائزاً، لأن حساب الخلائق إليك ومآبهم إليك والميزان ميزانك والصراط صراطك والموقف موقفك والحساب حسابك، فمن ركن إليك نجا، ومن خالفك هوى)(٣).

٥. أن قدرة الأئمة غير محدودة، وأن نفوذهم يشمل كل ما يحيط الوجود، وإن إرادهم هي إرادة الله، وإرادة الله هي إرادقم (٤) .

٦. القول بأن الأئمة هم وجه الله أو غيره من الصفات الربانية(٥).

٧. أن الحج إلى أضرحة الأئمة أفضل من الحج إلى مكة.

ومن الروايات التي تدل على ذلك(٦):

أ- (من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وألف ألف عمرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعتق ألف رقبة، وحمل ألف فرس في سبيل الله)(٧).

ب- (من كان يوم عرفة عند الحسين فقد شهد عرفة)(١).

---

(١) مذهبنا ٧٩. وانظر: ابن بابويه القمي/ علل الشرائع ١/ ٦٤.

(٢) مذهبنا ٧٩. وانظر: إرشاد القلوب للديلمي ٢/ ٢٥٦.

(٣) مذهبنا ٩٩. وانظر: كتاب سليم بن قيس ص ٢٤٥.

(٤) انظر مذهبنا ٨٠.

(٥) ذكر الياسري بعض الروايات المكذوبة التي سبق عرض بعضها انظر ص ١٦٣ ، (مذهبنا ٧٩)

(٦) انظر : مذهبنا ١٠٦-١٠٨.

(٧) وسائل الشيعة١٤/٤٦٠.

ت- (من أتى قبر الحسين يوم عرفة بعثه الله يوم القيامة ثلج الفؤاد)[٢].

ث- (من زار أرض كربلاء ليلة عرفة وأقام بها العيد؛ وقاه الله شر سنته)[٣].

ج- (إن الله يتجلى لزوار الحسين قبل أهل عرفات)[٤].

ح- (زيارة الحسين في شط الفرات كمن زار الله في عرشه)[٥].

خ- (زيارة الحسين يوم عاشوراء لقاء بثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة)[٦].

د- (ثواب كل درهم ينفق في الحج بألف، وفي زيارة الحسين بعشرة آلاف)[٧].

٨. نسبة شيء من صفات الله للأئمة، مثل علم الغيب أو الخلق أو الإحياء والإماتة وغيرها[٨].

٩. المبالغة في نسبة الفضائل للأئمة.

مثّل الياسري لذلك بما رووه عن عبد الله بن مسعود قال: (أتيت فاطمة عليها السلام فقلت لها: أين بعلك؟ فقالت: عرج به جبريل عليه السلام إلى السماء، فقلت: في ماذا؟ فقالت: إن نفراً من الملائكة تشاجروا فسألوا حَكَماً من الآدميين، فأوحى الله سبحانه وتعالى لهم أن تخيروا، فاختاروا علياً)[٩].

---

(١) التهذيب ٦/٥١. وسائل الشيعة١٤/٤٦٢.بحار الأنوار٩٨/٩٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٤/٤٦٣.

(٣) وسائل الشيعة ١٤/٤٦٤.بحار الأنوار٩٨/٩٠.

(٤) وسائل الشيعة ١٤/٢٦٥. بحار الانوار ٩٨/٣٦.

(٥) الوسائل ١٤/٤١١. وفي روايات أخرى (يوم عاشوراء) التهذيب٦/٥١. وفي آخرى (يوم عرفة) مستدرك الوسائل ١٠/٢٨٤.

(٦) الوسائل ١٤/٤٦٧.

(٧) وانظر هذه الروايات في (وسائل الشيعة ج٥/ ٢٩٠ ــ ٤٩٠).

(٨) انظر ما سبق ص ٢٥١

(٩) مذهبنا ٩٩-١٠٠ . وانظر : الاختصاص للمفيد ٢١٣

وقد اكتفى الياسري في تعليقه على هذه الرواية بالقول: " قلت: هذا كفر وغلو واضح"(١).

ونحن وإن وافقنا الياسري على أن هذا من الغلو المفرط، إلا أن اعتقاده بحد ذاته لا يوجب الكفر، إذ غايته الكذب والإفراط في الفضائل المكذوبة.

والخلاصة هي أن الياسري يرى بأن الإسلام مبرأ من كل أشكال الغلو التي أدخلها المفسدون بقصد هدم الدين، وأن الأئمة رضي الله عنهم قد بينوا موقفهم من الغلو، ووضعوا قاعدة مهمة تكفي لرد جميع مرويات الغلاة وهي قاعدة الرد إلى القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المطلب الخامس: عقيدته في القرآن

المتأمل لكتب الياسري رحمه الله تعالى يجد اهتماماً بالغاً بالقرآن الكريم، فهو المرجع الأول الذي يعتمد عليه الياسري في آرائه ومناقشاته،كما أنه في نظر الياسري المرجعية التي يمكن أن تجمع الأمة الإسلامية على الحق.

وقد ألف الياسري كتابه (المنهاج) أو (المرجعية القرآنية) ونجده يكتفي في هذا الكتاب بوضع عناوين ثم يسرد تحتها آيات كثيرة تدل قارئها على ما عنون له من مسائل الدين بشكل واضح، من دون أن يعلق الياسري بشيء إلا في مواضع يسيرة، إيماناً منه بكفاية القرآن لبيان الحقائق وهداية الناس.

ويمكن بيان أبرز ما قدمه الياسري من أفكار حول القرآن بما يلي:

---

(١) مذهبنا ١٠٠.

أولا: القرآن محفوظ من التحريف.

يرى الياسري أن القرآن كتاب الله المحفوظ من جميع أنواع التحريف، فهو "قطعي الثبوت" كما يصرح الياسري، وقد استدل على هذا بأدلة كثيرة ذكرها في كتابه المنهاج(١).

ثانيا: القرآن استوعب جميع أصول الدين وأساسياته(٢).

يستدل الياسري على هذا بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾))[النحل: ٨٩]، كما يبين الياسري بأن "أصول الدين وأساسياته نصوص قرآنية قطعية وليست اجتهادات أو استنباطات عقلية ظنية"، ولهذا يصرح رحمه الله بأن : "القرآن يغني عما سواه ولا يغني سواه عنه" بدلالة آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ((أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا)) [سورة العنكبوت٥١- ٥٢]

وقوله تعالى: ((فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾)) [سورة الأعراف١٨٥]

ثالثا: القرآن سهل واضح ميسر للفهم ليس فيه باطن يخالف ظاهره.

يرى الياسري بأن القرآن سهل مسير للفهم ، بدلالة قوله تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾))[سورة القمر١٧]

ولهذا يذكر رحمه الله تعالى الآيات التي وبخ الله بها من لا يتدبر القرآن مثل قوله: ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾))[سورة محمد٢٤]

---

(١)انظر: المنهاج ٧.

(٢)انظر:المنهاج٨-٩

كما أن الياسري بين أن القرآن واضح. وذكر أن الله وصف الذين يزعمون أن القرآن لا يفهم بأوصاف قبيحة. كما سيأتي.

من صفات الذين يدّعون أن القرآن لا يفهم(١)

أشار الياسري إلى أن الله وصف الذين يدّعون أنهم لا يفهمون القرآن بأوصاف منهم:

- أنهم ضعفاء الإيمان. وإنهم من الملعونين .

كما قال تعالى:((وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)) [سورة البقرة:٨٨].

- أنهم المطبوع على قلوبهم.

كما قال تعالى: ((وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٥٥﴾)) [سورة النساء ١٥٥]

- وأنهم المتبعون لأهوائهم.

قال تعالى: ((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾)) [محمد ١٦].

وهذه الصفات التي أشار إليها الياسري كفيلة بأن تدعو كل مسلم إلى الإقبال على القرآن دراسة وتدبراً.

---

(١) انظر المنهاج ١٢-١٣.

نقد الياسري للقول بتحريف القرآن:

سبق القول بأن الياسري لم يكن يعتقد بأن القرآن محرّفاً في كل مراحل حياته، وأنه لم يخطر بباله في يوم من الإيام أن يكون أحدٌ من أعلام المذهب الإمامي قد قرر هذا الاعتقاد الخطير. ولكن الاتهام الذي وجّهه له ابن حجي -كما سبق- دفع الياسري إلى البحث والاطلاع بنفسه على أقوال علماء المذهب. فوقف في بحثه على حقائق مهمة أخرجها في كتابه (القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية)، وقد ذكر الياسري شدّة الصدمة التي أصابته لما وقف على تصريح طائفة من أبرز أعلام المذهب بالقول بوقوع التحريف اللفظي والمعنوي.

وقد سلك الياسري في بحثه طريقة علمية جيدة، حيث قام باستعراض أبرز أعلام المذهب من القرن الرابع كالقمي والكليني إلى أن وصل إلى الأعلام المتأخرين كمحمد تقي الكاشاني والخوئي، مبيّناً في عرضه لأغلب الأعلام ثلاثة أمور:

أولاً: مكانته في المذهب، من خلال عرض أقوال علماء المذهب فيه.

ثانياً: تصريح ذلك العالم بأنه يعتقد بأن القرآن الموجود محرّف.

ثالثاً: تصريح علماء بعض الطائفة عنه بأن ذلك العالم يعتقد بتحريف القرآن.

ويمكن اختصار بعض الأمثلة التي أشار إليه الياسري فيما يلي(١):

أولا: بعض علماء الطائفة المتقدمين القائلين بتحريف القرآن:

أولا: محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ).

نقل الياسري أقوال جمع من العلماء الدالة على علو منزلته في المذهب الجعفري، وهي -باختصار- تدل على أنهم يعتبرونه ثقة، وحجة، وعارفاً, وعالماً بالأخبار

(١) وقد رتبت هذه الشخصيات بحسب ترتيب وتقسيم الياسري لها في كتابه.

الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام، وأنه من أعظم علماء المذهب في معرفة الأخبار الصحيحة وتمييزها(١).

ثم بين الياسري عقيدة الكليني في القرآن؛ مبينا أنها تظهر بجلاء من خلال كثرة الأخبار الدالة على أن القرآن الذي نزل أكثر مما هو موجود بأضعاف(٢)، وهو ما جعل الفيض الكاشاني يقول: (إنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض لقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه وأنه التزم الصحة فيما رواه)(٣).

كما نقل الياسري عن النوري الطبرسي في فصل الخطاب قوله: (تحريفُ القرآن مذهب ثقة الإسلام الكليني حيث نسبه إليه جماعة العلماء لنقله الأخبار الكثيرة الصريحة في هذا)(٤).

كما نقل تصريح كل من السيد محسن الكاظمي والسيد أبي الحسن العاملي والمجلسي ونعمة الله الجزائري بأن الكليني يعتقد بتحريف القرآن(٥).

ثانيا: محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ).

يقول الياسري:" إن مترلة هذا العالم الكبير تظهر من خلال كونه واضعاً لأحد أصولنا الثمانية بل لأكبر هذه الأصول وأعظمها"(٦)ويقصد به كتاب بحار الأنوار.

---

(١) انظر:كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري ١٠-١٣.

(٢) انظر: كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري١٣-١٧

(٣) المرجع السابق ١٧. وانظر تفسير الصافي/ المقدمة السادسة ١٤.

(٤) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري١٧.

(٥) انظر: المرجع السابق ١٧-١٨.

(٦) المرجع السابق ٢٨.

وقد نقل الياسري رحمه الله تعالى أقوال علماء المذهب في الثناء على المجلسي. ثم عقب بقوله: وأثناء بحثي في أقوال وكلام وروايات المجلسي وجدته يؤمن بعقيدة تحريف القرآن بل ويدعو إليها وينشرها ويصر عليها ويتشدد لها في مؤلفاته وإليكم بعضاً من أقواله ورواياته[ثم ساق أربع عشرة رواية نقلها المجلسي] .

ثم نقل الياسري تصريح المجلسي باعتقاده حيث قال المجلسي: ((لا يخفى أن خبر تحريف القرآن وكثيراً من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وأن الأخبار في هذا الباب متواترة وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً بل إن الأخبار في تحريف القرآن لا تقصر عن أخبار الإمامة))(١). يقول الياسري في توضيح قول المجلسي: أي إذا قلنا إن الإمامة موجودة فيجب أن يكون القرآن محرفاً، وإذا قلنا أن القرآن غير محرف فهذا يعني أن الإمامة ليست موجودة(٢).

وهذا ما جعل بعض أعلام المذهب يصرحون بأن المجلسي يعتقد أن القرآن الموجود محرف، ويمثل الياسري بالطبرسي حيث قال: (العلامة محمد باقر المجلسي صرح بأنه يؤمن بتحريف القرآن)(٣).

ثالثا: محمد تقي علي محمد النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ).

وهو كما يقول الياسري: "صاحب أحد أصول ومراجع طائفتنا ألا وهو (مستدرك الوسائل) وكذلك صاحب كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب). تتلمذ العلامة المحدث النوري الطبرسي على يد العلامة الكبير مجدد الشيعة في القرن الثالث عشر السيد الشيرازي"(٤).

---

(١) مرآة العقول للمجلسي/ ١٢/٥٢٥. ضمن شرح باب أن القرآن كله لم يجمعه إلا الأئمة

(٢) انظر: كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري٣١-٣٢.

(٣) فصل الخطاب، (المقدمة الثالثة/ في ذكر أقوال علمائنا في تحريف القرآن) ص٢٦ــ٣١.

(٤) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري٣٤.

وقد قام الياسري بتوثيق كتاب فصل الخطاب حتى يقطع السبيل على من يريد التشكيك في نسبة الكتاب للطبرسي[1]، ثم نقل الياسري هدف المؤلف من تأليفه للكتاب كما في قوله في مقدمته: ((ويقول العبد حسين بن محمد تقي الطبرسي جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه، هذا كتاب لطيف وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان وسميته فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب))[2].

---

(١) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة. وممن نقل عنهم الياسري توثيقه للكتاب:-

- الملا باقر بن إسماعيل الكاجوري أيده بكتابه (هداية المرتاب في تحريف الكتاب) ذكره الطهراني في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج٢٥ ص١٩١).

- العلامة الملا محمد بن سليمان بن زوير السليماني [ذكره آغا بزرك الطهراني في الذريعة ج١٨ ص٢٧].

- العلامة الشيخ هادي النجفي في كتابه (محجة العلماء) [الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج١٦ ص٢٣٢، ج٢٠ ص١٤٤].

- العلامة الشيخ المولى محمد كاظم الخراساني في كتابه (الكفاية) [الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج١٦ ص٢٣٢، ج٢٠ ص١٤٤].

- وقد ذكر محمد مهدي الموسوي الأصفهاني في كتابه (أحسن الوديعة ص٨٩): ((إن المسيحيين ترجموا هذا الكتاب بلغاتهم ونشروها)) إهتماماً منهم بالمؤلف والكتاب.

- العلامة أغابزرك الطهراني: في كتابه نقباء البشر في القرن الرابع عشر عند ترجمة النوري الطبرسي.

- السيد ياسين الموسوي: في مقدمة كتاب النجم الثاقب للنوري الطبرسي.

- رسول جعيفران: في كتابه أكذوبة التحريف.

- العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي: في كتابه حقائق هامة حول القرآن الكريم.

(٢) فصل الخطاب/ المقدمة.

ثانيا: بعض علماء الطائفة المتأخرين القائلين بتحريف القرآن:

أولا: نعمة الله الموسوي الجزائري(١).

نقل الياسري رحمه الله تعالى تزكية محمد باقر الخوانساري(١٣١٣هـ) في كتابه:(روضات الجنات)، ثم نقل عن الجزائري تصريحه بعقيدته ومنها قوله:

(قد روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء ويخرج قرآن أمير المؤمنين فيقرأ ويعمل بأحكامه)(٢).

وقوله : (وأخبارنا متواترة بوقوع التحريف في القرآن والسقط منه بحيث لا يسعنا إنكاره)(٣).

ثانيا: المحدث يوسف البحراني(٤).

نقل الياسري عنه أنه قال: (لا يخفى ما في هذه الأخبار من الدلالة الصريحة والمقالة الفصيحة على تحريف القرآن وبشكل واضح ولو تطرق الطعن إلى هذه الأخبار على كثرتها وانتشارها لأمكن الطعن إلى أخبار الشريعة كلها كما لا يخفى، إذ الأصول واحدة

---

(١) هو نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الجزائري، ولد ١٠٥٠ وتوفي ١١١٢هـ. تتلمذ على الفيض الكاشاني وهاشم البحراني والمجلسي. انظر: الكنى والألقاب للقمي، والذريعة٢/٤٦

(٢) الأنوار النعمانية ج٢/٢٦٣.

(٣) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري٧١.

(٤) هو يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني، من آل عصفور. من أهل البحرين، توفي في كربلاء ١١٨٦هـ/١٧٧٢م. كان له دور كبير في تاريخ التشيع في البحرين، من أشهر كتبه: الدرة النجفية من الملتقطات اليوسفيه، وأنيس المسافر، و لؤلؤة البحرين، وسلاسل الحديد في الرد على ابن أبي الحديد (ألفه في الرد على شارح نهج البلاغة في إثباته خلافة الخلفاءالثلاثة)وقد رد عليه علم العراق أمين السويدي في كتابه الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد) انظر الأعلام ٨/٢١٥. الذريعة (١/٢٦٥)، (٢/٤٦٥).

وكذا الطرق والرواة والمشايخ والنقلة ولعمري أن القول بعدم التغيير والتبديل لا يخرج من حسن الظن بأئمة الجور وإنهم لم يخونوا في الأمانة الكبرى مع ظهور خيانتهم في الأمانة الأخرى التي هي أشد ضرراً على الدين-يقصد الولاية والخلافة-)[1].

ثالثا: آية الله حبيب الله الهاشمي الخوئي[2].

نقل عنه الياسري أدلته التي ساقها للاستدلال على نقص المصحف فقال: ذكر هذا العالم أدلة كثيرة تدل على نقصان القرآن ، وهي:

١ـــ نقص سورة الولاية.

٢ـــ نقص سورة النورين.

٣ـــ نقص كلمات من آيات القرآن.

٤ـــ أن الإمام علي لم يتمكن من تصحيح القرآن في عهد خلافته بسبب التقية، وأيضاً حتى تكون حجة في يوم القيامة على المحرفين والمغيرين ثم قال : إن الأئمة لم يتمكنوا من إخراج القرآن الصحيح خوفاً من الاختلاف بين الناس ورجوعهم إلى كفرهم الأصلي)[3] وهذا يدل بوضوح على أن حبيب الله الخوئي يعتقد بنقص المصحف ووقوع التحريف اللفظي.

هذه -باختصار-بعض الأمثلة التي عرضها الياسري في كتابه.

---

(١) الدرر النجفية العلامة المحدث يوسف البحراني ص٢٩٨(ط:مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)

(٢) حبيب أو حبيب الله بن محمد بن هاشم العلوي الخوئي الأذربيجاني، من أهل النجف، اشتهر بكتابه"منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة"، توفي ١٣٢٤هـــ/١٩٠٦م.انظر:الأعلام٢/١١٦

(٣) كتاب القرآن وعلماء أصول ومراجع الشيعة للياسري ٧٩-٨٠. وانظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة٢/٢١٤-٢٢٠ (مؤسسة الوفاء ـــ بيروت) .

والخلاصة هي أن الياسري يرى بأن كثيرا من أعلام المذهب يقررون عقيدتهم بوقوع التحريف في القرآن، وهو أمر ينكره الياسري أشد الإنكار ويرى بأنه يخالف اعتقاد الأئمة من آل البيت رحمهم الله وجميع المسلمين.

المطلب السادس: الإمامة

يري الياسري بأن أئمة آل البيت وعلى رأسهم علي رضي الله عنه يمثلون مستوى عال من العلم والعبادة والجهاد في سبيل الحفاظ على الدين، وهو ما يفسر به الياسري المنزلة الواردة لبعضهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثل كون علي لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وأنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كما في الأحاديث المشهورة(١).

موقف الياسري من القول بالنص على الأئمة.

نستطيع أن نأخذ موقف الياسري من عقيدة النص على الأئمة الاثني عشر من خلال أمور ذكرها في كتابه المنهاج تحت عنوان "الإمامة"، وهي باختصار:

---

(١) مذهبنا ص ٥، والياسري يشير إلى حديث علي رضي الله عنه:(عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) رواه أحمد في المسند(١/٩٥، ١٢٨) وفي فضائل الصحابة٢/٦٩٦. والترمذي٥/٥٩٤ . وابن ماجه١/١٤٢وغيرهم. وقد صححه الدكتور وصيّ الله بن محمد عباس في تحقيقه لفضائل الصحابة(ح٩٤٨).

وأما حديث بريدة وغيره (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله..)فقد رواه مسلم ٤/١٨٧١ح٩٨٧.وأحمد(٥/٣٥٥) (٢/٣٨٤).والنسائي في الخصائص ص٥

١ . أن القرآن يبين أن الله تعالى إذا أراد تعيين أحد لمنصب (تشريعي أو تنفيذي) فإنه يصرح باسمه.

يقول رحمه الله تعالى:" عندما أراد الله أن يجعل آدم خليفة وإماما ذكر لنا نصا صريحا في القرآن وكذلك عندما جعل غيره من الأنبياء كإبراهيم وغيره أو من غيرهم كطالوت ، فإن الله يذكر لنا نصا صريحا في القرآن"، ثم سرد آيات كثيرة تدل على ذلك منها :

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً..))[البقرة٣٠]

((يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ..))[سورة ص٢٦]

((يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾)) [سورة مريم١٢]

((وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾))[الأنعام٨٣-٨٦]

((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾))[يوسف:٢٢][١].

وواضح أن الياسري يلمح إلى أن النص على إمامة علي غير موجود في القرآن.

---

(١) المنهاج ٨٩-٩٠.

٢.الإمامة لا تستلزم الأفضلية.

بين الياسري رحمه الله تعالى بأن القرآن قد دل على أن الإمامة لا يلزم أن تكون في الأفضل، وأنها تصح أن تكون للمفضول مع وجود من هو أفضل منه، يقول رحمه الله تعالى:" وكما وهب الله الخلافة والملك لطالوت وهو ليس نبياً فلا يلزم أن يكون الإمام أفضل أهل عصره إذ قد كان طالوت ملكاً بأمر الله سبحانه وتعالى ونصه في حين أن نبي الله يوشع وداود موجودان"(١).

ثم يستدل الياسري على ما ذهب إليه بقوله تعالى: ((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾)) [سورة البقرة٢٤٧]

٣.الإمام والعصمة.

يرى الياسري أن القول باشتراط العصمة في الإمام يخالف تعيين الله طالوت ملكاً مع وجود النبي المعصوم يوشع بن نون عليه السلام.

يقول رحمه الله تعالى: "جعل الله طالوت ملكاً وإماماً وخليفة ولم يكن طالوت معصوماً إنما المعصوم هو النبي المذكور وهو يوشع بن نون عليه السلام كما قال تعالى في الآية السابقة: ((وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك..))(٢).

---

(١) المنهاج٩٠.

(٢) المنهاج ٩١.

٤. وظيفة الإمام.

يشير الياسري رحمه الله تعالى إلى دلالة القرآن على أن الإمام ليس مشرّعاً، وإنما هو منفذ وناشر للشريعة الموجودة في القرآن والسنة.

يقول رحمه الله تعالى:" إن وظيفة الكتاب والسنة حفظ الشريعة والإمام ليس حافظا لها بل هو أداة تنفيذ الشريعة ونشرها ولا يملك الحق في التحليل والتحريم إلا الله سبحانه وتعالى كما هو مبين في بابه، والإمام يرجع إلى نصوص الكتاب حتى لو كان نبيا".

ثم يستدل الياسري على ذلك بقوله تعالى :

((مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾)) [سورة آل عمران]

كما يؤكد الياسري بأن الإمام ليس مرجعاً في التشريع ما دام ليس نبياً، وإنه يجب عليه أن يرجع إلى نصوص الكتاب والسنة، فيقول:"وأما من لم يكن نبياً فيرجع إلى نصوص الكتاب والسنة" ثم يستدل على هذا بآيات متعددة منها:

قوله تعالى: ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾))[سورة النساء٥٩][(١)].

٦. طريق اختيار الإمام في القرآن.

أشار الياسري إلى أن القرآن قد حدّد طريقةً اختيار الإمام والخليفة وولاة الأمور في الإسلام في آيات هي:

---

(١) المنهاج ٩٠-٩١.

((وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ..))[الشورى٣٨]

ويقول الياسري : "بل إن الله أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا ينفرد بإدارة الأمور فقال له :((وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ)) [آل عمران١٥٩](١).

والخلاصة هي أن الياسري يرى بأن الإمامة تكون بالشورى وعليه فإنه لا نص عليها، وأن الإمامة تصح أن تكون للمفضول مع وجود الأفضل، وأن الإمام منفذ للشريعة وليس بمشرع، وأنه لا تلازم بين الإمامة والعصمة.

المطلب السابع: العصمة

يرى الياسري بأن الأئمة قد أكّدوا أصلاً مهماً "وهو أن كل ابن آدم خطاء، وأن كل إنسان معرض للخطأ والنسيان والسهو والغفلة وغيرها من العوارض والصفات البشرية".

ويستدل الياسري على قوله بما جاء عن الإمام علي عليه السلام يقول: (لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره)(٢) .

ثم يقول الياسري: "ويؤكد أيضاً الإمام علي عليه السلام هذا الأصل قائلا: (ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين)"(٣).

---

(١) المنهاج ٩١.

(٢) نهج البلاغة ٢/ ٢٠١.

(٣) مذهبنا ٧١.

وقول علي رضي الله عنه يدل على أنه يخطئ ويذنب، وإلا لما صرح بأنه يخطئ بقوله: (فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي) كما سبق([1]).

كما يبين لنا الياسري رحمه الله في موضوع العصمة أمرين مهمين:

الأول: أن الأنبياء هم أفضل من جميع البشر مهما كانت مترلتهم([2]).

الثاني : أن الأنبياء معصومون.

غير أن الياسري في كتابه المنهاج قد ساق آيات كثيرة تحت عنوان (عصمة الأنبياء)، تشير إلى حقيقة العصمة التي يعتقدها، وهي :

١. أن عصمة الأنبياء في التبليغ.

٢. أن نسيان النبي لا ينافي العصمة، وأنه قد يكون لحكمة.

٣. أن من عصمة الأنبياء أنهم أعلى الناس أخلاقا.

٤. أن من عصمة النبي أنه لا يدعوا إلى ما يخالف توحيد الله، أو إلى معصية الله.

٥. أن النبي المعصوم بشر يحتاج إلى استشارة غيره، ولهذا أمر الله نبيه بالاستشارة، وهذا لا ينافي العصمة.

٦. أن الله تعالى أمر رسوله بأن يستغفر لذنبه.

٧. أن نقص معلومات النبي ببعض الحقائق التي حوله لا يضر بالعصمة، ومن ذلك عن بعض المنافقين ((وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡ(١٠١))) [سورة التوبة١٠١]

٨. أنه لا تلازم بين العصمة وبين العلم بالغيب.

٩. أن النبي المعصوم ينتابه ما ينتاب البشر، ومن ذلك :

---

(١) انظر ص ٢٨٣

(٢) المنهاج ٢٧.

- الخوف، كما وقع لموسى عليه السلام ((وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾))[النمل ١٠].
- الغضب وما يتبعه، كما وقع لموسى مع الرجل الذي ضربه موسى فقضى عليه(١)، وكما وقع منه حين ألقى الألواح من شدّة الغضب(٢)، وكما وقع لذي النون لما ترك قومه حين غضب على قومه أيضاً(٣).
- الخطأ في الحكم في القضاء بين الخصوم، كما وقع لداوود(٤).
- الخطأ في تصور إمكانية الشيء، كما حدث لموسى عندما طلب من الله تعالى أن ينظر إليه، ظنا منه إمكانية ذلك في الدنيا، وكما حدث لنوح عندما طلب من الله أن ينجي ابنه فعاتبه الله على ذلك.

وغيرها من الحقائق التي أشار إليها الياسري رحمه الله تعالى(٥).

أما غير الأنبياء فقد ذكر الياسري أن الأئمة قد أكدوا في كلامهم أصلا مهما هو "أن كل ابن آدم خطاء، وأن كل إنسان معرض للخطأ والنسيان والسهو والغفلة وغيرها من العوارض والصفات البشرية، فها هو الإمام علي عليه السلام يقول: (لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب

(١) كما في سورة القصص١٥-١٩.

(٢) كما في سورة الاعراف١٥٠.

(٣) كما في سورة الأنبياء ٨٧.

(٤) كما في سورة ص٢١-٢٦.

(٥) انظر المنهاج٢٤-٢٧.

غيره)[1]، ويؤكد أيضاً الإمام علي عليه السلام هذا الأصل قائلا: (ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين)[2].

والخلاصة هي أن الياسري رحمه الله تعالى يرى بأن الأنبياء هم المعصومون فقط، وأن عصمتهم تعني أنهم لا يخطؤون في تبليغ الرسالة ولا في الأمر بما يخالف مقتضى الرسالة سواء في أصول الدين أو فروعه، وأن عصمتهم لا تخرجهم من البشرية التي تلازمها العوارض البشرية كالخوف والغضب والخطأ غير المقصود في القضاء والطلب ونحوه، والله أعلم.

المطلب الثامن: رأيه في الغيبة والرجعة

قد تناول الياسري هذه المسائل في بعض المواضع من كتبه، ويمكن أن نلخص أفكاره بما يلي:

أولا :- "أن الله ذم في القرآن الرهبانية التي هي في حقيقتها صورة من صور العزلة، ومدح الله الذين يخالطون الناس ويدعوهم إلى الإيمان ويأمروهم بفعل المعروف وينهوهم عن المنكر"(٣)

ويستدل الياسري على هذا بأدلة منها:

قوله تعالى ((وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَـٰهَا عَلَيۡهِمۡ))[الحديد٢٧]

(١) نهج البلاغة ٢/ ٢٠١

(٢)نهج البلاغة ٤/ ٧٢.

(٣) المنهاج ٨٦.

وقوله:((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ))[آل عمران١٠٤]

وقوله: ((قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾)) [يوسف١٠٨](١).

والياسري بهذا يشير إلى أن الغيبة تخالف هذه الصفة التي يمتدح بها الله خيرة خلقه وهي مخالطة الناس ودعوتهم إلى الحق خلافاً للغيبة.

ثانيا : أن الله أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في مثل قوله تعالى:

((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ))) [عمران١٠٤](٢).

و الياسري يشير هنا إلى أن اختفاء الأمام يخالف هذا الأصل مع شدّة حاجة الناس إلى الإمام المصلح.

ثالثا : أن الله أمرنا بالصبر ومدح الصابرين وفضلهم على الآخرين الذين يهربون من الابتلاءات ومهمات الدعوة ولا يستطيعون الصبر عليها (٣).

ومن ذلك :

قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ)) [سورة السجدة٢٤]

---

(١) وانظر المنهاج ٨٦.

(٢) المرجع السابق٨٦

(٣) انظر: المنهاج ٨٦.-بتصرف يسير-

وقوله: ((فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ))[سورة القلم٤٨]

وقوله: ((ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا)) [سورة الأحزاب٣٩].

والياسري هنا يريد بيان أن الاختفاء لا يمكن أن يتوافق مع هذه الآيات الآمرة بالدعوة والصبر عليها.

رابعا: أن "القول بأن المهدي سوف يحيي أعداء الأئمة قبل يوم القيامة، وأنه سينتقم منهم، و يحاسبهم قبل يوم القيامة ويقضي بينهم ويجازيهم، مناقض لما جاء في القرآن من أن الحياة بعد الموت تكون يوم القيامة فقط ولأن الله هو الحسيب والقاضي" (١) . مثل:

قوله تعالى: ((ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ)) [سورة المؤمنون١٦]

((وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾)) [سورة آل عمران١٥٨]

((قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ))[سورة السجدة: ١١](٢).

---

(١) المنهاج ٨٧.

(٢) المنهاج٨٨.

خامسا: "أن الرجوع يكون يوم القيامة يوم تبدل السماوات والأرض والنجوم والجبال وبعده يكون إما إلى الجنة أو إلى النار وليس هناك رجعة إلى الدنيا "(١).

كما قال تعالى: ((يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) [سورة التغابن: ٩].

وواضح من خلال ما مضى أن الياسري يعارض فكرة الغيبة ابتداء لمخالفتها أوصافا حميدة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومخالطة الناس والصبر من أجل الدعوة إلى الله.

كما أن الياسري يرى بأن القول بإعادة المهدي للمخالفين غير صحيح، لأنه يخالف الآيات التي تقرر بأن البعث لا يكون إلا بعد الموت. والله أعلم.

المطلب التاسع: رأيه في الصحابة.

اتخذ الياسري في موضوع الصحابة رضي الله عنهم طريقا معتدلا ومنصفا، بعيدا عن كل تمويش أو تزييف.

ويمكن أن نلخص رؤيته للصحابة الكرام فيما يلي:

أولا: الثناء على الصحابة:

يعد الياسري أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم من"حملة الرسالة الإسلامية وجنودها الذين أوصلوا القرآن والسنة النبوية للناس كافة وهم المهاجرون والأنصار"(٢).

---

(١) المنهاج ٨٩.

(٢) مذهبنا ٨

كما بيّن الياسري أن الله تعالى زكاهم في القرآن في آيات كثيرة، منها:

قوله: ((إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) [سورة الأنفال٧٢]

وقوله: ((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾)) [سورة الفتح٢٩]

((لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾))[سورة التوبة١١٧]

وغيرها من الآيات الكثيرة التي سردها الياسري في الاستشهاد على ذلك(١).

ثالثا: الخلفاء الراشدون:

يرى الياسري بأن الخلفاء الذين تولوا من بعد رسول الله تعالى هم راشدون عدول، وأنهم أي الأربعة خيار الأمة.

---

(١) انظر المنهاج٦٩-٧١.

ولهذا عقد الياسري فصلا في كتابه المنهاج عنوانه(الخلفاء الراشدون) ثم ذكر الآيات التي يرى بأنهم من أول الداخلين فيها، وهي:

((وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾)) [النور٥٥].

((وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ)) [الحجرات٧].

((ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ))[الحج٤١].

((لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾)) [الحشر٨].

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ))[المائدة٥٤].

فالياسري يرى بأن الخلفاء الأربعة كلهم من الذين حبب الله إليهم الإيمان، وأنهم ممن مكنهم الله في الأرض فنشروا الدين وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأنهم من المهاجرين الذين يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وأن فيهم تحقق وعد الله باستخلافهم في الارض.والله أعلم

ثانيا: زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

يعتبر الياسري أن"أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم هن أمهات المؤمنين" ويشير إلى أن لهم فضائل في القرآن منها:

أ- منزلتهن العظيمة من المؤمنين، كما في قوله: ((ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ)) [سورة الأحزاب:٦].

ب- أنهن داخلات في قوله تعالى: ((يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ..[إلى أن قال تعالى:] وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣)) [الأحزاب:٣٢-٣٣]

ت- أنهن مطهرات من الإفك الذي يقوله فيهن المنافقون، كما في آيات سورة النور: ((إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ [حتى قوله تعالى] أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦)) [النور١١-٢٦].

وقد ذكر الياسري كثيراً من الآيات الدالة على فضائل أمهات المؤمنين اقتصرت على بعضها(١). والله أعلم.

(١) انظر المنهاج ٧١-٧٣.

المطلب العاشر:
رأيه في النوح واللطم عند المصائب

من المظاهر البشعة التي صارت للأسف من سمات المذهب الإمامي؛ ما يفعله الكثير ممن يحضر مجالس العزاء ومواكب الذكرى الحسينية وغيرها من لطم الخدود وضرب الرؤوس والصدور بالسلاسل والسيوف، مع ما يرافق ذلك من النياحة والعويل.

وقد بين الياسري [1]رحمه الله تعالى أن مذهب الأئمة يخالف هذه الطريقة الجاهلية ، واستدل على ذلك بما رواه علماء السنة والشيعة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً: (النائحة إذا لم تتب ألبسها الله يوم القيامة درعاً من جرب وثوباً من قطران)[3].

كما استشهد الياسري على أن منهج الأئمة يخالف هذه الظاهرة بقول علي رضي الله عنه: (يترل الصبر على قدر المصيبة، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط عمله)[4].

وقول علي رضي الله عنه : (تغلبكم نساؤكم على ما أسمع، ألا تنهوهن عن هذا الرنين)[5].

جدير بالذكر أن المعارضين لمثل هذه المظاهر المخالفة للإسلام في صفوف الشيعة كثير، لاسيما في المتأخرين منهم وعلى رأس هؤلاء آية الله العظمى السيد أبو الحسن

---

(١) انظر كلامه في كتاب مذهبنا ٧٠

(٢) البخاري (ح:١٢٩٤، ١٢٩٧).مسلم (ح١٠٣). و مستدرك الوسائل(٢/٤٥٢ رقم ٢٤٤٣) بحار الأنوار(٩٣/٧٩)كلهم عن ابن مسعود.

(٣) مسلم (ح٩٢٣). أحمد (٥/٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤).الحاكم(١/٣٨٣).ومستدرك الوسائل(٢/٤٢٥ رقم٢٤٤٦) كلهم عن أبي مالك الاشعري.

(٤) نهج البلاغة/قصار الحكم رقم ١٤٤

(٥) نهج البلاغة /قصار الحكم رقم ٣٢٢.جامع أحاديث الشيعة ٣/٣٨٧. البحار ٨٢/٨٩.

الأصفهاني-المرجع الأعلى للشيعة في وقته- وآية الله العظمى السيد محسن الأمين العاملي-كبير علماء الشيعة في سوريا في وقته- الذين أعلنا حرمة هذه الأعمال عام ١٣٥٢هـ مما سبب انحسارا كبيرا في مثل هذه الأعمال(١) ، لكنها لم تلبث أن عادت بعد وفاة الأصفهاني سنة١٣٦٥هـ(٢) على يد المراجع بعده، ولازال بعض علماء الشيعة ومثقفيهم لا يرتضون هذه الأعمال، التي تخالف الشريعة وتشوه الإسلام.

المطلب الحادي عشر:
دعوته إلى الوحدة الإسلامية

يرى الياسري بأن الله تعالى أمر المسلمين بالاجتماع ونهاهم عن الفرقة في آيات كثيرة في كتابه، فقال : ((وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ))[آل عمران: ١٠٣].

((وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ))[آل عمران: ١٠٥].

((وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ)) [الأنفال: ٤٦].

---

(١) وعلى أن العاملي من الأعلام المنظرين للمذهب الإمامي في العصر الحديث إلا أنه قد اتُّهم بالانحراف بسبب هذه فتوى تحريم اللطم والتطبير من قبل أرباب الخرافة، كما يتجلى ذلك في قول أحد شعراء الشيعة الدمشقيين، معرضا بالعاملي:

يا راكباً إما مررت بجلّقٍ فابصق بوجه (أمينها)المتزندق.

انظر مجلة الواحة/العدد الأول/ مقال:النقد الذاتي وسلطة العوام لفؤاد ابراهيم www.alwaha.com/issuel/is٠١sb١٣.htm.

(٢) الشيعة والتصحيح ١٠١

((شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ))[الشورى: ١٣].

((إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ))[الأنعام: ١٥٩](١).

وهذه الآيات يقول الياسري بأنها تدل على " أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالوحدة والجماعة لأن قوة الإسلام في الجماعة، ونهانا عن التنازع والفرقة"(٢).

كما يرى الياسري بأن الأئمة ساروا على نهج القرآن في الأمر بلزوم جماعة المسلمين والحرص على وحدة كلمتهم، ويذكر الياسري شاهدا على ذلك(٣):

- قول الإمام الصادق عليه السلام: (من فارق جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه)(٤).
- عن الإمام علي عليه السلام: (فإياكم والتلون في دين الله، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وإن الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً، ممن مضى ولا ممن بقي)(٥).
- عن الإمام علي عليه السلام: (وخير الناس حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان)(٦)

---

(١) المنهاج ٦٧

(٢) مذهبنا ٣٠

(٣) مذهبنا ٦١

(٤) أمالي الصدوق/ ٢٩٧، الوسائل ٥/ ٣٧٧.

(٥) نهج البلاغة/ خطبة١٧٤(المعارف) ١٧١(صالح)

(٦) نهج البلاغة/ خطبة١٢٥(المعارف) ١٢٣(عبده)

- عن الإمام الصادق رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) (١)

وهذه الأقوال يرى فيها الياسري منهجا قرآنيا يدعوا إلى اجتماع الكلمة، وبيان أن "من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"(٢).

الوحدة لا تكون إلا بالرجوع إلى القرآن.

من محاسن الياسري أنه لم يتكلم عن أهمية اجتماع الكلمة فقط، بل رسم الطريق الذي يراه الحل الأمثل للوصول إلى ذلك.

فقد بين رحمه الله تعالى أن وحدة المسلمين لن تكون إلا بأن يقبل المسلمون جميعا العودة إلى القرآن ليحلوا جميع خلافاتهم، ويتركوا كل ما خلفه، وقد نقل عن الياسري أنه كان كثيراً ما يقول: "إن القرآن ليس شيعياً ولا سنياً" يعني بأنه مرجعاً عاماً للجميع.

ويعدّ الياسري الرجوع للقرآن هو المنهج الذي رسمه بعض أئمة آل البيت في آثارهم، مثل قول أبي عبد الله الصادق رحمه الله :(كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)، وقوله أيضا : (إن على كل حق حقيقة؛ فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)، وقوله: عن أبي عبد الله عليه السلام: (جاء رجل فسأله عن اختلاف الحديث عنهم يرويه من نثق به ومن لا نثق به؟ فقال الإمام عليه السلام: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فالذي جاءكم به أولى به)(٣) وغيرها من الأقوال.

---

(١) الكافي ٢/ ١٦٤

(٢) مذهبنا ٦١

(٣) سبق تخريجها ١٢١-١٢٢

يقول الياسري رحمه الله: "ولو أن المسلمين طبقوا وعملوا بهذه القواعد لتوحدت الأمة الإسلامية"(١).

ومن المهم أن نقول بأن الياسري لم يرد بيان أن المصدر الوحيد هو القرآن، لأنه رحمه الله يؤكد على أن السنة الثابتة هي مما يجب الرجوع إليه وأن الإعراض عنهما صفة الكافر أو المنافق(٢) ، ولكنه يرى بأن المصدر الذي يمكن أن يتفق عليه الجميع ابتداء هو القرآن، وهو الكفيل بأن يحاكموا إليه الأقوال الاعتقادية، ومن ثم الاجتماع على منهج قرآني بعيد عن الغلو والشرك، الذين بينهما القرآن غاية البيان.

وأخيراً: فمن خلال ما مضى يتبين أن السيد محمد الياسري رحمه الله تعالى ابتدأ مسار النقد والتصحيح من حيث لم يحتسب، فقد أراد أن يدافع عن المذهب في أحد أخطر القضايا الحساسة، فاكتشف أن ثمة حقائق قد غُيبت عنه وهي أن طائفة من أبرز أعلام المذهب يقررون عقيدة تحريف القرآن ونقصانه، وهو ما قاده إلى الشك، ومن ثم المراجعة والبحث بنفسه في كثير من القضايا الأخرى، فانتهى به الأمر إلى ترك عقيدة النص والعصمة (الإمامة)، وأهم منها الوعي على ألوان الغلو الذي أُدخل إلى ساحة المذهب باسم الأئمة رحمهم الله، و لم يستطع الياسري أن يكتم ما تبين له فذهب يؤلف ويتكلم ليبين أن القرآن يخالف ذلك، وأن الأئمة لم يأمروا بذلك إطلاقاً، فكانت النتيجة أن دفع الياسري حياته ثمناً لذلك، فرحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) مذهبنا ٩

(٢) انظر فصل(وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، والإعراض عنهما صفة الكافرين أو المنافقين) في المنهاج ١٨.

الفصل الرابع

آية الله العظمى

إسماعيل آل إسحاق (علامة خوئيني)

المبحث الأول: ترجمته

اسمه ونشأته:

هو إسماعيل بن عبد الكريم آل إسحاق الخوئيني.

ولد رحمه الله سنة ١٣٥٨هـ /١٩٣٧هـ في مدينة زنجان، ونشأ في كنف والده آية الله عبد الكريم الخوئيني([1]) من بين تسعة من الأبناء ، ومع هجوم المتحالفين في الحرب العالمية الثانية تعرضت مدينة زنجان للقصف، مما جعل والده ينتقل إلى قرية "خوئين"([2]) التي صار ينتسب إليها.

تعلم القرآن والأدب الفارسي والعربي في خوئين، ثم لما بلغ من العمر ثماني سنوات انتقل مع والده إلى مدينة قم حيث أكمل بقية دراسته على والده وغيره من الأساتذة.

ثم انتقل الخوئيني إلى النجف ليكمل دراسته، وبقي فيها ثلاث سنوات، درس فيها على آية الله محسن الحكيم، وأبي القاسم الخوئي وغيرها، ثم رجع إلى قم ودرس عند البروجردي والخميني وحسين المنتظري.

ثم تزوج الخوئيني، وانتقل إلى طهران بدعوة من محمد رضا المهدي وحسين النوري وإمامي الكاشاني، فأقام في طهران وبدأ يدرس في المدرسة العلوية.

ثم بإشارة من البروجردي دخل كلية الإلهيات، في جامعة طهران، ودرس فيها على يد الأستاذ مرتضى مطهري وغيره لمدّة خمس سنوات.

---

(١) والده ممن تلامذة آخوند ملا كاظم الخرساني، ومن أقران آية الله العظمى البروجردي، وآية الله حتج سيد الزنجاني، وأستاذ رضا روزبة، وله تسعة من الأبناء كلهم دخلوا مجال العلم الشرعي.

(٢) قرية قريبة من آذربيجان. انظر: معجم البلدان ١٥٢/٣

أعماله:

شارك الخوئيني في عدّة أعمال مهمة منها:

- تأسيس مؤسسة رفاه طلاب العلوم الدينية في قم. وقد شارك في افتتاحها آية الله قدوسي المشرف، وبحضور الآلاف من الطلاب، ولخطورة هذه المؤسسة قام جهاز السافاك (جهاز المخابرات آنذاك) بإغلاقها، ومنع الخوئيني من التدريس مدّة أربع سنوات، ثم نفي بعدها إلى مدينة بيجار(١).
- نشط الخوئيني بعد الثورة في المجال الثقافي والاجتماعي، فقد قام بفتح حلقات وتقديم الدروس في مدينة بوشهر وتبريز، كما قام بتقديم المعونات الإنسانية عن طريق مؤسسة بيت الزهراء الخيرية، كما كان له مشاركات في إلقاء المحاضرات في إذاعة تبريز وآبادان وغيرها.
- إشرافه على برنامج "علاقة الجامعة بالمسجد" وهو برنامج تبناه مجموعة من العلماء في طهران عن طريق وزارة التعليم، واستمر الخوئيني مشرفاً على البرنامج لمدّة عام، ثم توقف البرنامج لوقوف حزب آخر من العلماء ضدّه.
- المساهمة في تأسيس مركز المستضعفين الخيري.
- ترأس مركز حماة القدس للتحقيقات الإسلامية.
- رشح الخوئيني نفسه لرئاسة الجمهورية-بطلب من مؤيديه- وذلك في الدورة الثانية، وهي ذات الدورة التي رشّح فيها محمد علي رجائي نفسه فيها، وقد أعلنت الجرائد هذا الخبر ولكن تم في الأخير رفض ترشيحه أخيراً دون ذكر أي سبب.
- رشّح الخوئيني نفسه للاشتراك في "مجلس الخبراء لانتخاب القائد"(٢)، ولكن لم يخرج اسمه ضمن قائمة المرشحين أيضاً.

---

(١) مدينة في محافظة كردستان

(٢) وهو مجلس يتكون من اثني عشر شخصا شرعياً وستة من ذوي الاختصاصات المختلفة.

ابتلاؤه:

تعرض الخوئيني رحمه الله تعالى إلى كثير من الابتلاءات بسبب تمسكه بآرائه التي تخالف الغلو والخرافة. وقد كانت رسالته التي وجّهها إلى قائد الثورة روح الله الخميني([1]) بداية لكثير من المحن التي لقيها بعد ذلك.

فبعد أن قام الخوئيني بنشر رسالته قبض عليه وسجن -رغم سابقته العلمية ومكانة أسرته علمياً واجتماعياً وسياسياً-، بل لعل هذه المكانة كانت من أكبر أسباب محاولة كسره ومحاولة الحيلولة دون بروزه أكثر.

كما سعى المخالفون للخوئيني إلى إيجاد أي مبرر من أجل أن يدينوه بالعمالة ولكنهم لم يفلحوا، فاضطروا لإجباره بعد ستة أشهر من الضرب والتعذيب إلى أن يقر بذنب لم يرتكبه وقرروا إعدامه، وتم إحضار عائلته من قم إلى طهران، فقام بتقديم الوصية المكتوبه لهم، وإخبارهم بالحكم الذي صدر بحقه، ولكن عناية الله تعالى أدركت إسماعيل الخوئيني، فقد مرض الخميني مرضه الأخير ثم مات، فتم تأخير حكم الإعدام، ثم تم نفيه إلى سجن إوين-وهو في حالة صحية سيئة-.

ومن أجل زيادة الضغط عليه وتضييق الخناق عليه، جاء الأمر بإلغاء عمله كرئيس في مكتب مركز حماة القدس، وقد لقي من جراء ذلك أزمة مالية كبيرة، لأنه يعيل خمسة عشر فرداً، وهو لا يستجيز أخذ شيء من سهم الإمام(الخمس).

كما أن زيادة مرض قلبه كانت تحول دون سهولة حركته، مما اضطره إلى بيع مزرعته، التي كانت تشكل ثمرة ثلاثين سنة من الجهد، من أجل العلاج.

وأخيراً: فإن من أشد ما لقي الخوئيني هو تخلي أسرة (آل إسحاق) عنه خوفاً من فقد مناصبهم ومكانتهم السياسية والاجتماعية، إلا أنه رحمه الله لم يتراجع عن مبادئه، وكان وبكل رباطة جأش كثيراً ما يردد قوله تعالى ((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم))[التوبة١١١] وقوله تعالى: ((إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً))[الكهف٣٠]، كما كان كثيراً ما يسلي نفسه بما لقيه من ألطاف الله وعنايته في كثير من محطات حياته من أجل أن يطمأن ويطمئن من حوله.

---

(١) سيأتي تلخيص أفكار هذه الرسالة.

وفاته:

لم يتوقف الخوئيني رحمه الله تعالى عن نشاطه الثقافي إلى آخر يوم من حياته، مع ما كان يلقاه من تهديد وتضييق، وقد بقي إلى آخر يوم من حياته وهو يتابع التأليف.

وقد توفي رحمه الله تعالى يوم التاسع من رجب من عام ١٤٢١هـ الموافق ٧/١٠/٢٠٠٠م بعد أن بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة.

آثاره العلمية:

كتب الخوئيني رحمه الله كثيراً من الكتب والمؤلفات والمقالات والرسائل، ونظراً لكثرتها سأسوق شيئاً منها:

أولا: الكتب المطبوعة:

١. البحث في المذاهب والأديان.

٢. تبيين الإسلام "معرفة الله في نظر الأنبياء" –٢٠مقالا–.

٣. الإيمان والإنسان–٣٠مقالاً–.

٤. منطقنا "آفات المعرفة–٣٥مقالاً–.

٥. أنواع المعرفة–٤٠مقالاً–.

ثانياً: كتب لم تطبع:

١. موانع المعرفة–٤٠ مقالاً–.

٢. الأكاذيب الكبيرة– الموجودة ووحدة الوجود.

٣. الأكاذيب الكبيرة وتكامل الداروني.

٤. الأكاذيب الكبيرة روح الفلسفي المجرد.

٥. "الحسين" وليس يا حسين وواحسين.

٦. "هو علي" وليس يا علي.

٧. أنواع الشرك وأقسامه.

٨. البدع في الدين(منظوم).
٩. الجواب على الأسئلة الدينية.
١٠. التربية الإسلامية.
١١. الموسوعة القرآنية- وهي موسوعة كبيرة تنقسم إلى ثمانية أقسام:
أ- عالم القرآن.
ب- إله القرآن (الإله في القرآن، صفات الله في القرآن، توحيد الله في القرآن، أفعال الله في القرآن..).
ت- النبوة في القرآن.
ث- الآخرة في القرآن (عدالة الله، العدالة الاجتماعية والعدالة في حق الإنسان).
ج- الإمامة في القرآن (الإمامة عند الشيعة، الإمامة عند السنة).
ح- أخلاق القرآن (عرض لأخلاق القرآن مع مقارنة بالأخلاق عند الفلاسفة والصوفية).
خ- أحكام القرآن (محرمات، واجبات).

ثالثاً: المقالات والرسائل، ومن أهمها:

١. التعبد والعبادة في القرآن.
٢. الاستعانة في القرآن.
٣. الصراط في القرآن.
٤. العقل والتعقل في القرآن.
٥. التقديس والتقدّس في القرآن.
٦. بنو إسرائيل في القرآن.
٧. الشفاعة في القرآن.
٨. الدعاء في القرآن.
٩. الولاية في القرآن.

هذه أهم الآثار التي كتبها الخوئيني رحمه الله ، وقد بقي غيرها الكثير، وقـد كـان يعرّف الخوئيني نفسه أحيانا بقوله : صاحب الألف مقال في نصرة الإسلام، وهذا يـشير إلى كثرة مقالاته وآثاره.

المبحث الثاني: أسباب تحول الخوئيني.

نشأ آية الله الخوئيني رحمه الله تعالى في بيئة شيعية وأسرة لها مكانتها العلمية، وترقى رحمه الله تعالى إلى أن بلغ مرتبة المرجعية.

والفترة التي عاشها الخوئيني رحمه الله كانت مليئة بالأحداث والتحولات السياسية على الساحة الشيعية في إيران، فمن ولادته ١٣٥٨هـ حتى سنة وفاته ١٤٢١هـ شهدت هذه الفترة الساحة الإيرانية أحداثاً هامة منها(١):

١. استبداد دولة الشاه.

٢. انتشار الأفكار الشيوعية والأفكار التغريبية.

٣. بروز تيار "العلماء المناضلون" الذين دخلوا في مضمار السياسية، كالكاشاني ومصدق، وهو تيار لقي مضايقات من قبل التيار التقليدي والسياسي في آن واحد.

٤. قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م.

٥. دخول حكومة الثورة فيما يسميه الخوئيني "المقتلة المتسلسة" وهو تصفية المثقفين والعلماء المخالفين لتوجهات التيار القيادي سواء من أهل المذهب أو غيرهم، وهو ما أدى إلى تراجع كثير من مؤيدي الثورة.

٦. وفاة قائد الثورة وبداية الغليان الداخلي من جراء عدم تحقيق الثورة للرفاه ورجوع الكبت.

وبالتأكيد فإن هذه التقلبات والتحولات كان لها أثر بالغ في أفكار الخوئيني رحمه الله تعالى، ولكن يبقى السؤال المهم:

---

(١) اقتصرت على ذكر ملخص لهذه الفترة لأنه قد سبق الحديث عن هذه الفترة في الفصول السابقة. انظر: ٨٢

كيف تحول الخوئيني ! ولماذا تخلى عن كثير من الأفكار!

للإجابة على هذا السؤال نقف على هذا النص الذي يكشف فيه الخوئيني بنفسه عن كثير من الحقائق حول تحوله، فيقول:

"بعد خمسين سنة من البحث والمطالعة ومعرفة الإسلام والبحث في مختلف المذاهب الفلسفية والعرفانية وأفكار الغلاة ومختلف المذاهب، وصلت إلى هذه النتيجة: أن حقيقة الدين هو القرآن الكريم، فإن القرآن يدعونا مراراً إلى قراءته والتدبر والتفكر فيه، وسبب كل هذا الضلال والحيرة والبعد العام عن حقائق القرآن هو عدم قراءة القرآن والتدبر في القرآن وعدم معرفة نظرة القرآن إلى الكون والحياة"(١).

ويتحدث الخوئيني في موضع آخر عن رحلة البحث والتحقيق في أبيات كتبها بعنوان: "أشكرك يا إلهي" قال فيها:

أشكرك يا إلهي، فقد تفكرت بفكري حسب الاستطاعة

أين كنت؟ متبع للفلاسفة والمنطقيين ومتفكر بفكرهم

كتبت قبل أربعين سنة شرحاً على منظومة ملا هادي

أظن طريقتهم على الهداية وأرى اللحاق بهم

اهتديت بسبب القرآن والإسلام وفهمت معنى آيات القرآن والإسلام

.. إلى آخر ما قال رحمه الله(٢).

إن هذه الكلمات السابقة تكشف ما يلي:

١. أن الخوئيني كان مقتنعاً بالتشيع الفلسفي.

٢. أن القرآن كان هو الدافع الأساسي للخوئيني نحو مرحلة فكرية جديد في حياته.

٣. أن المرحلة الجديد جاءت متأخرة في حياة الخوئيني لأنه يصرّح بأنه تحول بعد خمسين سنة من البحث.

ويمكن أن نصل إلى تحديد أدق لمرحلة الخوئيني الجديدة عندما نعرف أن رسالة الخوئيني التي وجهها إلى الخميني منتقداً إياه تبني فلسفة ابن سينا والسهرودي وغيرهم

---

(١) ضمن آخر رسالة للخوئيني ص ١٧

(٢) النص مترجم . والأبيات في القسم الأول من الموسوعة القرآنية.

من أصحاب وحدة الوجود، كانت هذه الرسالة في آخر سنة من حياة الخمـــيني أي عام ١٤٠٨هـــ تقريباً، بمعنى أن الخوئيني تحولت نظرته عن الفلسفة قريباً مـــن هـــذه السنوات التي يكون فيها قد جاوز الخمسين من عمره.

كما أن من أهم الأحداث التي كان لها أثر على نفس الخوئيني هو لقائه بالمحـــدث الدكتور أحمد ميرين السياد البلوشي([1]) رحمه الله، فقد ترك هذا اللقاء أثراً كـــبيرا في آراء الخوئيني رحمه الله.

وأخيراً فإن الخوئيني رحمه الله تعالى آثر أن يتخلى عن مرتبة المرجعية في المذهب، لّما تبين له كثيرٌ من الآراء الصحيحة، وكما يقول عن نفسه في أبيـــات مـــن الـــشعر الفارسي:

"تركت منصباً بعد ما كنت مرجعاً للمذهب كالآخرين ابتغاء وجه الله ولخوف عقوبة الجناية على دين الله.

لو لم أترك لكنت خائناً، لن أكون من أهل التزوير.

ولن آخذ أموالاً من الناس.

ولن أكون داعياً إلى ترويج المذهب

بل سأكون موحداً ومتبعاً للإسلام([2]).

---

(١) وهو المتخصص الوحيد في علم الحديث من أهل السنة في إيران آنذاك، ســـجن بتهمـــة الانتماء للوهابية، ثم سافر إلى الإمارات وبعد عودته ألقي عليه القبض في مطار بندر عباس، وبعـــد يومين وُجدت جثته ملقاة في الطريق، وذلك سنة ١٩٩٦م. انظر مقال الـــدكتور عبـــد الـــرحيم البلوشـــــــــــي: http:attajdid.tm.ma/archives/٢٠٠١/k٢٣-Avril/١٦٣/alaislami٣.html

(٢) النص مترجم من قصيدة بالفارسي بعنوان "أشكرك يا إلهي". انظر: القسم الأول من الموسوعة القرآنية

المبحث الثالث: آراء الخوئيني

المطلب الأول: بعض ما يتعلق بالتوحيد

إذا تأملنا كلام العلامة الخوئيني رحمه الله تعالى فإننا نجد فيه صفاءً ووعياً توحيدياً واضحاً، فهو يؤكد على أن أهم قضية عالجها القرآن هي قضية التوحيد والنهي عن اتخاذ الأنداد من دون الله تعالى، ويستدل الخوئيني على ذلك بأن الله تعالى جعل أعظم الذنوب هو الشرك بالله تعالى، وأخبر أنه يغفر الذنوب ما عدا الشرك، كما قال تعالى: ((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾))[النساء٤٨](١).

ويوضّح الخوئيني رحمه الله تعالى أنه حاول قدر المستطاع إيقاظ الغافلين لهذا الجانب فيقول: "بذلت جهدي وسعيت لإثبات التوحيد ونفي الشرك بأنواعها كما بذل الآخرون في هذا الصدد، وإبراهيم [عليه السلام] قدوة لنا في هذا الموضوع أي التوحيد، حتى رموه في النار، ولكن ما منعت هذه التهديدات والمشقات من بيان التوحيد ونفي الشرك والتخلص منه .

يوجد ألف وخمسمائة أية من آيات القرآن التي فيها بيان التوحيد ونفي الشرك ...وأنا كتبت كتاباً مستقلاً في هذا الموضوع باسم "أنواع وأشكال شركيات" أي:الشرك أنواعه وأشكاله-جزء من حقائق القرآن ومعارفه- وبينت كل ما ورد من الآيات في إثبات التوحيد ونفي الشرك بأنواعه"(٢).

ويرى الخوئيني أن في القرآن آيات كثيرة تدل على وجوب تحقيق إفراد الله بالعبادة، ومنها:

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية /القسم الأول ص٤٩ –مخطوط فارسي-.

(٢) المرجع السابق ص٥٠

قوله: ((وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ))[البينة ٥]

وقولـــه: ((وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ))[الأعراف ٢٩]

وقوله: ((قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ))[الزمر ١١]

وغيرها من الآيات التي يقول الخوئيني عنها : " في كل منها تصريح على الأمـــر بالاخلاص في العقائد الدينية، وعلى الأمر بالإخلاص في الأعمال والأخلاق، وحكـــم بوجوب تتريه التوحيد من شوائب الكفر والشرك والإلحاد والخرافات.."(١).

أبرز المخالفات في باب التوحيد.

يرى الخوئيني رحمه الله تعالى أن من أبرز الانحرافات الخطيرة في باب التوحيد مـــا يلي:

١. اتخاذ الوسطاء بين الله وخلقه في طلب الحاجات.

يرى الخوئيني أن اتخاذ الوسطاء بين العباد وربهم في طلب الحاجات من الأمـــور المخالفة لصريح القرآن الكريم، ومن هذه الآيات التي يذكرها الخوئيني:

قوله تعالى: ((مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ))[البقـــرة٢٥٥]، وقولـــه تعالى: ((فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ))[الـــشعراء ١٠٠]، وقولـــه ((فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ)) [المـــــــدثر٤٨]، وقولـــــــه ((لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ))الأنعـــام٥١]، وقولـــه تعـــالى: ((لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ))[الأنعام٧٠]، وقوله تعـــالى: ((مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا

---

(١) المرجع السابق ص ٩٩

تَتَذَكَّرُونَ)) [السجدة ٤] وغيرها من الآيات التي يقرر الخوئيني أنها تـدل بوضـوح على الأمر بالتوجه إلى الله مباشرة دون اتخاذ وسطاء(١)، ويقول رحمه الله: "فـيعلم أن الله تعالى لا يحتاج إلى أي واسطة سواء كانت إماماً أو غيره"(٢).

ويذكر الخوئيني أن شفاعة الأنبياء والأئمة وغيرهم من الصالحين يـوم القيامـة ثابتة، ولكنه ينبه إلى أن هذه الشفاعة لن تكون لمن يقع في الشرك، ويقول معلقاً على قولـه تعـالى: ((وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ))[التوبة ١١٤] فيقول الخـوئيني:"مـا التفـت إبراهيم إلى خطئه في أول وهلة، وندم بعدها وتبرأ من أبيه، وليَعْلم على هذا الأسـاس الذين يدعون علي والحسين وعزير وعيسى ومريم أن هؤلاء لا يشفعون للمـشركين الذين اتخذوهم وسيلة عند الله، وأنهم لا يـستطيعون الـشفاعة ولـو كـانوا أولي قربى"(٣).

ولهذا بين الخوئيني أن طلب الدعاء من البشر بقول: يا علي ويا حسين هو مـن الشرك، وقد أنشد أبياتاً جاء فيها:

قول يا محمد ويا علي شركٌ وكفر لا يخفى

وكذلك الذهاب إلى قبر من قبور الأولياء(٤)

أنا أتوب من ذلك الفعل

القرآن ديني والإسلام عملي، فهمت القرآن

---

(١) انظر: المرجع السابق/ القسم الثاني ١٦٣تحت عنوان: شفاعة ووسـطاء مـن الكـذب والخطأ.

(٢) المرجع السابق ١٨٨ تحت عنوان: الركن الرابع أيضا كذب. وانظر: القسم الأول مـن الموسوعة القرآنية ٦٩

(٣) المرجع السابق/ القسم الأول ص ٤٤

(٤) يريد الخوئيني الذهاب إلى القبور للدعاء والاستغاثة، وأما مجرد الزيارة للاتعاظ والـدعاء للميت فهي مستحبة.

ويل للإيرانيين من زعمائهم تأخروا من حيث العلم والفهم. رجعت إلى الحقيقة باكياً

مفاتيح الجنان(١) صار مفتاحاً لهم [أي الزعماء] والراية تتقلب من يد إلى يد أتأسف عليهم.

لابد من توضيح الدين ويكون العمدة في ذلك القرآن، لا يقبل غير هذا القرآن(٢)

٢. الإقسام على الله بحق الأئمة.

من الأمور التي تفشت بين صفوف الإمامية الإقسام على الله تعالى بحق أحد الأئمة، أو بحق الأئمة كلهم، فيقول الداعي: أقسم عليك بحق الحسين أو بحق الأئمة الأربعة عشر المعصومين أو بحق القرآن إلا أجبت سؤالي.

وهنا يقف الخوئيني ليبين أن الله تعالى لا يجب عليه حق لأحد بحيث يقسم عليه به، فيقول: "يجب أن نعلم أنه ليس للقرآن ولا لأحد من الأئمة الأربع عشر المعصومين-بحسب اعتقاد الشيعة- ولا لأحد من الرسل على الله حق حتى يصح لأحد أن يقسم على الله تعالى بحق القرآن أو بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي رضي الله عنهم والأئمة الآخرين، بل هذه من مخترعات الشيعة"(٣).

٣. القول بالولاية التكوينية.

ينكر الخوئيني رحمه الله تعالى القول بأن الأئمة يتصرفون بالكون أو أن لهم قدرة على ذلك، ويبين أن هذا من الشرك(٤).

---

(١) يقصد كتاب مفتاح الجنان تأليف حسن النوري الطبرسي.

(٢) الموسوعة القرآنية / القسم الأول –أبيات بعنوان (باز آمدم) ص ٧٩

(٣) المرجع السابق/ القسم الثاني – تحت عنوان: التيمن والتبرك بالقرآن وإقسام الله تعالى بحق القرآن. ص٢١٩

(٤) انظر: كتاب نهاية الإسلام من الموسوعة القرآنية /القسم الثالث٤٠٠-٤٠٣، وانظر:

ويتحدث الخوئيني عن أحد أشد الأقوال غلواً، وهو قول التيار الفلسفي من الإمامية، حيث يدعون "أن أمور العالم كلها بيد الأئمة يقلبنها كيف شاءوا"، ويرى الخوئيني أن هذه العقيدة فاسدة لأنها تخالف حقيقة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر من البشر كما قال تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ))[آل عمران١٤٤].

وينتقد الخوئيني الإمامية الفلاسفة يجعلون المهدي الغائب بمثابة العقل العاشر عند الفلاسفة، فالفلاسفة تقول بأن العقل العاشر هو المتصل بهذا العالم خلقاً ورزقاً، وأما الاتجاه الإمامي الفلسفي فيغلوا في الإمام حتى جعلوه واسطة الفيض بين الله وخلقه وقالوا إن الله تعالى يرزق العالم ببركته(١).

٤. *القول بأن الأئمة يعلمون الغيب*(٢).

٥. *القول بوحدة الوجود*(٣).

وقد وجّه الخوئيني رسالة إلى الخميني ذكر فيها ملاحظته على رسالته التي وجهها إلى (جور بتشوف) رئيس روسيا آنذاك: أهمها تبني الخميني آراء الفلاسفة ومنها القول بوحدة الوجود، كما ذكر أن كتابه لم يتضمن حقائق القرآن وأدلته، بل فيه إحالات على كُتُب الفلاسفة مثل ابن سينا (وهو كما يقول الخوئيني ممن كفّره أبو حامد الغزالي وذكر عشرين دليلاً على انحرافه)، وكُتُب ابن عربي الإشراقي (وهو كما يقول الخوئيني من معتقدي وحدة الوجود)، وكُتُب (ملا صدرا) الذي يقول الخوئيني عنه (الذي كفره علماء أصفهان بسبب اعتقاده بوحدة الوجود وانحرافاته الفكرية، ونفوه إلى قرية كهك

القسم الأول من نفس الموسوعة ٦٩ تحت عنوان: الانحرافات الناشئة عن الغلو.

(١) انظر من الموسوعة القرآنية / القسم الثالث- نهاية الإسلام ص ١٨٨

(٢) انظر: الموسوعة القرآنية/ القسم الأول- ٨٢، وانظر الرد على نسبة علم الغيب ص١٠١

(٣) المرجع السابق ٨٢. وقد أنكر الخوئيني على الخميني تبنيه في كتابه (مصباح الهداية) آراء الفلاسفة ومنها وحدة الوجود. (انظر رسالة إلى الخميني في الملحق).

في محافظة قم، وقد تبرأ-أي ملا صدرا- من الفلسفة والعرفان واسغفر في مقدمة كتابه الأسفار).

كما يذكّر الخوئيني الخمينيَ بموقف علماء قم حين أوقفوا درْسه الذي كان يقدّمه في "المدرسة الفيضية" (١) لأنه كان يدرس فكرة وحدة الوجود، وأيضاً ذكر الخوئينيُ الخمينيَ بموقف محمد حسين الطبطبائي حين منع البروجردي من تدريس فلسفة الأسفار في مدينة قم(٢).

وما يذكره الخوئيني رحمه الله تعالى يدل على أن الأفكار الفلسفية **كانت تلقى معارضة من قبل تيار آخر أقوى منه**، ولكن الأمر انقلب بعد ذلك حين اعتنى السلطة الخميني فقد أصبحت الآراء الفلسفية مدعومة، وصار الذي يقاومها أمثال الخوئيني.

ونظراً لأن الخوئيني درس الفلسفة وكان مقتنعاً بها، نجده شديد الإنكار لها لعلمه بما تضمنته من انحرافات خطيرة، وقد ألف رحمه الله تعالى كتباً ومقالات في رد كلام الفلاسفة، مثل كتابه الأكاذيب الكبيرة- الموجودة ووحدة الوجود.وكتاب الأكاذيب الكبيرة -الموجود ووحدة الموجود.والأكاذيب الكبيرة وتكامل الداروييني.والأكاذيب الكبيرة روح الفلسفي المجرد.

المطلب الثاني: رأيه في الإمامة والمهدي

بعد أن سار الخوئيني في طريق التأمل والمراجعة توصل إلى فكرة مفادها أن المذهب الشيعي هو حزب سياسي، وأن طائفة مفسدة أرادت ضرب الخلافة والمسلمين فقاموا بالتسمي بالإسلام، "واخترعوا عناوين الإمامة والولاية" وأتبعوا ذلك بمحدثات كثيرة.

كما يسأل الخوئيني سؤالا مهما: " لماذا زعموا بأن المهدي المزعوم غائب؟" وهو سؤال لا يجد الخوئيني له جواباً إلا أن يقول: "لكي يستطيعوا أن يدعوا خلافته ونيابته

---

(١) بدأ الخميني تدريس مادة الفلسفة في عام ١٣٤٧ وهو في السابعة والعشرين من عمره واستمر حتى عام ١٩٦٣ حيث جاء الأمر بنفيه.انظر: الامام الخميني لعادل رؤوف ٢٠

(٢) انظر رسالة الخوئيني إلى الخميني (في الملحق).

والولاية المطلقة، ولأجل تأسيس هذا وترويجه بدءوا يفسرون ويؤولـــون آيـــات القـــرآن الكريم حسب هوائهم، ووضعوا آلاف الأحاديث باسم النبي صلى الله عليه وآله ســـلم، واخترعوا مئات المعجزات والكرامات،واخترعوا أجوراً خيالية لزيارة القبـــور... وتعبـــوا قروناً حتى وضعوا كتباً في مقابل الصحاح الستة([١]) لأهل السنة كالكافي والوافي ومن لا يحضره الفقيه والاستبصار، ولأجل القوّة اخترعوا الخمس وسهم الإمام، ولأجل الطاعـــة المطلقة للمراجع اخترعوا المرجعية والرسائل العلمية"([٢]).

وباختصار فقد أعلن الخوئيني بشكل واضح رأيه في الإمامة حين صرّح بعدم وجـــود أي نص على الإمامة([٣])، وأخذ يستعرض أدلة المفيد([٤]) العقلية ويرد عليهـــا مبينـــاً أن الآيات التي تذكر لا دلالة فيها على الإمامة، فآية التطهير تدل على فضيلة ولـــيس علـــى الإمامة، وقوله ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ))[المائدة: ٥٥] لا توجد فيهـــا أي إشارة إلى الإمامة، وهي بلفظ الجمع وليست خاصة بعلي، والمراد منها: تولي جميـــع المؤمنين،وقوله صلى الله عليه وسلم (من كنت مولاه فعلي مـــولاه) لا يـــدل إلى علـــى وجوب تولي علي وعدم معاداته بل حبه ونصرته([٥]).

يبين الخوئيني رحمه الله رأيه الصريح في مسألة الإمامة عندما يصفها بأنها :"الأكذوبـــة التي هي قطعاً ويقيناً مخالفة للقرآن"

ثم يذكر الخوئيني أن من الأساليب التي اتخذت من أجل ترســـيخ مـــسألتي الإمامـــة والمهدي هو قيام المنظرين لها بإعطائها مترلة كبيرة بحيث يصعب على مـــن نـــشأ علـــى الإيمان بها أن يفكر في التشكيك بها، فيقول: "ضخموها[أي الإمامة] وكبّروهـــا، كمـــا

---

(١) الصواب: الكتب الستة، لأن الصحاح منها اثنان، والسنن الأربعة لم يشترط أحد منـــهم أن لا يروي إلا صحيح.

(٢) ضمن آخر رسالة للخوئيني ص ٢

(٣) الموسوعة القرآنية/ القسم الأول ص٨١-٨٢

(٤) سبقت ترجمته ص ١٦

(٥) انظر الموسوعة القرآنية/ القسم الأول

ضخموا قضية المهدي المزعوم وعرضوها بشكل قاطع وجدّي، واخترعوا له احتفالات مولد وخرافات أخرى إلى درجة لا يبقى مجال للإنكار ولا حتى التفكير والتدبر في سبب اختراع هذا المذهب وهذا الحزب السياسي.."(١).

من خلال ما مضى يتبين لنا أن العلامة الخوئيني لم يعد يؤمن بنظرية الإمامة ولا بولادة المهدي الغائب، كما تبين في ردّه السابق على أدلة الإمامية على ذلك.

المطلب الثالث: نقده لموقف الغلاة من القرآن

تحدث العلامة الخوئيني رحمه الله تعالى عن القرآن مبيناً أنه يعتقد بأن القرآن محفوظ بوعد الله تعالى وأنه هو ذاته الموجود بين يدي المسلمين من غير نقص ولا تحريف(٢).

ويذكر الخوئيني أن غلاة الإمامية سعوا في تأسيس هذه الفكرة الخطيرة(٣)، ويكشف الخؤيني عن جانب مهم للغاية؛ ألا وهو أن كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب" الذي ألّفه النوري الطبرسي لقي معارضة لما ألّفه، بل يذكر الخوئيني بأنه قد صدرت أحكاماً بتكفير مؤلفه من قبل بعض الشيعة والسنة أيضاً، فيقول: "وكتب الغلاة منهم -مثل الشيخ نوري الذي درّس عباس القمي(١٣٥٩هـ)- كتاباً في تحريف القرآن اسمه فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ولكن توجهت فتوى العلماء سنة وشيعة إليه بتكفيره وعداوته للقرآن، واهتم علماء الإسلام سنة وشيعة بهذا الموضوع اهتماماً بالغاً، ودافعوا عن القرآن بالرد على مخالفيه وبإظهار نواياهم تجاه القرآن من الريب والتحريف وغير ذلك"(٤).

---

(١) آخر رسالة ٢-٣

(٢) الموسوعة القرآنية / القسم الأول ١٠١

(٣)الموسوعة القرآنية القسم الأول ١٠١، والقسم الثاني ١٧٨

(٤) الموسوعة القرآنية/ القسم الثاني ١٧٨ تحت عنوان: تحريف القرآن.

كما أن من الأمور التي انتقدها العلامة الخوئيني رحمه الله هو تبني الغلاة **التفسير الباطني للقرآن**، حيث بيّن أنهم قصدوا من ذلك إبعاد الناس عن القرآن ، حيث ادعوا أن للقرآن معناً باطن لا يعلم معناه إلا الأئمة رحمهم الله، بل ادعوا أن لكل معناً باطنٍ باطناً آخر إلى سبعين بطن، يقول الخوئيني: "وعلى هذا من المحال أن تفهم المعاني الحقيقية من القرآن عن غير الأئمة"، ثم يبين الخوئيني بأن هذا الاتجاه هو الذي فتح الباب للتلاعب بالقرآن، بحيث كلما أوجدوا أموراً محدثة تخالف القرآن، قالوا: إن هذا الاختلاف مربوط بالباطن(١).

المطلب الرابع: رأيه في الصحابة

يرى الخوئيني بأن الموقف الذي اتخذه المذهب الإمامي من الصحابة رضي الله عنهم موقف في غاية النكارة، ويرى بأن الدافع الأساسي لهذا هو موقف سياسي، حيث إن هؤلاء الصحابة هم الذي أسقطوا ممالك الفرس والروم، مما دفع بعض أصحاب هذه الأمم المنهزمة إلى الحقد عليهم، فقاموا بالتستر باسم المذهب الشيعي والطعن في هؤلاء الذين نشروا الدين.

ويذكر الخوئيني أن بعض الإمامية وضعوا أوراداً ترسخ بعض العقائد منها مفتاح الجنان(٢) الذي هو في الحقيقة ترسيخ أهداف سياسية مثل لعن الآخرين وإيجاد الفرقة والاختلاف والأحقاد بين المسلمين(٣).

ويمثل الخوئيني بموقف الشيعة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث يكثرون من لعنه لأنهم ينسبون له كذبا وزوراً أنه ضلع فاطمة رضي الله عنها وكسر ضلعها وإسقاط

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية/ القسم الثاني ١٨٦، ٢٠٨

(٢) من تأليف عباس القمي(١٣٥٩هـ) وهو تلميذ نوري الطبرسي صاحب كتاب: فصل الخطاب.

(٣) الموسوعة القرآنية/ القسم الثاني ٢١٩

حملها، ويبين الخوئيني بأن مبدأ هذا الكذب هو الحقد من قبل بعض الذين أغضبهم آثـــار عمر وبقية الصحابة الكرام في نشر الإسلام وطمس حضارتهم، ويستشهد الخوئيني علـــى ذلك باستنكار الإيرانيين إلى اليوم سبي عمر بن الخطاب لبنات ملك الفرس، وأخذ أثاث قصور كسرى غنيمة وتقسيمه(1).

ويقصد الخوئيني بأن هؤلاء لو كانوا صادقين لما استنكروا تغلب المـــسلمين وهزيمـــة عباد النار، ولماذا لا يفرحون بالغنيمة المشروعة إذا كانوا يؤيدون نشر الإسلام والجهـــاد في سبيل الله؟.

---

(1) انظر: الموسوعة القرآنية/ القسم الأول ٤٠

المطلب الخامس: الطريق إلى الوحدة الإسلامية:

يرى الخوئيني أن الطريق إلى وحدة المسلمين هو أن يترك المسلمون هذه المذاهب التي خرجت بأسماء متفرقة ويعودوا إلى الاسم الأول وهو "الإسلام".

وفي هذا الصدد يذكر الخوئيني أن مما أهلك الأمم التي قبلنا تفرق كل ملة إلى فرق كثيرة، مستدلاً على ذلك بما جاء من قوله تعالى: ((ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون))(١).

ولهذا خطا الخوئيني هذه الخطوة بنفسه وأخذ يعلن بأنه ليس شيعياً، كما يصرح أنه لا ينتمي إلى أي مذهب، ويحارب كل اسم آخر غير اسم الإسلام، بل يفتخر بأنه مثل إبراهيم عليه السلام ((حنيفاً مسلما وما كان من المشركين)) ، فيقول بعد أن سرد آيات كثيرة تأمر بأتباع ملة إبراهيم عليه السلام : " وكذلك الآيات الأخرى في هذا الباب تثبت وتؤكد أن كل مسلم مكلّف بالدين الإسلامي فقط لا غير وانفصاله من الإسلام يكون بوقوعه في الشرك، وبناء عليه يجب على كل مكلف أن يكون مسلماً، يعني على دين الإسلام وليس له حق في أن يضم شيئاً من المذاهب الإسلامية، ويقول: هذا إسلامي ومذهبي(٢).

ولهذا يقول في آخر أحد منظوماته:

لم أعد داعياً إلى ترويج المذهب، بل أصبحت موحداً ومتبعاً للدين الإسلامي(٣).

ويرى أن مثل المذهب الشيعي إنما كان خروجا عن جماعة المسملين، فيجب على أهله أن يرجعوا عن تفريق المسلمين، ويتركوا الاختلاف والشتائم واللعن لبقية المسملين(١).

---

(١) انظر: موسوعة عالم القرآن/ القسم الأول(المنتقى من كلام الخوئيني-مترجم ص ١).

(٢) المرجع السابق ص ٤

(٣) المرجع السابق ص ٧

وهكذا فإن الخوئيني رحمه الله يضع هذا الأساس المتين الذي يجمع المسلمين بحق، لأن وجود المذاهب ولكل مذهب أصوله الخاصة، هو الذي يجعل المسلمين شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون،ولا شك بأن ما يقوله الخوئيني في محله إذا قيدنا ذلك بجواز وجود التسميات والاختلافات من غير إحداث أسماء يوالى ويعادى أو يمتحن الناس بها.

وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم على ما سماهم الله عز وجل : المسلمين المؤمنين عباد الله). رواه الترمذي في حديث طويل(٢).

وجاء رجل إلى الإمام مالك رحمه الله فقال : يا أبا عبد الله أسألك عن مسألة أجعلك حجة بيني وبين الله عز وجل، قال مالك : ما شاء الله لا قوة إلا بالله سل، قال: من أهل السنة؟ قال:"أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي"(٣).

---

(١) المرجع السابق ص٢.

(٢) الترمذي رقم٢٨٦٣ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني (صحيح الترمذي رقم ٢٢٩٨)، ورواه أيضا الإمام أحمد٤ /١٣٥، ٢٠٥

(٣) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٥

الفصل الخامس

أحمد الكاتب

المبحث الأول: ترجمته(*)

اسمه:

هو أحمد الكاتب، وهذا هو اسمه الجديد، وأما قبل ذلك فكان اسمه (عبد الرسول بن عبد الزهرة بن عبد الأمير لاري).

ولادته ونشأته:

ولد الكاتب سنة ١٩٥٣ في مدينة كربلاء، وقد نشأ في عائلة متدينة،وقد ذكر الكاتب أن لوالدته دوراً كبيراً في غرس معاني التشيع وأنها قد اهتمت كثيراً بتعليمه القرآن وهو ابن خمس سنين، ويذكر أنه نشأ بين أحضان أمه التي كانت كثيراً ما تلاعبه وهي تقول:

لو فتشوا قلبي رأوا وسطه * سطرين قد خطا بلا كاتب

العدل والتوحيد في جانب * وحب أهل البيت في جانب(١)

كما درس بعد ذلك في مدرسة خاصة أنشأها المرجع آية الله الشيرازي للتعليم الديني، ثم التحق بالحوزة العلمية وهو في الرابعة عشرة من عمره تقريباً(٢).

وقد درس على كل من: السيد محمد الشيرازي، والسيد كاظم القزويني(٣)، والشيخ غلام الوفائي(١)،والشيخ جعفر الهادي(٢)، والسيد محمد تقي المدرسي(٣)، والسيد جعفر الرشتي(٤)، والشيخ ضياء الزبيدي(٥).

---

* أحب أن أشكر الأستاذ أحمد الكاتب لأنه أراحني من عناء السفر إليه، عندما فتح المجال وبكل تعاون للمراسلة بالبريد الالكتروني لكل ما أريد السؤال عنه.

(١) انظر: رسالة من الأستاذ أحمد الكاتب إلى مرتضى القزويني
http://www.isl.org.uk/modules.php?name=News&file=article&sid=١٩٢

(٢)عن لقاء قناة المستقلة (الحلقة الاولى من مراجعات الكاتب)في تاريخ ١محرم ١٤٢٤هـ

(٣)السيد محمد كاظم بن السيد إبراهيم بن السيد هاشم الموسوي القزويني الحائري، ولد في كربلاء ، سنة ١٣٤٨، اشتهر بالخطابة، توفي عام ١٤١٥هـ. انظر:

مؤلفاته:

١. الإمام الحسين كفاح في سبيل العدل والحرية. وهو أول كتاب له، ألفه في سنة ١٩٧٠م .

٢. الإمام الصادق معلم الإنسان. وهو ثاني كتبه، ألفه سنة ١٩٧١م.

٣. تجربتان في المقاومة (عن ثورة العشرين وثورة التنباك في إيران). ألفه سنة ١٩٧٢م.

٤. عشرة ناقص واحد يساوي صفر (عن ضرورة الإيمان بالإمامة لتحقق الإيمان) ألفه سنة ١٩٧٣م.

٥. آلية الوحدة

٦. الحرية في الإسلام.

٧. مشكلة النفاق في العمل الإسلامي.

٨. الإيمان يتجلى في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٩. مذكرات فاطمة الزهراء(٦).

١٠. تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه.

---

http://www.al-rasool.net/١٠/pages/٦htm.

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢)أحد الأساتذة المعاصرين في الحوزة في قم.

(٣) هو محمد تقي بن محمد كاظم المدرسي، ولد في مدينة "كربلاء" بالعراق عـــام ١٩٤٥م، وقد عاد إلى العراق بعد الاحتلال الأمريكي بعدما هاجر منها زمن حكم البعث. انظـــر ترجمتـــه في موقعه الرسمي: http://www.almodarresi.com/biography.htm

(٤)هو آية الله الشيخ جعفر الرشتي ولد في رشت الإيرانية عام ١٣١٠هـــ ١٨٩٢م ثم هـــاجر إلى العراق ودرس على كبار العلماء، توفي في كربلاء في رجب عام ١٣٩٤هـــ . انظر: مجلة النبـــأ العدد٦١. ضمن مقال: ذكرياتي عن أخي http://www.annabaa.org/nba٦١/thuqreaty.htm

(٥) من رسالة خاصة(إجابة على بعض الإسئلة)

(٦) ضمن رسالة خاصة.

١١. نقد وتقييم كتاب كفاية الأثر في نصوص الاثني عشر.

المبحث الثاني: مراحل تحول أحمد الكاتب

إذا نظرنا إلى حياة أحمد الكاتب الثقافية، فإننا سنجده قد مرّ بمرحلتين أساسيتين(١):

المرحلة الأولى:
مرحلة التمسك بالعقيدة الإمامية.
من ولادته حتى سنة ١٩٨٨م.

أهم سمات هذه المرحلة:

١. التمسك بالاعتقاد الإمامي.

في هذه الفترة نشأ أحمد الكاتب وشب على عقيدة الإمامية، فقد نشأ في كربلاء وهو يتمنى أن يكون جندياً من جنود المهدي المنتظر، ثم أصبح داعية حركياً إلى المذهب، ولعل تأليفه لكتاب (عشرة ناقص واحد يساوي صفر) يكشف عن مدى قناعته بركنية هذه العقيدة في الإيمان، وقد أخبرني أحمد الكاتب بأنه كان يعتقد في تلك الفترة بأنها جزء من الإيمان الذي ينتفي الدين بانتفائه(٢).

---

(١) جرى كتابة هذا الفصل عن أحمد الكاتب وهو لا يزال على قيد الحياة ، ويبلغ الآن من العمر ما يقارب إحدى وخمسين سنة، ونسأل الله أن يزيدنا وإياه من طاعته وهداه ويمد أعمارنا في مرضاته، ويثبتنا على الحق إنه خير مسؤول.

(٢) المرجع: رسالة خاصة من الكاتب.

٢. دخوله في العمل الحزبي المنظم، والعمل الثوري.

فقد انخرط أحمد الكاتب إلى صفوف منظمة العمل الإسلامي(١) التي تعد ضمن المدرسة الشيرازية الثورية من جهة، والمتطرفة في تطبيق مبادئها، وقد ترقى الكاتب حتى صار عضواً قيادياً في الحركة.

ونتيجة لذلك فقد ترك أحمد الكاتب العراق سنة ١٣٧٠هـ، متنقلاً بين الخليج وإيران وغيرها.

ولما قامت الثورة في إيران غادر الكاتب إلى طهران في أول طائرة من الكويت إلى إيران، وهناك ساهم في افتتاح الجزء العربي في إذاعة طهران وعمل رئيساً لهذا القسم،وقد كان يهاجم منها النظام العراقي، ويحث الشعب العراقي على الانتفاض(٢).

---

(١) هي منظمة عراقية شيعية تأسست قبيل السبعينيات تحت رعاية آية الله محمد الشيرازي، وهي تتحفظ من اسم "حزب" لتحريم الاحزاب من قبل بعض مؤسسيها، وإيمانهم بوجوب قيادة المرجعية المطلقة، ولذا تبنت المنظمة طرح فكرة ولاية الفقيه قبل الخميني، وهم ممن لا يؤمنون بفكرة المرحلية-كما هي حال حزب الدعوة-، بل يؤمنون بما يسمونه حرق المراحل،وهي بالاضافة إلى ذلك تتبنى رؤية ترك التقية في هذا الزمن لعدم الحاجة، مما أعطاها طابع الثورة والمصادمة، ، وقد كان من أبرز كوادرها: هادي المدرسي(مشرفا على أوضاع الحركة في البحرين)، والسيد محمد تقي المدرسي(مدير أوضاع الجزيرة العربية والكويت)، ومحسن الحسيني(متابع شؤون العراق)، وبعد انتصار الثورة في إيران تسمى كل فرع للمنظمة باسم آخر، ففي العراق بقي اسم(منظمة العمل الاسلامي)، وفي البحرين (الجبهة الاسلامية)باشراف هادي المدرسي، وفي الجزيرة العربية (منظمة الثورة الاسلامية) بقيادة حسن الصفار، وكان تقي المدرسي هو المرجع لكل هذه الحركات إضافة لعمله في الكويت. غير أن المنظمة تفكك كثير من أجنحتها واستقل بعضهم باجتهادات كبيرة كما هو حال(منظمة الثورة الاسلامية) التي دخلت مع القيادة السعودية في حوار دون موافقة المرجع الأعلى للمنظمة(محمد تقي المدرسي) ومن ثم الانفصال عن مرجعيته. انظر كتاب عراق بلا قيادة لعادل رؤوف٢٣١-٣٠٣.

(٢) لقاء الجزيرة (برناج بلا حدود) الأحد ١٤٢٢/١٠/٢٢هـ الموافق ٢٠٠٢/١/٦م. و

٣.الدعوة إلى المذهب في السودان.

حدث خلاف بين قيادة منظمة العمل الإسلامي وقيادة الثورة في إيران في مطلع الثمانينيات فطلب من المنظمة أن تخرج من إيران، فخرجت قيادتها، وتوقف أحمد الكاتب عن عمله في الإذاعة، وبعدها انتقل إلى السودان سنة ١٩٨٦م في حملة تابعة للمنظمة يدعوا إلى التشيع الإمامي، وقد حقق أحمد الكاتب نتائج في دعوته، إذ تشيع مجموعة في السودان صارت بعد ذلك نواة الدعوة للتشيع.

هذه أهم ملامح هذه الفترة الأولى في حياة الكاتب.

المرحلة الثانية:
مرحلة المراجعة.
وهي الفترة التي بدأت منذ سنة ١٩٨٨-١٩٩٦م

في عام ١٩٨٨م وأثناء ما كان يدرس أحمد الكاتب في "مدرسة القائم" في طهران "مرحلة الخارج"(١)، كان الكاتب يتابع تطبيق نظرية ولاية الفقيه في إيران من أجل ما يحلم به وهو تطبيقها في العراق، في تلك الأيام حدثت إشكالية كان لها تبعات كبيرة في نفس الكاتب، حيث دار الجدل بين مجلس المحافظة على الدستور ومجلس الشورى حول قانون العمل الذي ظل يقدمه مجلس الشورى لمدة ثمان سنوات ويرده مجلس المحافظة على الدستور، فقام الخميني بأمر وزير العمل باعتماد القانون من دون موافقة مجلس المحافظة على الدستور، وقد اعترض رئيس الحكومة علي خامنئي، مما جعل الخميني يغضب ويتحدث عن مطلق الصلاحية للولي الفقيه، مبيناً أن الولي الفقيه له إذا عقد اتفاقاً شرعياً مع الأمة فله أن ينقضه من طرف واحد إذا رأى فيه

لقاءات المستقلة(تحولات أحمد الكاتب) أول محرم ١٤٢٤هـ(الحلقة الأولى).

(١) وهي آخر المراحل في الدراسة الحوزوية.

ما يخالف الإسلام، وأن بإمكانه أن يوقف الشعائر الأساسية كالحج أو يعدم المساجد إذا رأى لوحده المصلحة في ذلك.

وقد أثار خطاب الخميني كثيراً من الاستفهامات في نفس أحمد الكاتب عن مدى شرعية هذه الصلاحية المطلقة التي تجعل شخصاً واحداً يتحكم في مصير الأمة، بحيث ينقض أي اتفاق ويلغي أي قانون يريد، أو يوقف أي شعيرة..

فعزم الكاتب على أن يقوم ببحث صلاحيات ولاية الفقيه،وساعده فيه السيد صادق الشيرازي، وقد قاده بحثه إلى الوقوف على سؤال هو : هل شرعية ولاية الفقيه تأتي من قبل المهدي؟ أو تأتيه من انتخاب الأمة له؟

وللإجابة على هذا السؤال وجد الكاتب نفسه مضطرة لعرض مقدمة تاريخية لفكرة نظرية ولاية الفقيه- التي كان يتصور بأنها النظرية السائدة منذ غيبة المهدي، إلا أن وقوفه على كتب الفقه والتاريخ بحسب التسلسل التاريخ لتأليفها قاده إلى حقيقة مفادها أن أعلام الشيعة المتقدمين بعد الغيبة ينكرون ولاية الفقيه، وأن الفكرة السائدة هي فكرة التقية والانتظار وتحريم الجهاد ومنع تكوين أي إمارة أو دولة.

كما وقف الكاتب بنفسه على تطور الشيعة الإمامية حتى ظهور نظرية ولاية الفقيه.

وقد كان أكبر ما صدم به الكاتب أثناء بحثه؛ اطلاعه على الحيرة والانقسام الكبير الذي وقع بالشيعة حين مات العسكري-وهو الإمام الحادي عشر- بلا ولد ظاهر، وهو أمر يعترف الكاتب بأنه مما تعمد المحققين الشيعة إخفاؤه عن أتباع المذهب، ولذا عزم على أن يفتح هذا الباب من داخل المذهب، وأخيرا انتهى به التحقق إلى نفي ولادة محمد بن الحسن المهدي، ومن ثم بطلان نظرية الاثني عشر من الأساس.

وقد وقف الكاتب "خائفاً مرعوباً"-كما يحكي عن نفسه- لخطورة هذه النتائج التي لم يكن يتوقع أن يصل إليها في يوم ما، فقرر أن يستشير بعض أعلام المذهب في نتائج بحثه، فأرسل كتابه إلى مجموعة من الباحثين والعلماء، ولكنه لم ير منهم جواباً، بل رأى أنهم يتهربون من الإجابة عليه، كما أنه أراد مقابلة بعضهم فقوبل بالرفض، وانتظر الكاتب الإجابة على بحثه الذي قدمه إلى مجموعة منهم مدّة خمس سنوات ولكن-كما يقول -: "وجدت الكثير منهم يتهرب من قراءة الدراسة،

ويمتعض نفسياً من مجرد البحث فيها، كأنها تحاول أن توقظه من الاستغراق في حلم جميل"(١)، فقرر بعدها أن ينشر بحثه.

وبهذا يكون الكاتب قد انتقل من كونه إمامياً متعصباً إلى شيعياً جعفرياً، وأصبح يرفض أن يوصف بأنه إماميٌ أو اثنى عشري، لأنه لم يعد يؤمن بالنص والعصمة الذين يمثلان حقيقة القول بالإمامة.

كما أخذ يدعوا بقوّة إلى مبادئه التي تبينت له من خلال التأليف والكتابة في الشبكة العنكبوتية(الإنترنت) ومن على شاشات القنوات الفضائية وبجرأة واضحة.

---

(١) تطور الفكر السياسي ٢١٠ ولتفاصيل هذه المرحلة انظر: الحلقة الأولى من لقاءات قناة المستقلة مع الكاتب (برنامج الحوار الصريح) ١٤٢٤/١/١هـ.

المبحث الثالث: آراء الكاتب

المطلب الأول: مسائل تتعلق بتوحيد الربوبية

دافع أحمد الكاتب عن عقيدة آل البيت مبينا أنها خالية من الشوائب والشركيات التي لم يزل الغلاة يحاولون إلصاقها بهم في حياة الأئمة. وحتى الآن.

كما سعى الكاتب بقوة وجرأة إلى بيان ضعف أدلة الغلاة ومخالفتهم للقرآن وكلام الأئمة من آل البيت رحمهم الله.

ولعل أهم القضايا العقدية التي تبنى الكاتب بيانها والدفاع عنها:

أولا: إنكار القول بالولاية التكوينية.

انتقد الكاتب اعتقاد غلاة الشيعة بقدرة الأئمة على التصرف في الكون-وهو ما يسمى بالولاية التكوينية- مبيناً أن القرآن الكريم يرد هذا، وأن الآثار الصحيحة الواردة عن أئمة آل البيت تدل على نقيض ما يقوله أصحاب نظرية الولاية التكوينية،التي هي في نظر الكاتب من الغلو والشرك.

كما بين الكاتب أن الغلاة قديماً هم الذين أدخلوا هذه العقيدة الفاسدة، من خلال دس الأحاديث على الأئمة، كما بين أن الأئمة قد قاموا بالرد على هؤلاء.

وينبه الكاتب إلى أن كثيراً من الكتّاب ما زالوا ينسبون هذه المقالة إلى جميع الشيعة قديماً وحديثاً، إما جهلاً بواقع الشيعة، أو بقصد التنكيل فحسب دون إنصاف(١).

---

(١) مقال (القول بالولاية التكوينية تفويض وغلو وشرك) للكاتب.

انظر

http://www.iraqcenter.net/vb/forumdisplay.php?s=٠٩١٥٦c١٣ddb٢d٨٠٨e٠٨٤١b٥d٥٥e٢٤٢٧c&forumid=٣

ويتحدث الكاتب عن هؤلاء الغلاة قديماً وحديثاً، فيذكر أن المتقدمين منهم هم الذين كانوا يُسمون بـــ(المفوضة) ويقول: "وهم فرقة من الغلاة الملعونين الذين كان أهل البيت يتبرؤون منهم أشد التبرؤ ، فقد سُئل الإمام الرضا عليه السلام : ما تقول في التفويض؟ قال: إن الله تبارك وتعالى فوض إلى نبيه أمر دينه ، فقال :" وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا" فأما الخلق و الرزق فلا ، ثم قال: إن الله عز وجل يقول ((الله خالق كل شيء)) وهو يقول ((الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه و تعالى عما يشركون)).

وروى أبو هاشم الجعفري ، قال سألت أبا الحسن الرضا عن الغلاة و المفوضة ، فقال: الغلاة كفار و المفوضة مشركون ، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم او واصلهم أو زاوجهم أو تزوج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسوله وولايتنا أهل البيت(١).

كما يتحدث الكاتب عن غلاة الشيعة اليوم فيذكر أنهم هم الذين يسعون إلى نشر عقيدة الغلو والقول بالولاية التكوينية بين عوام الشيعة، ويمثل الكاتب لهؤلاء بآية الله محمد حسين الوحيد الخرساني، الذي يصفه الكاتب بأنه "يقوم باجترار بعض نظريات الغلاة ويمزجها مع أوهام الفلاسفة الباطلة ويضيف عليها بعض الحكايات الأسطورية المضحكة ليحدثنا عن إمام فاعل للوجود مشارك لله تعالى في الربوبية"(٢).

---

(١) المرجع السابق

(٢) يخاطب الوحيد الخراساني المهدي بقوله: "يافاعل ما به الوجود" ويصفه بقوله: "إن إمام العصر صار عبداً، وعندما صار عبداً صار رباً، فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية..".(مقتطفات ولائية٣٩). وانظر:مقال: (من أين يستقي الشيخ الوحيد الخراساني أفكاره المتطرفة حول الإمام المهدي؟) لأحمد الكاتب.www.alkatib.co.uk/last.htm

ويخلص الكاتب إلى القول بأن الخرساني وأمثاله يغفلون عن "حقيقة أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبقية الأئمة من أهل البيت كانوا في حياتهم محدودي القدرة ضمن أطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحجب ولا يمتلكون هذه القدرة الخارقة على نصرة أوليائهم أو المستغيثين بهم ، وقد تعرضوا هم إلى أشد ألوان العذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون"(١).

كما تحدث الكاتب عن موضوع مهم وهو خلط الكثير بين المعجزات المقبولة والأساطير المرفوضة، مبينا أن ما رواه الكذابون والضعفاء لا يمكن أن نعتبره من المعجزات(٢).

ثانيا: إفراد الله تعالى بعلم الغيب.

يذهب أحمد الكاتب إلى إنكار نسبة علم الغيب إلى أحد سوى الله تعالى، ويعد نسبة ذلك للأنبياء أو الأئمة من الغلو الظاهر.

وبين الكاتب أن القرآن يبطل نسبة علم الغيب لغير الله تعالى كائناً من كان، ويستدل لذلك بقوله تعالى((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول))[الجن ٢٦]، وقوله: ((قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله))[النمل٦٥]، وقوله ((وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت))[لقمان٣٤].

وقد وضّح الكاتب موقفَ الأئمة من هذا الغلو مبينا أنّ "الإمام الصادق كان دائماً ينفي عنه علمه بالغيب ويقول بصراحة (يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، وما يعلم الغيب إلا الله ، لقد هممت بضرب خادمتي فلانة فذهبت عني فما عرفتها في أي بيوت الدار هي) . وهذه الرواية ينقلها سدير وابو بصير وميسر ويحيى البزاز وداود الرقي الذين يقولون إن الإمام الصادق خرج إليهم وهو مغضب ثم نفى علمه بالغيب ، ولكن سدير يضيف إلى هذه الرواية [يعني من عنده]" أنه ذهب إلى الإمام

---

(١) www.alkatib.co.uk/last.htm

(٢) انظر رسالته إلى مرتضى القزويني
http://www.isl.org.uk/modules.php?name=News&file=article&sid=١٤٢

مع أبي بصير وميسر ، بعدما قام من مجلسه وصار في منزله ، فقالوا له بصورة سرية: جعلنا فداك سمعناك تقول كذا وكذا في أمر خادمتك ، ونحن نعلم أنك تعلم علما كثيرا ، فقال لهم" أن لديه علم الكتاب كله، وأن الذي جاء بعرش بلقيس إلى سليمان كان عنده علم من الكتاب، وأن نسبة علم هذا إلى علم الإمام كقدر قطرة من المطر في البحر الأخضر"(١).

كما يستدل الكاتب على قوله في نفي علم الغيب عن الأئمة بما جاء أبي بصير أنه دخل ذات مرة على الإمام الصادق وقال له :" إنهم يقولون... انك تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب ، فقال : سبحان الله!.. سبحان الله ! لا والله ما يعلم هذا إلا الله(٢).

ويستدل أيضا بما جاء عن يحيى بن عبد الله أنه سأل الإمام موسى الكاظم (ع) فقال: جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟ فقال: سبحان الله! ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي الا قامت . لا والله ما هي إلا وراثة من رسول الله .

وفي رواية أخرى ينقلها الحر العاملي ، يقول فيها الإمام : قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه... إني بريء إلى الله والى رسوله ممن يقول أنا نعلم الغيب(٣).

ويذكر الكاتب بأن هذا الصنف من الغلاة لا يزال موجوداً في الساحة الشيعية، ممثلا لذلك بقول أحد المعاصرين: " إن شخصية المعصوم ذات جنبتين، بإحداهما ينفتح على

---

(١) تطور الفكر الساسي الشيعي ٧٧، وتنظر الآثار المذكورة في كتاب بصائر الدرجات ٢١٣

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي ٢٣٠ ، نقلا عن كتاب إثبات الهداة للحر العاملي ٧٧٢/٣

(٣)تطور الفكر السياسي الشيعي ٢٣٠-٢٣١ ، نقلا عن كتاب إثبات الهداة للحر العاملي٧٦٧، ٧٦٤

الغيب ويتلقى الوحي من الله ، وإن اختصاص وحي النبوة بخاتم الأنبياء لا ينفي أن يكون للأئمة المعصومين من عترته جنبة انفتاح على الغيب والتلقي من الله بوحي غير وحي النبوة وإن اختلفت في النوع والكم عن جنبة النبي"(١).

ومما يتعجب له الكاتب أن هذا الفريق من الغلاة يذكر بأن نسبة علم الغيب للأئمة على أنه من المسلمات في فكر آل البيت، ويعد من لا يؤمن به مقصرا في حقهم، متجاهلا الرفض الواضح من أهل البيت لهذا الغلو.

أخيرا: ينبه الكـــاتب إلى أن هذا الغلو مرفوض عند اتجاه آخر من المعاصرين من أمثال محمد باقر الصدر، ونحوه ممن يعرضون عن مثل هذه الأفكار الغالية جداً(٢).

ثالثاً: النهي عن الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى.

يرى أحمد الكاتب بأن النصوص قد دلت على تحريم دعاء غير الله تعالى، أو التوجه إلى أحد سوى الله بالاستغاثة، ويستدل الكاتب على ذلك بقول الله تعالى: ((ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة)) ، وقوله ((ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)) وقوله تعالى: ((إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم))

وفي سياق إنكار الكاتب لأفكار الشيخ الوحيد الخراساني الغالية والتي منها توجيه المسلمين وغير المسلمين إلى الاستغاثة بالإمام المهدي (الموهوم الذي لا وجود له) ، فيذكر قول الخراساني:" من الضروريات والمسلمات: أن كل من تنقطع به السبل ويتيه في صحراء قاحلة لا يهتدي فيها إلى طريق ، سواء كان يهودياً أو نصرانياً، أو مسلماً شيعياً أو سنياً - لا فرق بتاتاً ، إذا ما ندب في ذلك الحين وقال: (يا أبا صالح المهدي أدركني) فان النتيجة قطعية الحصول... والسرّ في ذلك أن الدعاء في

---

(١) انظر: http://www.alkatib.co.uk/amilyhajr.html

(٢) انظر تطور الفكر السياسي ٢٣٧. وانظر فيما يأتي رأي الخالصي ٤٠٧-٤١٨، ومحمد حسين فضل الله ٥١٧-٥٣٢ .

تلك الحالة متوجه للإمام حقيقة لأنه نابع عن اضطرار واقعي يخرق الحُجُب . وفي غير تلك الحالة فان الندبة غير متوجهة إليه!..."

وهنا يقول أحمد الكاتب: "ويغفل الوحيد الخراساني عن حقيقة أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبقية الأئمة من أهل البيت كانوا في حياتهم محدودي القدرة ضمن أطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحجب ولا يمتلكون هذه القدرة الخارقة على نصرة أوليائهم أو المستغيثين بهم ، وقد تعرضوا هم إلى أشد ألوان العذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون".

ويرى الكاتب أن دعاء الإمام مع اعتقاد أنه "فاعل ما به الوجود" يعطي للإمام دورا من أدوار الله تعالى ، التي نص الله عز وجل على اختصاصه به، ولذا "طلب[أي الله] من الناس أن يوحدوه ويدعوه وحده لا شريك له في السراء والضراء"(١).

المطلب الثاني: القرآن

يرى الكاتب أن القرآن الذي أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يحرّف، وأنه سيبقى لأن الله تعالى تكفل بحفظه.

كما يرى الكاتب بأن القول بأن القرآن محرّف من الأقوال الكفريّة، وأنه يخالف إجماع المسلمين.

---

(١)وانظر:مقال: (من أين يستقي الشيخ الوحيد الخراساني أفكاره المتطرفة حول الإمام المهدي؟) للكاتب.www.alkatib.co.uk/last.htm

وعن وقوع هذا الانحراف والقول به بين المسلمين؛ يبين الكاتب أن غلاة الشيعة من عهد متقدم، وأنهم كانوا ينسبونه إلى الأئمة، مع أن الأئمة-كما يوضح الكاتب- كانوا يتبرؤون من هذا القول(١).

ولشدة إنكار الكاتب لهذا القول نجده في مناقشته للأحاديث يضعف أي حديث يشتمل على القول بتحريف القرآن أو أي راو يتبنى هذا المذهب ، مبينا أن اشتمال الحديث على القول بتحريف القرآن يدل على ضعفه(٢).

غير أن الأستاذ أحمد الكاتب يعارض بشدّة نسبة القول بالتحريف لجميع الشيعة، مبيناً أنه يعتقد بأن أكثر الشيعة المعاصرين تعارض هذا القول، ولا تقبله(٣).

غير أن أحمد الكاتب لم يوضح حجم هذا القول في الشيعة المتقدمين، ومن القائلين به من المعاصرين، لكنه بين أمراً مهماً؛ وهو أن الذي دفع الغلاة للقول بالتحريف هو عدم وجود نص صريح على القول بالإمامة، وعدم ذكر اسم علي رضي الله عنه، وهو نفس ما دفعهم إلى القول بأن الصحابة حذفوا آيات الولاية الصريحة حلاّ لهذا المأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه(٤).

---

(١) تطور الفكر السياسي للكاتب٨٥

(٢) انظر رسالة الكاتب إلى مرتضى القزويني (في الملحق ٢).

(٣) انظر: لقاء (مراجعات الكاتب) في قناة المستقلة أول محرم سنة١٤٢٤هـ.

(٤) المرجع السابق.

المطلب الثالث:رأيه في الصحابة.

يعتقد الاستاذ أحمد الكاتب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو أفضل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه لا يوافق الإمامية على أن الصحابة ارتكبوا جرماً عندما لم يبايعوا علياً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا يعتبر الإمامة من الأمور منصوص عليها كما هو عند الشيعة الإمامية.

ويرى الكاتب أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا كما تصورهم الروايات والعقائد الإمامية بأنهم مرتدون أو منافقون وغيرها من الاتهامات الرامية إلى الطعن في ديانتهم.

وفي تحليل يقدّمه الكاتب لهذا "الموقف التكفيري" يسند ذلك إلى أمرين:

الأول:"مجموعة روايات مختلقة وضعيفة".

الثاني: "موقف كلامي مسبق حول موضوع الإمامة والنص على الإمام علي بالخلافة" وهو ما جعل الشيعة الإمامية "تقوم بقراءة التاريخ من جديد وبشكل معكوس ومخالف للظاهر من حياة أهل البيت عليهم السلام وبالذات الإمام علي بن أبي طالب، وتقتضي اتخاذ موقف سلبي من الذين (اغتصبوا الخلافة من أهل البيت)"(١).

ويقول أيضا: " وجذر الأمر في نظري يكمن في نظرية الإمامة الإلهية ووجود النصوص بالخلافة للإمام علي من النبي ، ونكران الصحابة لتلك النصوص أو إهمالهم لها ومعاندتهم للرسول ولحكم الله ، ومن ثم الحكم بنفاقهم وكفرهم"(٢).

ولهذا يقول الكاتب : "وقد آن لهم [أي الإمامية] أن يتخلصوا من هذه النظريات الكلامية التاريخية الواهية، ويعودوا إلى فكر أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا

---

(١)انظر:
http://www.iraqcenter.net/vb/showthread.php?s=٧٨٦a٤e٤٠d٧dbf٧ad٥١٤٢f٥٢eb٥fd٨٢c٤&threadid=٤٦٨٥

(٢) المرجع السابق.

يدعون إلى الشورى ويلتزمون بها ويتعاملون مع الخلفاء الراشدين كأفضل ما يكون، ويترحمون عليهم ويأمرون شيعتهم بموالاتهم"(١) .

ولما قام الكاتب الكويتي "ياسر الحبيب" بشتم أبي بكر وعمر ونسبتهما إلى الردة؛ ورفعت على إثر ذلك عليه قضية في المحاكم الكويتية(٢)، علّق الأستاذ أحمد الكاتب بقوله: "الأخ ياسر حبيب لم يفعل شيئاً سوى التعبير بصراحة ووضوح عما يحاول كثير من الشيعة التخلص منه أو تجاهله أو إخفاءه، وأعتقد أن استنكار ما قال لا يكفي من دون القيام بمراجعة للفكر السلبي البائد الذي لا يفيد الشيعة شيئاً، ذلك الفكر الذي وصل إلى طريق مسدود وثبت فشله عبر التاريخ وانتهى أو انقرض بوفاة الإمام العسكري دون خَلَفٍ في منتصف القرن الثالث الهجري"(٣).

المطلب الرابع: رأيه في الإمامة

سبق وأن مر معنا أن مسألة الإمامة أهم المسائل التي اختلف فيها طائفة الإمامية مع جماهير الأمة، وأن قولهم بالنص والعصمة على الأئمة جرهم إلى أقوال أخرى أهمها الطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتبني غلاتهم القولَ بتحريف القرآن، والغلوَ في الأئمة، وغيرها من مظاهر الانحراف.

---

(١) المرجع السابق

(٢) انظر جريدة الرأي العام تاريخ ١/١٢/٢٠٠٣م،٠١-١٢-/http://www.alraialaam.com

٢٠٠٣/ie٥/local.htm#٠١، وموقع إسلام أون لاين:

http://www.islamonline.net/Arabic/news/٢٠٠٣-١٢/٠٤/article١١.shtml

(٣) المرجع السابق

وقد كان للكاتب جولة في موضوع الإمامة ابتدأ فيها باعتقاد كونها ركناً ركيناً للإيمان الصحيح، وانتهى به الأمر إلى التخلي عن نظرية الإمامة المنصوص عليها وما تتضمنه من العصمة وغيره ذلك.

فهل تخلى الكاتب عن أحاديث فضائل علي رضي الله عنه وآل بيته؟

لقد بين الكاتب في رسالته إلى مرتضى القزويني أنه لا يشك في صحة "حديث الغدير"-من دون بعض الإضافات الضعيفة-، وأنه لا يشك في صحة "حديث الثقلين"(١) او "الطائر المشوي"(٢) او قصة المباهلة وما نزل فيها او "التصدق بالخاتم" أو غيرها من الأحاديث التي تتحدث عن فضل أهل البيت، ولكنه كما يقول: "ولكني لا أجد فيها حديثا عن الإمامة الإلهية أو القائمة المسبقة أو المهدي محمد بن الحسن العسكري ، وإنما أجد فيها أحاديث عامة وغير محددة ، وبعيدة عن أفكار الفلاسفة والمتكلمين والغلاة. وإن حبي لأهل البيت واعترافي بفضلهم وقبولي لتلك الروايات لا يلزمني بقبول أية رواية أخرى ، حتى لو كانت ضعيفة السند"(٣).

وفيما يلي سنعرض الآراء التي توصل إليها الكاتب في موضوع الإمامة:

أولا: الشورى هي عقيدة آل البيت.

---

(١)وهو حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما). الترمذي٥/٦٢٢ح٣٧٨٨.مسند الإمام أحمد٣/١٤، ١٧.و قال الهيثمي: إسناده جيد. وقال الالباني: صحيح(صحيح سنن الترمذي ح٢٩٨٠). والحديث أصله في مسلم (٢٤٠٨).

(٢) الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم ائتني بأحب الناس إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد ضعفه كل من ابن القيم في كتاب الفوائد (٣٨٢) ، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/٣٧٥-٣٧٧) ، والدهلوي في مختصر التحفة الاثني عشرية(١٦٥) وغيرهم.

(٣) رسالة الكاتب الى مرتضى القزويني.
http://www.isl.org.uk/modules.php?name=News&file=article&sid=١٤٢

يرى الكاتب أن النظرية التي آمن بها آل البيت وساداتهم كالعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً ومن بعدهم هي نظرية الشورى.

ويستدل الكاتب على ذلك بأقوال ومواقف رموز أهل البيت في الصدر الأول،ومنها:

موقف علي رضي الله عنه من الشورى.

يرى الكاتب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يؤمن بالشورى، بدلالة قبوله الدخول في الشورى بعد عمر رضي الله عنه، وبما يروى من اكتفائه بمحاجّته أهل الشورى بفضائله من دون الإشارة منه إلى أي نص على تعيين إمامته، وتأكيده شرعية الشورى بقوله: "إنما بايعني المهاجرين والأنصار"، وإعراضه عن الناس لما طلبوا منه أن يلي الناس بعد موت عثمان قائلاً لهم: "دعوني والتمسوا غيري"، وبما جاء من محاجّته لطلحة والزبير قبيل معركة الجمل ببيعتهما له، واحتجاجه على معاوية ببيعة المهاجرين والأنصار له، ثم بخلوِّ وصيته المشهورة من النص على الإمامة بعده، بل ورفضه استخلاف ابنه الحسن إماماً بعده، وغيرها مما يجده الكاتب صريح في إيمان علي بالشورى وليس بالنص الإلهي على الأئمة(١).

موقف الحسن بن علي رضي الله عنه من الشورى.

يذكر أحمد الكاتب أن مواقف الحسن رضي الله عنه تدل على أنه لم يكن يؤمن بالنص والتعيين، وأن التاريخ والمرويات لا تثبت أنه أشار أو احتج بأي نص على استحقاقه الإمامة، وأن المأثور عن الحسن أنه سكت بعد وفاة علي رضي الله عنه، وأن الذي دعا الناس إلى بيعة الحسن هو ابن عباس رضي الله عنهم جميعاً، وأنه دعاهم بصيغة التخيير (إن شئتم..)، وأن المراسلات بينه بين معاوية خالية من الاستشهاد بالنص، كما يستشهد الكاتب بتنازل الحسن لمعاوية بالخلافة، وأكبر من

---

(١) انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي ٢٣-٢٦.

هذا اشتراطه على معاوية أنه إن مات الحسن قبله أن يعود الأمر شورى بين المسلمين، وهو ما يخالف عقيدة النص تماما(١).

موقف الحسين رضي الله عنه من الشورى.

يبين الكاتب أن الحسين بن علي رضي الله عنه كان يؤمن بأن (الخلافة) بالشورى وليس بالنص الإلهي، ويستدل الكاتب على ذلك بأن الحسين ظل ملتزماً ببيعته لمعاوية حتى وفاة معاوية، وأنه رفض عرضاً من شيعة الكوفة بالثورة بعد وفاة الحسن في حياة معاوية معتذراً عن ذلك بأن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه(٢).

كما يستشهد الكاتب على إيمان الحسين بالشورى بقول الحسين في جوابه لأهل الكوفة: فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله(٣).

ويستدل الكاتب أيضاً بعدم وصية الحسين بالإمامة لابنه علي الملقب بزين العابدين، مع أنه كتب وصيته الخاصة من دون أن يشير للنص.

محمد بن علي ابن الحنفية رضي الله عنه.

يرى الكاتب أن قيام شيعة أهل الكوفة بتقديم البيعة لمحمد بن الحنفية بعد موت الحسين يدل دلالة واضحة على أن الشيعة في ذلك الوقت لم يكونوا يؤمنون بنظرية النص والتعيين، وبأن أهل البيت ومن أشرفهم وأكبرهم في ذلك الوقت محمد بن الحنفية لم يكونوا ينطلقون في معارضتهم من مبدأ العقيدة الإمامية(٤).

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٢٦-٢٧

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي٢٧ نقلا عن الإرشاد للمفيد ١٩٩-٢٠٠

(٣) انظر:(تاريخ الأمم والملوك للطبري٣/١٠١٣) و(الإرشاد للمفيد ٢٠٤)

(٤) انظر: تطور الفكر السياسي ٣٠.

موقف الحسن بن الحسن رحمه الله من الشورى.

يذكر الكاتب بالحسن بن الحسن وهو الذي يصفه بأنه كبير الطالبيين في عهده. وأنه كان وصي أبيه وولي صدقة (أوقاف)جدّه علي بن أبي طالب. أنه (الحسن بن الحسن) قد سئل: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: بلى والله ولكن والله لم يعن بذلك رسول الله الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به(١).

هذه بعض الأدلة التي استدل بها الأستاذ أحمد الكاتب وفقه الله على إيمان أهل البيت بنظرية الشورى التي توافق عقيدة الأمة، وهي استدلالات في محلها، ولا يمكن الخروج عن وضوح دلالتها إلا بما يسميه الكاتب "التفسير المقلوب" بحمل هذا على التقية.

ثانيا: كيف نشأ الفكر الإمامي!

إذا كان أحمد الكاتب قد توصل إلى أن عقيدة آل البيت لا تخالف مبدأ الشورى في الإمامة، وأنهم لم يؤمنوا بالعصمة والنص؛ فإن أمامه سؤالاً يجب أن يجد له جوابا: وهو كيف نشأ الفكر الإمامي إذاً؟ وعلى يد من تبلور القول بالنص والتعيين؟ وما هو موقف الأئمة منه؟

والحقيقة أن هذا سؤال يدور في أذهان كثير من القراء والباحثين، ولعل إجابة أحمد الكاتب من أحسن الإجابات نظرا لدقة تتبعه التاريخي، وتوثيقه لما ينقله من كتب المذهب الإمامي، ويمكن تلخيص إجابة الكاتب بالآتي:

أولا: ظهور القول بالوصية.

يذكر أحمد الكاتب أن البادرة الأولى للفكر الإمامي تمثلت في فكرة الوصية، وهي تعني أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالإمامة إلى علي رضي الله عنه فقط دون أن يسمي من بعده، وأن علياً أوصى بها للحسن وأن الحسن أوصى بها للحسين

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٣١ نقلا عن التهذيب لابن عساكر٤/١٦٢

وهكذا، دون أن يقال بأن ثمة نص على الأئمة، ويذكر الكاتب أن أول من صاغ نظرية الوصية هو ابن سبأ ثم رتبها بعده الكيسانية(١).

ثانيا: ظهور فكرة حصر الإمامة في البيت الحسيني.

فبعد تتابع الانقسامات في المنتسبين إلى آل البيت(بمعناه العام)، وبروز عدّة أجنحة لكل قسم، وكل قسم منها يحاول بعض المنتسبين إليه تأكيد أولوية إمامه بأي طريقة، فالكيسانية -وهم المنتسبون لابن الحنفية- تدعي حصر الإمامة في ذرية ابن الحنفية لأنه صاحب راية علي في القتال، والحسينيون يؤكدون أولوية الذرية الحسينية بالعلم وحيازة سلاح الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم هم انقسموا بعد ذلك فيما بينهم فأظهر بعضهم القول بالوراثة العامودية من أجل إسقاط بعض المنافسين-و لم يكن القول بتعيين الأئمة قد ظهر بعد-، وأما الزيدية فتؤيد فكرة زيد بتحديد الأئمة في البطنين عموماً وتشترط لكونه إماماً أن يكون صالحاً عالماً زاهداً وحاملاً للسيف في وجه الظلمة، ثم ظهرت العباسية تدعي أولوية العباس-عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم- ومن بعده ذريته.

والكاتب يشير إلى أن هذا الانقسام أدى إلى ظهور فكرة حصر الإمامة في السلالة الحسينية وإلى القول بالوراثة العامودية من بعد الحسين رضي الله عنه(٢).

ثالثا: ظهور فكرة العصمة والتعيين.

ويذكر الكاتب أن الذين قالوا بالحصر في السلالة الحسينية، واجهتهم عدة أمور اضطرتهم إلى اللجوء إلى ادعاء العصمة والتعيين لضمان تفوق الشخصيات التي

---

(١)انظر: تطور الفكر السياسي ٣٣-٣٤، ٤٧

(٢)انظر: تطور الفكر السياسي ٤٧

اختاروها على غيرهم -سواء الزيدية أو الكيسانية أو الأموية أو العباسية أو غيرهم- ومن هذه الأمور التي واجهتهم:

١. استدلال الأمويين باختيار الله لهم ولاةً على الأمة.

وقد اجتهد الكاتب في نقل عبارات الخلفاء الأمويين في بيان تركيز خطابهم على بيان شرعيتهم بأن الله تعالى اختارهم على غيرهم لأمر الخلافة والملك، وهو ما يرى فيه الكاتب ميلاً إلى "الاستدلال الجبري"(١)، وهو أيضا ما سبب ردة الفعل لدى بعض الشيعة فقالوا بأن الله تعالى قد عين أئمة من آل بيت نبيه(٢).

٢. وجود أشخاص متعددين من آل البيت يخرجون طلباً للخلافة، وقد أدى هذا إلى ابتكار فكرة العصمة و النص لبعض أهل البيت، من أجل إسقاط شرعية أو أولوية من عداهم(٣).

ويذكر الكاتب أن الذين أسسوا نظرية النص والعصمة هم:

١. المتكلم المعروف أبو جعفر الأحول محمد بن علي النعمان الملقب بمؤمن الطاق الذي الف عدة كتب في هذا الموضوع هي كتاب الإمامة وكتاب المعرفة و كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول.

٢. علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار (أبو الحسن الميثمي) ، الذي قال عنه الطوسي: إنه أول من تكلم على مذهب الإمامية وصنف كتابا في الإمامة وله الاستحقاق والكامل في نفس الموضوع.

---

(١) يذكر أحمد الكاتب أن الخلفاء الأمويين كانوا يبنون نظريتهم السياسية على عقيدة الجبر والمشيئة الإلهية، وقد نقل في ذلك قوالاً لبعض خلفائهم وبعض ولاتهم جاء فيها قولهم" إن الله اختصنا" و"إن الله استخلفنا" و "قلدنا الله .."وارتضاه الله إماما على عباده.."وغيرها من العبارات. **ولعل الأقرب** أن يقال: إن صح النقل فأنها قيلت على سبيل فرض الأمر من قبل السياسيين في ذلك الوقت، لأن المذهب الجبري لم يخرج إلا في العهد العباسي علي يد الجعد بن درهم. انظر القضاء والقدر للمحمود ١٤١.

(٢) انظر:تطور الفكر السياسي ٤٧-٥٠.

(٣) انظر:تطور الفكر السياسي ٥١

٣. هشام بن سالم الجواليقي .

٤. قيس الماصر .

٥. حمران بن أعين.

٦. أبو بصير ليث بن البختري المرادي الاسدي .

٧. هشام بن الحكم الكندي. وقد قال عنه الشيخ الطوسي في الفهرست انه كان ممن فتق الكلام في الامامة ، وهذب المذهب بالنظر ، وكان حاذقا بصناعة الكلام . و قال عنه العلامة الحلي في الخلاصة : إنه أول شخص فتق الحديث في الإمامة والنص والوصية وهذب المذهب بالنظر.

٨. محمد بن الخليل المعروف بالسكاك ، صاحب هشام بن الحكم وكان متكلما ، وخالف هشام في أشياء إلا في أصل الإمامة ، له كتب منها:كتاب المعرفة وكتاب الاستطاعة و كتاب الإمامة وكتاب : الرد على من أبى وجوب الإمامة بالنص(١).

رابعا: ظهور فكرة حصر تفسير القرآن بالمعصوم.

فبعد أن ظهرت فكرة الحصر في البيت الحسيني ثم أُحدث القول بالعصمة والنص؛ أدرج في نظرية الإمامة حصر تفسير القرآن بالمعصومين فقط، "تحت دعوى عدم استطاعة المسلمين التعامل مع القرآن والاستفادة منه مباشرة"(٢).

خامسا: ظهور فكرة الاستدلال بالعقل قبل النص.

يذكر الكاتب أن المتقدمين من متكلمي الإمامية لما رأوا ضعف الأدلة النقلية التي يروونها في إثبات الإمامة، لجؤوا إلى اعتماد العقل كدليل بالدرجة الأولى(١).

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٥١-٥٢

(٢) تطور الفكر السياسي ٦٢

سادسا: ظهور فكرة الاستدلال بالمعجزات.

فعندما عجز الدليل النقلي عن إثبات إمامة بعض الذين اختارهم أصحاب النظرية الوليدة، وعلى سبيل المثال : فإن الإمام الرابع علي بن الحسين الملقب بزين العابدين الذي مات عنه أبوه الحسين وقد أوصى بالأموال إلى غيره لا توجد دلائل واضحة على إمامته،وقد وجد القائلون بإمامته حرجاً كبيراً لاسيما في ظل انزوائه عن السياسة وتقدّم أخيه زيد لقيادة معارضة شيعية كبيرة، وهو ما جعل الاستدلال على إمامته أمرا محرجا لدى منظري العقيدة الإمامية، فكان المخرج منها أن يقال بدلالة المعجزات والخوارق، فزعموا أن زين العابدين حاجّ أخاه بإظهار معجزة وهي تكلم الحجر الأسود بأن الإمام هو علي بن الحسين(٢).

وتحت ستار القول بدلالة المعجزات نُسج كثير من الأكاذيب حول علم الأئمة بالغيب، وقدرتهم على التصرف بالكون، وغيرها من ألوان الغلو.

سابعا: ظهور فكرة تحديد الأئمة باثني عشر إماما.

وهي فكرة يرى الكاتب أنها جاءت كحل لأزمة كبيرة وقع بها منظّرو العقيدة الإمامية، ألا وهي موت الإمام الحادي عشر بلا ولد، فلم يكن أمام المتكلمين إلا ادعاء الولد المختفي لأسباب أمنية، ثم بعد زمن جاءت فكرة "الغيبة الكبرى" والقول بأن المختفي هو آخر الأئمة ومهدي آخر الزمان(٣).

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٦٧-٦٨

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي ٦٧-٧٠

(٣) انظر: تطور الفكر ٧٧

وباختصار فإن الكاتب يريد أن يبين أن الشيعة لم تكن تؤمن منذ أول يوم بالنص والتعيين وتحديد عدد الأئمة، بدلالة مشاركة كثير منهم مع أي معارض يخرج من آل البيت، وبدلالة كثرة انقساماتهم بعد كل إمام إلى فرق شتى كما يقرر ذلك كتّاب الشيعة المتقدمين في الفرق والمقالات كالنوبختي ومحمد بن سعد الأشعري(١).

ثالثاً: الأزمات في مواجهة نظرية الإمامة

كما يذكر الأستاذ أحمد الكاتب أن الأزمات التي وجهت فكرة النص والتعيين والعصمة كان لها دور كبير في تشكل العقيدة الإمامية، ومن هذه الأزمات:

- رد أهل البيت لهذه النظرية، وهو في -نظر الكاتب -ما أدى بمنظري العقيدة الإمامية إلى اللجوء إلى سلاح التقية، وتفسير ذلك بين أنصارهم سرا بأن الإمام يريد لما لعن فلان أراد صرف أعين السلطان عنه.. وهكذا(٢).
- موت إسماعيل بن جعفر الصادق في حياة الصادق، وقد كان منظرو عقيدة الإمامة يشيعون سراً في العراق أن الإمام بعد الصادق هو إسماعيل، وهو ما أدى إلى ظهور القول بالبداء.
- انقسام الشيعة على الكاظم، واستجابتهم لبعض من خرج وأخذ البيعة لنفسه، كعيسى بن زيد وشهيد الفخ وغيرهم، وهو ما أدى إلى الغلو في دليل المعجزات.
- تحالف المأمون(٣) مع الرضا، وذلك أن المأمون قام برأب صدع بين آل علي وآل العباس حين أخذ البيعة للرضا رحمه الله من بعده على

---

(١) يقول ابن خلدون معلقاً على كثرة انقسامات الشيعة: "وهذا الاختلاف العظيم يدل على عدم النص". انظر لباب المحصل لابن خلدون ١٣٠

(٢) انظر تطور الفكر السياسي ٨٢-٨٥.

(٣) أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد ١٧٠هـ وتوفي سنة ٢١٨هـ. سير أعلام النبلاء ٢٧٢/١٠-٢٩٠. تاريخ الخلفاء٣٠٦-٣٣٣

ولاية العهد برضا الإمام في سنة ٢٠١هـ وهو ما يعني إقرار الرضا لإمارة المأمون(١).

- أزمة الطفولة: التي تجلت في موت الرضا عن أبناء صغار، وهو ما أثار سؤالاً مهماً وهو: كيف يمكن أن يكون إماماً من لا يحق له التصرف في ماله قبل البلوغ، وهو ما أكده وصية الإمام الرضا بالمال إلى عبد الله بن المساور إلى أن يبلغ الجواد. وهكذا تكررت مشكلة الطفولة مع الجواد حينما مات وعمر ابنه الهادي سبع سنين(٢).

هذه هي بعض الأزمات التي ذكرها الكاتب في معرض بيانه للإجابة عن السؤال المهم: كيف تشكلت العقيدة الإمامية؟ وعلى يد من تم ذلك؟ والله أعلم.

---

(١) تطور الفكر السياسي ٩٧

(٢) انظر تطور الفكر السياسي ١٠٢-١٠٦

التطور في الفكر السياسي الشيعي بعد الغيبة

عقد الكاتب أكثر من ثُلُث كتابه لرصد التطور الذي مر به الفكر السياسي الشيعي من بعد الغيبة، انطلاقاً من المرحلة التي سيطرت فيها "فكرة الانتظار" ووصولاً إلى المرحلة المعاصرة التي تغلبت فيها مجموعة أطروحات سياسية شيعية "إيجابية"(١) أبرزها ولاية الفقيه.

وقد قدم الكاتب وصفاً علمياً دقيقاً، حيث عرض في كل مرحلة فتاوى وآراء لعلماء تلك المرحلة بحيث يتضح للقارئ لمحات الفكرة السائدة "الغالبة" والفكرة "المغلوبة"في كل فترة.

كما بين الكاتب أن المرحلة الأولى بعد الغيبة شهدت سلبية على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، بحيث تبنى أبرز علماء الإمامية في مرحلة مبكرة إغلاق باب الجهاد و منع الاجتهاد والجمود على الأخبار، وكما تبنوا تعطيل الحدود ومنع إقامة القصاص ، والإحجام عن مظاهر كثيرة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعطيل صلاة الجمعة..إلى آخر تلك المظاهر(٢).

لكن الكاتب يرصد حَدَثين مهمين في الفكر الشيعي هما:

الأول: فتح باب الاجتهاد.

فبعد أن كان المذهب الإخباري هو السائد، جاء الحسن بن عقيل النعماني في أواسط القرن الرابع بفكرة جواز الاجتهاد في غياب الإمام، ثم تبعه السيد المرتضى بالتأييد، لكنهما واجها حملةً كبيرةً من قبل التيار التقليدي، وهو تيار مطّرد مع مبدأ

---

(١) وأعني بكونها "إيجابية" نقيض السلبية، ولا أعني بذلك التزكية العلمية المطلقة.

(٢) انظر فتاوى وأقوال علماء الشيعة في تلك المرحلة: تطور الفكر السياسي ٢٧٢-٣١٣

الإمامة الذي أوجبوا من أجله وجود إمام معصوم، ولم يزل التيار الأصولي الذي يقول بفتح باب الاجتهاد يتوسع حتى صار هو المتغلب في صفوف الشيعة اليوم(١).

الثاني: تولي القيادة السياسية باسم ولاية الفقيه.

فبعد أن كان الشيعة يرون حرمة الدخول في العمل السياسي اطرادا مع نظرية النص والعصمة، بدأ الفكر ينفتح على المشاركة السياسية بفتوى تفويض إقامة بعض الحدود للفقهاء(وهي بعض صلاحيات الإمام في الأصل)، ثم تطور ذلك بأن أدخل أبو الصلاح الحلبي(٣٧٣-٤٧٤هـ)أبواب الزكاة والخمس في صلاحيات الفقهاء(٢).

ثم جاء أبو الحسن الكركي(٣)، فطوّر نيابة الفقهاء المحدودة إلى نيابة عامة للفقيه يستطيع من خلالها ممارسة السياسة وألف لأول مرة في تاريخ المذهب الشيعي كتاباً في أحكام الخراج(٤)، ثم تتابع الأمر إلى أن جاء الخميني بفكرة **ضرورة ولاية الفقيه**، وقريب منه الكلبايكاني الذي قال **بوجوبها**.

وهنا يقف الكاتب فيبين أن الشيعة قد تخلو "**عملياً**" عن نظرية الإمامة، لأنهم قد فوضوا للفقهاء القيام بركني الإمامة وهما: الجانب التشريعي، والجانب التنفيذي.

يقول أحمد الكاتب: "**وكان من الأجدر بعد إعادة النظر في أساس الفكر الأمامي والتخلي عن شروط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في (الإمام) ، أن يعاد النظر في الفرضية (المهدوية) التي تفرعت عن نظرية (الإمامة الإلهية) وحتمية وجود**

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي ٣٢٥-٣٣٢

(٢)انظر: تطور الفكر السياسي٣٦٧-٣٦٨

(٣) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي العاملي، يلقب بالمحقق الثاني، ويعرف بالعلائي، رحل إلى مصر والعراق، ثم استقر في إيران وأكرمه ملكها طهماسب الصفوي. توفي في العراق سنة ٩٤٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢٨١/٤.

(٤) انظر:تطور الفكر السياسي ٣٧٩-٣٨١

(الإمام المعصوم المعين من قبل الله) . فلو أجزنا إمكانية إقامة الدولة بالفقيه العادل أو بالعادل من المؤمنين فانه لا تبقى أية حاجة إلى افتراض وجود (الإمام المعصوم) دون أن يتفاعل مع الأمة خلال أكثر من ألف عام"(١) .

ولذلك لا يتردد الكاتب في وصف القول بالإمامة بأنه قول "بائد"، لأن الشيعة تخلو عنه فعليًا، وصار واقعهم لا يختلف عن واقع غيرهم ممن لا يقول بالنص والعصمة.

والخلاصة هي أن أفكار الكاتب الأساسية في موضوع الإمامة هي:

أ. أن القرآن والسنة المتواترة مع الأحداث التاريخية تدل على نقيض القول بالإمامة.

ب. أن القول بالنص والعصمة وجعْلِها شرطاً من شروط الحاكم المسلم هو من استحداثات بعض متكلمي الشيعة كهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي ومؤمن الطاق في منتصف القرن الثاني الهجري، وذلك خلافاً لمدرسة أهل البيت التي لا تشترط العصمة ولم يرد فيها أي نص صحيح عنهم بذلك.

ت. أن ضعف النص في مواطن كثيرة على إثبات الإمامة، وبروز أشخاص متعددين من الهاشميين في زمن الأئمة جعل أصحاب نظرية الإمامة يولّدون "دليل العقل" و"دليل الإعجاز" على الإمامة، ويخترعون في سبيل ذلك قصصا خيالية.

ث. أن الأزمات التي مرّت بها نظرية الإمامة كان لها دور في بلورة أفكار جديدة في النظرية، وأهم هذه الأزمات: معارضة أهل البيت وأولهم الصادق لنظرية النص والعصمة وإظهار براءته من بعض الأشخاص، كما أن أزمة موت إسماعيل بن جعفر في حياة والده، ثم أزمة الطفولة، وموت الحسن العسكري بدون ولد هي مما اضطر منظري القول بالإمامة إلى صياغة النظرية شيئاً فشيئاً.

ج. أن الإمامية تخلو **عملياً** عن مفهوم الإمامة لما فتح أعلامه باب الاجتهاد في المذهب، ثم أخيرا فتحوا باب العمل السياسي على مصراعيه باسم ولاية الفقيه.

---

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي٤٤٢-٤٤٣

المطلب الخامس:

رأيه في مهدوية محمد بن الحسن.

تعد فكرة مهدوية محمد بن الحسن العسكري من أبرز القضايا التي تناولها الكاتب في مناقشاته الرامية إلى الوصول إلى التصحيح داخل مذهب الشيعة.

وقد بين الكاتب أنه لا يريد نفي فكرة خروج المهدي آخر الزمان، ولكنه يبحث عن صحة كون محمد بن الحسن بعينه هو المهدي(١)، وهو ما جعل الكاتب يجعل عنوان مناقشته لمسألة المهدي"فرضية المهدي محمد بن الحسن العسكري".

ويمكن تلخيص أفكار أحمد الكاتب التي طرحها بما يلي:

أولاً: إثبات موت الإمام الحادي عشر (الحسن العسكري) بلا عقب، وذلك في سامراء سنة ٢٦٠(٢).

ثانياً: تقسيم ميراث الحسن العسكري بين أمه(حديث) وأخيه (جعفر)فقط بشهادة قاضي سامراء(٣).

ثالثاً: ادعت جارية الحسن التي تسمى "صقيل" بأنها قد تكون حاملا منه، فأُوقفت قسمة الميراث، حتى تأكدوا من براءة رحمها(٤).

رابعاً: وقوع الشيعة بعد موت الحسن بلا عقب في حيرة شديدة، وانقسامهم إلى أربع عشرة فرقة، واحدة منها قالت بوجود الولد المخفي، وهي الحيرة التي يقول

---

(١) انظر:تطور الفكر السياسي ١٩٧

(٢) انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي ١٢١

(٣) انظر:المرجع السابق ١٢١، نقلا عن إكمال الدين للصدوق ٤٤

(٤) انظر: المرجع السابق١٢١، نقلا عن إكمال الدين للصدوق ٤٤، ودلائل الإمامة للطبري

عنها النعماني: "أي حيرة أعظم من هذه التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجم الغفير؟ و لم يبق إلا النزر اليسير، وذلك لشك الناس"(١).

خامساً: بيّن الكاتب أن أدلة فرضية مهدوية محمد بن الحسن التي يُستدل بها هي: الدليل العقلي القائم على وجوب إمام معصوم، أو الدليل النقلي الذي فيه وعد بخروج المهدي، أو الدليل التاريخي القائم على ذكر من رأوا المهدي، أو دليل المعجزة التي يقال بأنها وقعت على يد النواب، أو الأخبار الغيبية التي يزعمون أنها من أخبار المهدي، وأخيرا دليل الإجماع الذي يدعيه بعض أعلام الشيعة معرضين عن الحيرة والانقسامات التي وقعت بعد موت الحسن بلا ولد ظاهر(٢).

سادساً: مناقشة أحمد الكاتب لأدلة فرضية مهدوية محمد بن الحسن.

رد الأستاذ أحمد الكاتب الأدلة التي يقدمها مثبتي ولادة محمد بن الحسن (المهدي)، مبينا أن أهل البيت الذين كانوا يتحدثون عن المهدي لم يذكروا شخصا معينا، ويدل على ذلك كثرة الذين ادعوا المهدوية لأشخاص من أهل البيت غير محمد بن الحسن(٣).

كما بين الكاتب أن أصل الخطأ المنهجي الذي وقع فيه مثبتي ولادة المهدي هو ذهابهم إلى إثبات ولادة شخص معين بالعقل، وهو ما يخالفه الكاتب تماما ويعتبره خطأ واضح، لأن إثبات ولادة أو وجود أي إنسان يكون بدلالة التاريخ على أنه كان موجوداً، ونقل تواتر الناس على ذلك(٤).

---

(١) المرجع السابق ١٢٨، وانظر الغيبة للنعماني١٨٦.

(٢) انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي١٣١-١٦٨

(٣) ذكر الكاتب أن من الشيعة من زعم أن الكاظم هو المهدي و لم يصدقوا بأنه قد مات وهم الموسوية، وآخرون ادعو بأن الرضا هو المهدي، وقال بعضهم أنه ابن الحنفية، وقال آخرون هو النفس الزكية(محمد بن عبد الله)، وقيل الباقر وقيل الصادق، وقيل ابنه اسماعيل، وقيل غيره. انظر:تطور الفكر السياسي الشيعي ١٨١-١٩٠.

(٤) انظر: تطور الفكر السياسي

ولهذا يقول الكاتب:" اعتقد أن القاريء العادي لا يحتاج إلى أن يتجشم عناء درس علم الرواية والدراية حتى يقيّم تلك الروايات التاريخية الواردة حول مولد (الإمام محمد بن الحسن العسكري) أو أن يكون من العلماء المختصين في التاريخ.. فان المؤلفين الذين أوردوا تلك الروايات في كتبهم أراحوا أنفسهم من تهمة الاعتماد على هكذا روايات ضعيفة وقالوا في البداية: إننا نثبت وجود (الإمام الثاني عشر) بالطرق الفلسفية العقلية الاعتبارية النظرية ، ولسنا بحاجة إلى الروايات التاريخية ، وإنما نأتي بها من باب الإسناد والتعضيد والتأييد"(١).

كما يعترف الكاتب بأن "المراقب المحايد يصاب بالدهشة لإهمال العلماء طوال التاريخ لدراسة الروايات التاريخية الواردة حول إثبات ولادة ووجود الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري"(٢).

نقده للروايات التاريخية:

أولا:

يرى الكاتب بأن أول من تكلم في الروايات التاريخية هو الصدوق (الابن)، وذلك بعد وفاة العسكري بمائة عام، ثم جاء بعده الطوسي بمائة ثانية، ثم إن رواياتهم التاريخية هي جمع لما كان يتداوله الناس من حكايات وإشاعات وأساطير بأسانيد مرسلة أو من نقل الغلاة والمجاهيل، ويتساءل الكاتب: لماذا لم يتكلم المؤلفون في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري كالنوبختي وسعد الأشعري القمي وابن بابويه الصدوق (الأب) والنعماني بل وحتى الكليني الذي لم يجد أكثر من قصة الرجل الهندي الذي سافر من كشمير ليعرف المهدي فقط؟ بينما نجد الصدوق(الابن) يسجل مجموعة كبيرة في ذلك بزمن يسير(٣).

---

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي٢٠٨.

(٢) المرجع السابق٢٠٩

(٣) انظر تطور الفكر السياسي٢١٠

ثانيا:

يذكر الكاتب أن الأدلة التاريخية مضطربة جدا في أمور مهمة، منها:

١. **تحديد هوية أم المهدي:** هل هي (الجارية) نرجس أو سوسن أو صقيل أو خمط أو ريحانة أو مليكة، أو هي (الحرة) مريم بنت زيد العلوية..(١).

٢. **تحديد تاريخ ولادته** : هل كان عمره وقت وفاة أبيه ست أو ثمان سنين؟

٣. **طريقة الحمل:** هل هي طبيعية في الرحم، أو أسطورية كما قيل بأنه في الجنب.

٤. **طريقة الولادة:** هل هي من الفرج أو من الفخذ؟

٥. **لونه:** هل هو أسمر أو أبيض؟

٦. **طريقة النمو:** هل كانت طبيعية، أو كانت أسطورية كما في بعض الروايات أنه ينموا في اليوم مثل نمو غيره في سنه، وفي أخرى أنه ينمو في اليوم كأسبوع وفي الأسبوع كشهر، وهكذا، وبناء على ذلك قيل في الروايات الاسطورية أنه كان يبدوا في وقت وفاة أبيه كالرجل الكبير، حتى أن عمته حكيمة لم تعرفه.

٧. واختلف **في التّكتّم** عليه ففي بعض الروايات أن عمته لم تره إلا مرة، وفي أخرى أنها كانت تراه كل أربعين..(٢).

وهكذا فإن الأستاذ أحمد الكاتب يرى ضمن الاختلاف الشديد في الروايات التاريخية هذه ما يكفي في ردها جملة، وهو أيضا ما جعل كثير من متكلمي المذهب ومنظري العقيدة الوليدة يهربون من مناقشة هذه الروايات، ويركّزون على الاستدلال العقلي في الإثبات خوفا من الوقوع في مأزق اختلاف الروايات التاريخية.

---

(١) انظر تطور الفكر السياسي٢١٠

(٢) تطور الفكر السياسي ٢١١

نقده لشهادة النواب الأربعة

تعد شهادة النواب الأربعة ورسائلهم التي كانوا يخرجونها للناس زاعمين أنها من المهدي؛ من أهم الأدلة التي تطرح في موضوع إثبات وجود المهدي، وفي إطار تحقيق الكاتب لمسألة ولادة المهدي طرح عدّة أسئلة هي: هل كان النواب صادقين حقا؟ وهل أجمع الشيعة آنذاك على توثيقهم؟ وكيف صدّق بعض الشيعة رسائلهم وانقادوا لهم؟

وفي طيات إجابة الكاتب على هذه الأسئلة المهمة: نجد أنه يبين ما يلي:

١. أن ظاهرة النيابة على المهدي لم تكن جديدة، فقد ادعى بعض الشيعة أن الكاظم لم يمت ثم قدم طرح أحدهم نيابته عنه وأمر الناس أن يقدموا له الأموال(١).

٢. أن المدعين للنيابة عن المهدي(محمد بن الحسن) بضعة وعشرين شخصاً، ويرجع الكاتب سبب كثرتهم إلى أن دعوى النيابة كانت تجر مصالح مادية ومكانة اجتماعية سياسية للمدعي(٢).

٣. يطعن الكاتب في مصداقية النواب الأربعة، ويرى بأن ما ينقله الطوسي من الآثار المنقوله عن المهدي في تزكيتهم هي طرق مليئة بالضعفاء والمجاهيل، علاوة أنها من نقل النواب أنفسهم(بمعنى أنهم كانوا يزكون أنفسهم)(٣).

---

(١)وهو محمد بن بشير. انظر: تطور الفكر السياسي ٢٢٥

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي ٢٢٦

(٣) انظر: تطور الفكر ٢٢٦-٢٢٨. وقد نقل الكاتب قول محمد بن علي الشلمغاني الذي كان وكيلاً للنوبختي-النائب الثالث- في بني بسطام، ثم انشق وادعى النيابة لنفسه:"ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف". انظر تطور الفكر ٣٢١ نقلاً عن كتاب الغيبة للطوسي ٢٤١.

٤. وقوع الشك من قبل الشيعة في صدق النواب بسبب كثرة المدعين للنيابة، وتشاجرهم فيما بينهم، واختفاء الأموال التي يأخذونها، مما دعا النواب إلى إخراج كتاب على لسان المهدي يندد فيه بالشاكين(١).

٥. يذكر الكاتب أن النواب الأربعة كانوا يتهمون المنافسين لهم بأنهم طلاب أموال وأنهم مرتمون في أحضان السلطان، وهو مالا يجد الكاتب فيه فرقاً بين النواب الأربعة وغيرهم ممن ادعاها(٢).

٦. مما يستدل به الكاتب في تشكيكه في نيابة الأربعة هو عدم قيامهم بأي دور ثقافي لخدمة الشيعة والمسلمين، ما عدا جباية الأموال وادعاء تسليمها للمهدي، بل يجد الكاتب في موقف النائب الثالث(النوبختي) حين لجأ إلي علماء (قم) من أجل حل مشكلة الشلمغاني الذي انشق عليه ما يدل على عدم وجود أي صلة له بالإمام المعصوم أصلا.

كما يرى الكاتب أن تأليف الكليني لكتاب الكافي -وهو معاصر للنوبختي- وملئه بالأحاديث الضعيفة والغالية، مع عدم تعليق النوبختي أو النائب الذي بعده عليه، يدل على السلبية الثقافية للنواب(٣).

٧. يطعن الكاتب في مصداقية الرسائل التي يدعي النواب أنها من المهدي، لأن الذين رووها نقلوها بأسانيد مليئة بالمجاهيل والغلاة باعتراف علماء رجال الشيعة(٤).

---

(١)انظر: تطور الفكر السياسي ٢٢٩

(٢)انظر: تطور الفكر السياسي ٢٣١

(٣)انظر: تطور الفكر السياسي ٢٣١-٢٣٢. وينقل الكاتب عن الشيخ حسن الفريد-وهو زميل للخميني- أنه تعجب من الكليني، وتساءل عن السر وراء عدم سؤال الكليني صاحبَ الزمان(المهدي) عن طريق وكيله النوبختي عن المسألة التي نقل فيها الكليني الخلاف وهي حكم الخمس في عصر الغيبة. انظر : تطور الفكر ٣٢٣ نقلا عن رسالة في الخمس للفريد ٨٧.

(٤) تطور الفكر السياسي ٢٣٢-٢٣٤

٨. يذكر الكاتب أنه حاول أن يجد أي مخطوط لدى الشيعة فيه خط الإمام المهدي أو توقيعه، فلم يجد لذلك أثرا، وهو ما يدعو إلى الريبة في أمر هذه الرسائل، إذ كيف لا يهتم النواب وعلماء الشيعة بالمحافظة عليها كما يحتفظ كل قوم بأهم مخطوطاتهم(١).

هذه هي أهم الأفكار التي طرحها أحمد الكاتب في موضوع المهدي، وهي باختصار:

١. نفي ولادة المهدي محمد بن الحسن أساساً.

٢. أن مهدوية محمد بن الحسن نظرية صنعها بعض المنتفعين والغلاة.

٣. وأن عقيدة ولادة محمد بن الحسن وغيبته كانت عقيدةً لواحدة من أربع عشرة فرقة من الشيعة، ثم صارت عقيدة لعامة الشيعة.

---

(١)انظر:تطور الفكر السياسي ٢٣٤-٢٣٥

المبحث الرابع:
أبرز الملاحظات على أحمد الكاتب

من أبرز الملاحظات العلمية التي وقفت عليها على احمد الكاتب ما يلي:

أولاً: الإله بمعنى الخالق.

يعتبر الكاتب أن الوهابية هم أوّل من فسّر (لا إله إلا الله) بـ"لا معبود إلا الله"، ولـذا يقول: "تقدم النظرية الوهابية تفسيراً خاصاً لمعنى التوحيد ، ينطلق من تفسير كلمة (الله) او (الإله) و بالتالي فإنها تقدم تصوراً خاصاً لمعنى (المسلم) الذي يشهد (ألا إله إلا الله)، فخلافاً لما كان يعتقده عامة المسلمين منذ الجيل الأول من أن معنى (الإله) هو خالق الكون حسبما يفهم من الآيات التالية ((قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا))[٤٢ الإسراء] و((لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ))[الأنبياء٢٢]، وان شهادة التوحيد تعني الاعتراف والتسليم بعدم وجود شريك لله في الخلق، تقول النظرية الوهابية إن المقصود بكلمة (الإله): المعبود ، وليس الخالق"(١).

وحتى يناقش هذه الفكرة التي يقدمها الكاتب ينبغي على القاريء الكريم أن يعلم أن الكاتب يقدم فكرتين:الأولى: أن هذا المعنى محدث لم يقل به أحد قبل الوهابية. الثانية: أن هذا المعنى خطأ مخالف للقرآن.

فأما قوله بأن هذا مما أحدثه الوهابية، فإن المتأمل لما جاء عن الأئمة المتقدمين يجد أن هذا المعنى منقول في كثير من أقوالهم، وسأكتفي بنقل بعض أقوال الأئمة المتقدمين رحمهم الله.

---

(١) جذور الاستبداد/ الفصل الأول.(الكتاب على موقع الكاتب الرسمي):
.htm٣http://www.alkatib.co.uk/w

فهذا الإمام ابن جرير الطبري وهو من أهل القرن الثالث والرابع(٣١٠هـ) يفسر الإله بالمعبود وليس بالخالق، يقول رحمه الله (نعبد إلهك):" أي نعبد معبودك الذي تعبده[وإله آبائك] ومعبود آبائك.."(١).

كما بين رحمه الله أن معنى الألوهية هي"اعتباد الخلق"، ثم قال: فمعنى قوله: ((وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ)) [البقرة: ١٦٣] والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منك العبادة، معبود واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه.." (٢).

ويقول: "وأما تأويل قوله ((لا إله إلا هو)) فإن معناه : النهي عن أن يعبد شيئ غير الله الحي القيوم"(٣).

وقال ابن الجوزي رحمه الله وهو من أهل القرن السادس(٥٩٧هـ) : "والإله بمعنى المعبود"(٤).

كما أن الإمام المجتهد محمد بن إسماعيل الصنعاني-وهو من معاصري محمد بن عبدالوهاب و لم يلتق به- يقول في تفسير لا إله إلا الله: "ومعناها:إفراد الله بالعبادة والإلهية، والبراءة من كل معبود دونه"(٥).

وفي هذا القدر الذي نقلناه كفاية في دفع قول الكاتب بأن أول من فسر الإله بالمعبود هم الوهابية.

وأما ما ذكره الأستاذ أحمد الكاتب من أن بعض أهل السنة قالوا بأن معنى لا إله أي لا خالق إلا الله، فصحيح إذا قلنا بأنهم ليسوا كل أهل السنة، ولكن يبقى السؤال: أي القولين أولى بالصواب؟

---

(١) تفسير الطبري١/٦١٣

(٢) المرجع السابق٢/٦٤

(٣) تفسير الطبري ٣/٦

(٤) زاد المسير١/١٥٠

(٥) تطهير الاعتقاد ١٨

للإجابة على هذا يجب أن نستحضر بأن المشركين الذين أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوتهم كانوا يقرون بأنه لا خالق إلا الله، كما حكى ذلك تعالى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))[لقمان٢٥]، ويقول تعالى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ)) [الزمر ٣٨]، ويقول تعالى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ))[الزخرف٩]، وقال تعالى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ))[الزخرف٨٧].

فإذا كان الكفار الذين يقرون بأن الخالق هو الله تعالى لم يعتبروا من جملة أهل لا إله إلا الله، دل على أن لـ"لا إله إلا الله" معنىً زائداً وهو نفي استحقاق العبودية لغير الله تعالى.

ومما ينبغي أن ينبه عليه أننا يجب أن لا نعتبر كل من فسّر لا إله إلا الله بـ"لا خالق إلا الله" لم يدخل في الإسلام، أو ليس من أهلها، لأننا قد نجد كثيراً مِنْ هؤلاء مَنْ لا يتبنى صرف شيء من العبادات لغير الله تعالى، وهو ما سيؤدي به إلى الإتيان بحقيقة التوحيد، فيكون غلطه لفظي وليس حقيقي، خلافاً لمن فسّرها بلا خالق إلا الله، ثم اطرد في قوله وقال بأن كلمة التوحيد لا تنهى عن عبادة غير الله. والله أعلم

ثانياً: له استقراء خاطيء في تأصيل جذور الاستبداد المعاصر.

يشير الأستاذ أحمد الكاتب إلى تأصيل خاطئ في تأصيل جذور الاستبداد الموجود لدى بعض أهل السنة المعاصرين، فينسب مقدماته إلى أفكار طرحها ابن تيمية، وهي:

١. أن من الطرق المشروعة لتولي الإمامة التغلب (الخروج على الإمام).

يقول عن ابن تيمية: "فسوف نجد أنه يفتح نافذة واسعة على الثورة والخروج والتمرد على الإمام أي إمام، ويعطي لصاحب كل قوّة أن يتمرد على الإمام، لأنه أساساً يعقد الإمامة لمن غلب، بغض النظر عن توفر الشروط الشرعية فيه واختاره عبر أهل الحل والعقد، خاصة إذا التزم المتغلب بالشريعة الإسلامية"ثم ذهب الكاتب

ليبين أن ابن تيمية يفرق بين الخروج على الشريعة وبين الخروج على الإمام، ثم يذكر الكاتب أن ابن تيمية يرى بأن الأول هو الذي يقاتل، والثاني هو الذي ينسب الكاتب إلى ابن تيمية شرعية فعله وعدم جواز قتاله(١).

كما ينسب إلى ابن تيمية جواز الخروج على الإمام العادل بسبب شبهة أو تأويل، ويمثل لذلك بمعاوية على علي بن أبي طالب.

والحقيقة هي أن استقراء الكاتب لكلام ابن تيمية فيه نظر، ولعله -والله أعلم- قد كوّن نظرة مسبقة عن ابن تيمية ثم ذهب يقرأ فلم تلتقط عينه إلا ما ذكر، لأن كلام ابن تيمية واضح في بيان خلاف ذلك.

فابن تيمية رحمه الله يقرر حرمة الخروج على المسلمين في مواضع من كتبه، منها قوله: "ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح، وتقام الفتن، كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة كما دلت عليه النصوص النبوية، لما في ذلك من الفساد الذي يربي على فساد ما يكون من ظلمهم [يعني الولاة الظلمة]"(٢).

ومن جهة أخرى فإن إقرار ابن تيمية لولاية من تغلب لا يريد بها مشروعية الخروج على كل والٍ، ولكن يريد بها أن من سلك هذا السبيل حتى غلب، فإن المشروع للأمة أن تقرّ بولايته حقناً للدماء، فلا بد أن يلاحظ أن الكلام فيما هو المشروع للأمة وليس في تسويغ عمل الخارج.

وما ذكره ابن تيمية هو المتقرر عند كثير من أهل السنة كالإمام أحمد وعلي بن المديني وغيرهما(٣) لا سيما بعد أن جرّب المسلمون الخروج على كثير من الولاة في القرون الأولى فلم يرو نتيجة لذلك إلا زيادة التسلط وموت كثير من الصالحين(٤).

---

(١) المرجع السابق/الفصل الثاني

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/٢٥

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد اهل السنة للالكائي ١/١٦١، ١٦٨

(٤) انظر منهاج السنة النبوية٢/٢٤١.التنكيل للمعلمي ١/٩٤

كما أن تفريق ابن تيمية بين الخروج على الشريعة والخروج على الإمام لا يريد بـــه جواز أحدهما وحرمة الآخر، بل يريد به ذكر حكم التصرف مع كل واحـــد منـــها، فالخارج عن الشريعة كالخوارج بعد أن أحدثوا أصولهم في استحلال دماء المـــسلمين فإنه يشرع قتالهم، بينما الذي يخرج على إمام بدون إحداث في الشرع فهـــو الـــذي يقول ابن تيمية لا يشرع ابتداءه بالقتال، بل يبدأ معه بالصلح، فإن بغى قوتـــل لأنـــه ممن يشمله قولـــه تعـــالى ((وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ))

[الحجرات ٩] وهذه الطائفة هي التي يقرر ابن تيمية بأنه لم يرد فيها نص ببـــدئهم في القتال، وهم الذين يسعى ابن تيمية إلى بيان خطأ بعض الفقهاء عندما سوى بينهم في الحكم وبين الخوارج المارقين من الدين، بمعنى أن ابن تيمية لا يرى أن يبدأ مع كـــل خارج بالقتال، بل يرى بأن الخارج عن الشريعة يقاتل، والخارج على الإمام العـــادل بدون إحداث يبدأ معه بالإصلاح ما لم يبغ، فإن بغى فيشرع قتاله بلا تردد.

وبهذا يتضح معنى العبارات التي نقلها الأستاذ الكاتب عن ابن تيمية: " أما القتال لمن لم يخرج إلا عن طاعة إمام معين فليس في النصوص أمر بذلك ، فارتكب الأولـــون[يعـــني الذين ساووا بين الخوارج ببدعة والخارجين على الإمام بلا بدعة] ثلاثة محاذير:

الأول:قتال من خرج عن طاعة ملك معين و إن كان قريباً منه و مثله في الـــسنة و الشريعة، لوجود الافتراق ، و الافتراق هو الفتنة.

و الثاني: التسوية بين هؤلاء و بين المرتدين عن بعض شرائع الإسلام.

والثالث: التسوية بين هؤلاء و بين قتال الخوارج المارقين من الإسلام ، و لهذا تجـــد تلك الطائفة [أي من يسوي بين الخوارج والخارجين بدون أصل بـــدعي] يـــدخلون في كثير من أهواء الملوك و ولاة الأمور و يأمرون بالقتال معهم لأعدائهم بناء على أنهم أهل العدل وأولئك البغاة"(١).

---

(١)انظر: مجموع الفتاوى ٤/٤٥٠-٤٥٢

وقد استدل الكاتب بهذه العبارة على أن ابن تيمية "يقول بجواز الخروج على الإمام العادل نظراً لشبهة أو تأويل كما خرج معاوية بن أبي سفيان على علي بن أبي طالب"(١)، مع أن ابن تيمية كلامه واضح في بيان الفرق في حكم التعامل مع كل واحد، وليس بيان جواز أحد الفعلين، بدلالة تخطئته لمعاوية بشكل واضح حيث قال: وكان سبّ علي ولعنه من البغي الذي استحقت به الطائفة أن يقال لها: الطائفة الباغية[ثم استدل بعدّة روايات لحديث (ويح عمّار تقتله الفئة الباغية) ثم قال ابن تيمية:] وهذا يدل على صحة إمامة علي، ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار-وإن كان متأولاً- وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطيء وإن كان متأولاً أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً.." ثم قال بعد ذلك : "ولم يسترب أئمة السنة، وعلماء الحديث أن علياً أولى بالحق وأقرب إليه"(٢).

٢. نسبته إلى ابن تيمية القول بعدم وجوب الخلافة.

ينقل أحمد الكاتب عن ابن تيمية القول بأن الخلافة مستحبة وليست بواجبة(٣)، وهذا غير صحيح، ولعله لم يقرأ قول ابن تيمية: "وذلك أن خبره(٤) بانقضاء خلافة النبوة فيه الذم للملك والعيب له، لاسيما وفي حديث أبي بكرة: أنه استاء للرؤيا، وقال: خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء" ثم أجاب ابن تيمية على سؤال حول جواز شوب الخلافة بالملك؟ فقال: فنحتج بأنه ليس بجائز في الأصل بل الواجب خلافة النبوة لقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدي من بعدي تمسكوا بها وعضوا

(١) كتاب جذور الاستبداد/ الفصل الثاني-مرجع سابق

(٢) انظر مجموع الفتاوى٤/٤٣٧-٤٣٩

(٣) انظر جذور الاستبداد/الفصل الثالث- مرجع سابق

(٤) أي حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء) رواه أحمد ٥/٢٢٠-٢٢١. أبوداود رقم ٤٦٤٦. والترمذي رقم ٢٢٢٦. وابن حبان ١٥٣٤.

عليه بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فكل بدعة ضلالة)..فهذا أمر وتحضيض على لزوم سنة الخلفاء، وأمر بالاستمساك بها، وتحذير من المحدثات المخالفة لها، وهذا أمر منه، والنهي دليل بيّن في الوجوب"(١)، وقال أيضاً: "وأيضاً فكون النبي صلى الله عليه وسلم استاء للمُلك بعد خلافة النبوة دليل على أنه متضمن ترك بعض الدين الواجب"(٢).

ولعل الكاتب اشتبه عليه أن ابن تيمية يقرر بأن الحالة السياسية والفوضى، قد لا يكون لها حلاً، إلا بالخروج عن الخلافة، ولكن ابن تيمية يجيز من ذلك ما تدعو إليه مصلحة المسلمين العامة حال الضرورة، ولذا يقول: "الخلافة واجبة، وإنما يجوز الخروج عنها بقدر الحاجة، أو يقال: يجوز قبولها من الملك بما ييسر فعل المقصود بالولاية ولا يعسره، إذ ما يبعد المقصود بدونه لا بد من إجازته..."(٣).

والموضع الذي أشار إليه الكاتب عن ابن تيمية بأن شوب الخلافة بالملك جائز هو من هذا القبيل؛ أي في حال العجز عن القيام بالخلافة، والله أعلم.

٣. ينسب إلى ابن تيمية تكفير الأشاعرة، وعامة المسلمين.

يقول الكاتب: "ومن المعروف أن ابن تيمية قد أخرج معظم طوائف الأمة وفرقها حتى الأشاعرة (السنة) من أهل الحق(٤).

وأظن أن الأستاذ أحمد الكاتب قد اعتمد على كلام بعض الذي يجتهدون في الرد على ابن تيمية بنوع من التعدي والإجحاف، لأن القاريء لكلام الكاتب لا يجد سنداً أو إحالة تثبت هذه التهمة.

وإذا نظرنا بموضوعية فإننا سنجد ابن تيمية في كلامه يصف الأشاعرة بأنهم من أهل السنة (٥)، وعندما عدد بعض أبرز أئمة الأشاعرة قال: "اتفق المسلمون على أنه لا

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/٢١-٢٢

(٢)مجموع الفتاوى ٣٥/ ٢٤

(٣)مجموع الفتاوى٣٥/٢٤.

(٤) انظر كتاب جذور الاستبداد/ الفصل الثالث –نظرية ابن تيمية.

(٥) نقض التأسيس٢/٨٢

يُكّفر أحد من هؤلاء الأئمة، ومن كفرهم بذلك استحق العقوبة الغليظة التي تزجره وأمثاله عن تكفير المسلمين.."(١).

كما أن ابن تيمية عاب على إبي إسماعيل الهروي الأنصاري(٢) فقال: "يبالغ في ذم الأشعرية مع أنهم من أقرب هذه الطوائف إلى السنة"(٣)، ويذكر في موضع آخر أن لهم حسنات عظيمة وفضائل مشكورة وأن خطأهم بعد الاجتهاد مغفور(٤).

وبالجملة فإن الذهبي وهو من المقربين لدى ابن تيمية رحمهما الله ينقل عنه فيقول:" **كان شيخنا ابن تيمية أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحدا من الأمة، ويقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن" فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم"**(٥).

كما أن مواقف ابن تيمية العملية تصدّق أقواله السابقة، فعندما استفتاه الناصر قلاوون في قتل القضاة الأشاعرة الذين أفتوا بحل دمه، وقد أخرج له فتاوى لبعضهم في قتله، ، قال ابن تيمية: ففهمت مقصوده وأن عنده حنقاً شديداً عليهم، لمّا خلعوه، وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم، وشكرهم وأن هؤلاء إذا ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكنت ما عنده عليهم.

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/١٠١-١٠٢

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي من ذرية أبي أيوب رضي الله عنه، كان من أبرز أهل السنة المهتمين بالتصوف ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر،، وكان له موقف شديد جداً من الأشاعرة خالفه فيه بعض من أهل السنة ٤٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٥٠٣-٥١٥، والبداية والنهاية ١٢/١٣٥ . وشذرات الذهب ٣/٣٦٥ . والنجوم الزاهرة ٥/١٢٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٨/٢٣٠

(٤) انظر: النبوات ٢٢٠

(٥)سير أعلام النبلاء ١٥/٨٨

يقول ابن عبد الهادي-تلميذ ابن تيمية-: فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف-قاضي المالكية- يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نبق ممكناً في السعي فيه، ولّما قَدِر علينا عفا عنّا(١).

ولو كان الأشاعرة "خارج الحق" عند ابن تيمية كما يقول الكاتب، لما وسعه أن يدافع عنهم وينهى عن قتلهم، لاسيما وأنه سُجن وضُيق عليه كثيراً بسببهم.

ولكن ما أظنه هو أن الأستاذ الكاتب قد تشكلت لديه نظرة سابقة من خلال كلام الناقمين على ابن تيمية، أو من خلال تبني بعض الغالين في التكفير لبعض الكلام المجمل لابن تيمية، ثم بنى على ذلك حُكمه، وهذا أمر لا يليق الاعتماد عليه في التأليف، والله أعلم.

هذي هي أبرز الملاحظات التي وقفت عليها في طيات كلام الأستاذ أحمد الكاتب، ولا أدعي بأنني قد استوعبت، والله أعلم(٢).

(١) العقود الدرية ٢٨٢-٢٨٣

(٢) كما أنني قد كتبت هذه الملاحظات في حياته، وقد يبدوا للأستاذ أمراً مخالفاً لما ذكرت في الملاحظات أو في أفكاره الأخرى، والله أعلم.